

ليـــبيـــا

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

كلية الدعوة الإسلامية

قسم الدراسات العليا

شعبة الدعوة والحضارة

الخطاب الصوفي في شماليّ نيجيريا

عطاؤه ومشكلاته.

قُدِّمت الأطروحة استكمالا لمتطلبات درجة التخصص الدقيق

(الدكتوراه)

إعداد: د. علي محمّد الأحمر

إشراف: الأستاذ الدكتور: محمد كبير يونس

1433/1432هـ الموافق 2012/2011م



الإهداء

*** إلـى العـالم العامـل، الحـافظ الثقـة، مـن أُلهـم قيـادة النـاس إلـى طريـق العلـم والإيمـان والتربيـة والسلوك فسـار بالنـاس فيهمـا علـى خط متـوازن لاغلبـة لأحـدهما علـى الآخـر، فخرَّج علماء الآخرة بنصيب من علم الدنيا حتـى غدوا شعلة يستضاء بهـا فـي ظلمـات الجاهلية المعاصرة في نيجيريا وغيرها من بلدان العالم الشريف إبراهيم محمد الصالح الحسيني ﷺ.**

*** وإلى والديّ اللّذين سلكا بي مسلكا لم يخيّبني، ألزماني قراءة القرآن فحسبت ذلك قسوة منهما حتى بان لي أن ذلك الضغط سيولّد عصارة من حفظ كتاب الله في القلب فكان ذلك قرة عينيهما وغاية مناهما؛ السيدة (حوّاء حسن الرُّفاعي) والسيد (محمد الأحمر أحمد)**

*** إليكم جميعا أُهدي خامس نتاج تحصيلي العلميّ لا أنه يليق بمقامكم عندي ولكن لأنه يمثل أعز ما أملك في حياتي .**

ابنكم ومحبكم: علي محمد الأحمر.

الشكر والعرفان

مبدأ الوفاء لأهل الوفاء يُلزمني إسداءَ جزيل الشكر وعظيم الامتنان والعرفان إلى مربيّ وقدوتي، ومرشد والديّ قبلي إلى مداخل التربية الروحية والسلوك إلى الله؛ المعلمِ الفاضل والعالمِ العامل، حجةِ الإسلام، الشيخ الشريف إبراهيم محمد الصالح الحسيني، الذي كان له في مسيرة تحصيلي العلمية، ومسيرةِ حياتي العملية، موقع ووقع يستوجبان الثناءَ والعرفانَ، فجزاه الله عني وعن الإسلام خيرَ الجزاء وجزاءَ الخير، وأمدّه بوافر الصحة والعافية وطول العمر، حتى يستكمل مسيرةَ العطاء الروحي والتربوي التي نذر نفسه للوفاء لها، خدمة للإسلام والمسلمين، وذُخرا للعلم والعلماء.

وما من شكّ في أن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بقيامها على ثغرة من أكبر الثغور التي يمكن أن يُؤتى الإسلام من قِبَلها –ثغرةِ تصحيح مفاهيم الإسلام بما يسهم في تقديمه للناس سهلا ميسّرا تنقاد إليه الأنفس، وتنجذب إليه القلوب، في واقع برِع الناس في أساليب ترويج الباطل ودحض الحق – لها الفضل الكبير بعد الله تعالى في صياغتي وتزويدي بما يلزم من أسس منهجية ومعرفية لضمان خَوض جدليّات المستقبل بكل ثقة – راجيا الله تعالى أن يُمدّ عطاءها ليبلغ ما بلغ الليل، وبشكل مماثل أتقدم بالشكر إلى كلية الدعوة الإسلامية – الجناحِ الأكاديمي لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية– على عطائها السخي لتكون كلمة الله هي العليا، كما أنني لاعتبارات موضوعية وخاصة، ليس بوسعي إلا أن أتقدم إلى عميدها– الأستاذ الدكتور مسعود عبد الله الوازني– الذي عمل على تطوير هذه الكلية بما يواكب الحركة العلمية المتجدّدة، من أجل أن يكون أداء طالب الدعوة في مستوى التّغّيرات المتجددة للواقع الحضاري المعيش، من هنا فإنني مَدين له من أعماق القلب لجهوده الدؤوبة الطيبة بما لا سعة للإفصاح عنه.

وليس يفوتني شكرُ الأستاذ الدكتور محمد كبير يونس، الذي أَجزم بأنه منح الكثيرين من أمثالي دَفعةً قوية نحو العلم والعمل، فقد أتاح لي ما لا يمكنني الوصولُ إليه من مادة هذا البحث ناقدا ومصححا ومرشدا في سعة صدر وتحمل للمناقشة ، فهو بهذا يدوم له عندي الثناءُ والتقدير بلا حدود، وقد أحسست بِعبء تكريم اللجنة العلمية بالكلية لي حين أسندت مهمة الإشراف على هذه الأطرة بمشرف من أبناء البلد(موضوع الدراسة) كأول أطروحة دكتوراه تناقش من قبل طالب نيجيريا في تاريخ الكلية ليؤكد على سخائها وعطائها اللا محدود .

وشكري الخالص رئيس قسم الدراسات العليا الأستاذ الدكتور عمارة حنين بيت العالفية وإلى مسجل قسم الدراسات العليا؛ الأخ صولة الفيتوري، الذي قدم لي الكثير والمفيد من أجل تذليل صعوبات هذا العمل، كما أشكر الأستاذ الدكتور إبراهيم محمد رئيس قسم الدراسات الإسلامية بجامعة بايرو كنو الذي أرشدني لمواصلة دراساتي بالكلية في هذا المستوى وقد أفدت منه حتى تم العمل على هذا النحو، كما أشكر إخواني الذين أعانوني على عناء هذا البحث، أخص منهم: الأخ: إبرهيم محمد حسن ويونس جبريل حسن وحسين محمد آدم ومختار عمر محمد وإبراهيم محمد محمد وعبد الكافي عمر إلياس ومومن موسى وإبراهيم جبريل وإلى الأخ الطاجيكي عبدالجليل آدينيوف وإلى طلبتي بالجامعة الإسلامية بكاتسينا النيجيرية رابع بابن غدا محمد وإمام عباس والهادي تجاني، وكل من أسهم بنصيحة أو توجيه أو تنبيه، فأجرُ الجميع على الله، إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا، والحمد لله أوّلا وآخرا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

صفر 1432هـ، يناير 2011 م

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، أهلِ الثناء والمجد وكلنا لله عبد، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، الذي بُعث بمهمة التزكية والتعليم، فكان خيرَ معلم وأبرزَ مرب عرفه التاريخ البشري، وعلى آله وأصحابه "الذين آووه وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون".

وبعد

فإن نيجيريا التي تعد أكبر دولة أفريقية من الناحية العددية، قد شهدت حركة الدعوة الإسلامية منذ مطلع القرن الثاني الهجري، وقد كان للخطاب الصوفي فيها وقع وتأثير في نشر الإسلام في أرجائها، كما كان له في هذا المجال عطاء على المستوى الجهادي والعلمي والتربوي، ولأن أكثر العلماء والمفكرين في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين متصوفون ومنتسبون إلى طريقة من الطرق الصوفية، فإن عطاءاتهم العلمية تكاد لا تحصر، وسيندهش القارئ عندما يقف على عناوين متعددة ومتنوعة عالجت قضايا الفكر الإسلامي المتجددة بكل عمق واقتدار، في ذلك الوقت الذي تعاني فيه المنطقة من شح المصادر العلمية، وندرة وسائل النقل، وآليات التواصل الثقافي والإعلامي.

ولا غرو فإن المتتبع لتاريخ حركة الدعوة الإسلامية في نيجيريا وانتشاره فيها سواء عبر الشمال الشرقي الذي يعد البوابة الأولى لرسالة الإسلام في المنطقة، أو عبر شمالي غرب نيجيريا، فإنه مدرك لا محالة الدورَ الفعال الذي لعبه أعلام الصوفية منذ ظهور بصيص الإسلام فيها، ولا زال التصوف يقدم رسالته في واقع المجتمع النيجيري المسلم على كافة الأصعدة التربوية والثقافية والاجتماعية والأدبية.

ومن ثم جاءت هذه الأطروحة لتتبع مسيرة التصوف في تاريخه الطويل وما حفلت به هذه المسيرة من عطاءات ومشكلات خاصة في شمالي نيجيريا التي نمت فيها الطرق الصوفية وكان لها أداء واضح على مستوى الأصعدة الاجتماعية – ماضيا وحاضرا.

أهداف البحث:

إن هذا العطاء القائم والمتجدد للخطاب الصوفي في نيجيريا، لم يقابل بحركة بحثية تتابع عطاءه الثري، ولذا فإن أهداف هذه الأطروحة تنحصر في أنها تترجم لأبرز أعلام التصوف وترصد أهم محطاته وأبرز مراحله، ثم تذكر مواطن إشراقاته ومراحل إخفاقاته التي لحقته في مسيرة رحلته الطويله هذه، ومن ثم تدرس مشاريع الإصلاح الصوفي من الداخل والخارج حتى تكون في موقع الدراسات النقدية التي تنصف المظلوم ولا تحابي الظالم، تذكر ما للخطاب

الصوفي وما عليه، بمنطق علمي موثق لا تحامل فيه على أحد، تصدِّقه الوقائع التاريخية، والشواهد العلمية، حتى يطمئن على موثوقيتها المعتقد والمنتقد على حد سواء.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

أما الدافع إلى الكتابة في هذا الموضوع فإنها تظهر في غياب الموضوعية في كتب من تطرق لهذا الموضوع من المنتقدين والمعتقدين، فكلاهما على طرفي نقيض، حيث يكتب المنتقد وكأن الصوفية لا خير فيها يُذكر، فكل شيء في الصوفية سلبي وبدعي ومنكر لا يستقيم على سند من القرآن والسنة، والمعتقد كذلك يغض الطرف عن كل انحرافات المتصوفة التي لا سند لها من الدين، ولا معوَّل لها غيرُ الشطحات والخرافات التي لا تقوى أمام أدنى الحجج الدامغة، ولا يقبلها حتى العقل، وسندي في هذا هو أنني وجدت أن أئمة الصوفية أنفسهم – قدامى ومعاصرين– قد أنكروها ووقفوا لها بالمرصاد، ومن ثم لا يجوز السكوت عليها، ولا بد من إنكارها وتعريتها أمام الأبصار حتى لا يغتر بها العامة الذين يسيرون وراء السراب بواقع من الإخلاص والتصديق المطلق.

أما أهمية هذه الأطروحة فتتبدى في احتوائها على عطاءات الصوفية ومشكلاتهم في سياق متواز يظهر الجانب القيمي والروحي والجهادي في الصوفية ويفيد منه، ويقدم الجانب الكالح وينقده، كما تولي الأطروحة اهتماما بتفنيد ما يروّج ضد الخطاب الصّوفي وأعلامه وتراثه من أراجيف تصل إلى حدّ التكفير، لا من أجل إغضاء الطرف عن ممارسات بعض المتصوفة التي لا تعبر عن مدرسة التصوف في شيء، ولكن من أجل دفع المدرسة الصوفية إلى تصحيح ممارساتها بما يحقق لها تأديةَ دور رائد في مواكبة الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية في الواقع الحضاري المعيش.

حدود البحث.

أما حدود البحث فإن الحد الزماني والموضوعي لهذه الأطروحة، هو عطاء الخطاب الصوفي ومشكلاته في نيجيريا– تاريخا وواقعا–، في هيئة بحث أكاديمي يؤطّر المشكلات المتنوّعة ويشيد بالعطاءات الصوفية في الميادين كافة؛ كل ذلك في سؤال محددّ هو– **ما هو الخطاب الصوفي في شمالي نيجيريا – وما عطاؤه ومشكلاته؟.**

منهج البحث:

أما المنهجية المستخدمة في هذه الأطروحة: فإن موضوعا كهذا يتطلب جملة مناهج علمية متكاملة في تحقيق المستهدفات البحثية المنشودة، وفي التحديد الأوّلي لأهم وأبرز تلك

المناهج المقترحة، يرد كل من المنهج النقدي والوصفي والتاريخي، لدراسة قضاياه الجزئيةَ والكلّيةَ.

الدراسات السابقة.

حسب اطلاعي المتواضع لم أقف على مصدر في هذا الموضوع المدروس، إلا أنني لا أنكر ورود إشارات متفرقة تتصل بمختلف أطرافه في مصادر قديمة ومراجع حديثة، وبخاصة في كتب الفرق الإسلامية وأدبيات الخطاب الإسلامي المعاصر؛ وكتب محلية من أمثال:

- الثقافة العربية في نيجيريا من 1750 إلى 1960 عام الاستقلال للدكتو علي أبوبكر.
- وحركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا ما بين 1804 إلى 1966م للدكتور أحمد شيحو غلادنثي.
- وتاريخ الإسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم برنو
- التكفير أخطر بدعة تهدد الوحدة والسلام في نيجيريا.
- الكافي في علم التزكية
- المغير على شبهات الأهواء وأكاذيب المنكر على كتاب التكفير كلها للشيخ الشريف إبراهيم الحسيني .

ومجموعة من الرسائل الجامعية التي نوقشت في جامعات نيجيرية متعددة من أمثال:

- الشيخ أبوبكر عتيق وديوانه هدية الأحباب والخلان هي رسالة قدمها محمد الأمين عمر لنيل درجة التخصص العالي الماجستير في جامعة بايرو كانو.
- تاريخ الحركة العلمية في برنو وهي أطروحة قدمها الدكتور إبراهيم محمد لنيل درجة التخصص الدقيق الدكتواه في جامعة بايرو كانو في عام 2010/2009م.
- السيرة الذاتية للشيخ سعيد حياة وسياسة الاستعمار الانكليزي. من سنة1900-1960م. وهي أطروحة قدمتها الدكتورة أسماء غربه سعيد حياة الدين لنيل درجة التخصص الدقيق الدكتوراة في جامعة أحمد بيلّو زاريا.

وهي كما رأيت من عناوينها تؤسس مادة لهذه الأطروحة ولكنها لا تغني عنها لسبب عدم مناقشتها لعطاءات الصوفية ومشكلاتهم في هذه المنطقة التي جرت فيها الدراسة، ولا شك أن هذا الركامَ المعرفيَّ الهائلَ بحاجة ماسّة إلى انتقاءٍ وتنسيقٍ لكافة الخيوط المشكّلة لنسيج هذا الموضوع. ولعلّ أقرب تلك المراجع صلة بهذا الموضوع؛ هو ما جاء متمثلا في كتابيّ «الشعر الصوفي في نيجيريا- دراسة موضوعية تحليلية لنماذج من إنتاج العلماء القادريين خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين)) وهو عمل علمي وأكاديمي قدمه شيخ عثمان كبرا، بقسم

اللغة العربية بجامعة بايرو – مدينة كانو نيجيريا، وقد استهدف المؤلف من وراء هذا العمل تقديم دراسة علمية موضوعية مبنية على أسس نقدية لإبراز ما في تلك الأشعار من القيم الفنية والفكرية، وللتأكيد على أهمية دور التصوف كأحد مصادر الإلهام الشعري لدى النيجيريين والعلماء المسلمين من الأفارقة بشكل عام. إذن فهو يناقش الجانب الأدبي في الأشعار الصوفية، وإن بدى عليه طابع تتبع العطاء العلمي للصوفية في نيجيريا في بعض صوره، إلا أنه ركز على طريقة واحدة هي الطريقة القادرية، وعطاء رجالاتها في هذا المجال.

ومن ثم فإنني لم أعثر حسب اطلاعي على مصدر سار وفق المنهجية التي ارتأيت السير عليها، وهي رصد للطرق الصوفية في نيجيريا مع مراعاة عراقتها وانتشارها، وانتقاء لأبرزها من واقع أربع طرق في نيجيريا هي: القادرية، والتجانية، والمهدية، والعروسية، ثم عرض لأبرز عطاءات أقطابها في الميادين التربوية والعلمية مشفوعا بعرض مشكلات المتصوفة الموضوعية أي التي تنبع من ذات الصوفية ومشكلات الصدام مع الأخر الذي هو تيار السلفية المعاصرة.

ولما كانت تلك هي الحال التي انتهت إليها دراسة الخطاب الصوفي في نيجيريا، فقد اتخذت عطاءات الخطاب الصوفي ومشكلاته في نيجيريا موضوعا لهذه الأطروحة، عسى أن يسد ثغرة في الفراغ المكتبي المتعلق بهذا الموضوع، وحتى تكون دراستنا للظاهرة الصوفية على مستوى من النقد الموضوعي، الذي يهمه تقديم الحقائق كما هي عليه، لا الدفاع بواقع من التستر والتكتم على الأمر الواقع.

هيكلية الدراسة .

تضمنت هذه الأطروحة مقدمة وبابين رئيسين وخاتمة وفهارس، مهدتُّ لكل فصل فيهما بمدخل رأيته ضروريّا لتهيئة ذهنيّة القارئ في تبيُّن منطلقات الباحث ورؤيتِه للموضوع المرادِ دراستِه، ومن ثم إحاطة القارئ بشتى جوانب الموضوع حتى يتمكّن من ولوجه بخلفية يستطيع من خلالها تقييم الموضوع تقييما ناقدا وصحيحا.

الباب الأول: فقد ضُمِّن الحديثَ عن الخطاب الصوفي تاريخاً ومنهجاً، فدرست في فصله الأول:, تاريخ التصوف من حيث نشأته وتطوره ومراحله. ودرس الفصل الثاني مناهج التربية والدعوة عند الصوفية. ودرس الفصل الثالث إصلاح التصوف ونقده – داخليا وخارجيا– وأبرز رجالاته.

أما الباب الثاني: فقد تناول دراسة الخطاب الصوفي في نيجيريا : عطاؤه ومشكلاته.

حيث درس الفصل الأول: أبرز الطرق الصوفية في نيجيريا: من خلال تاريخها ومناهجها وأورادها والفصل الثاني: درس عطاءات الطرق الصوفية في نيجيريا في مجالات

التربية والتعليم والتأليف والجهاد والفصل الثالث: تخصص لدراسة مشكلات الطرق الصوفية في نيجيريا: فتوزعت بين المشكلات الموضوعية ومشكلة صدام الخطاب الصوفي مع السلفية المعاصرة. أما الفصل الرابع: فقد درس إصلاح الخطاب الصوفي بين الواقع والمتوقع: والمنهج المقترح لإصلاح التصوف في نيجيريا، وفي الخاتمة تلخيص لأهم النتائج التي توصل إليها البحث ثم ثبت المصادر والمراجع الذي سردتها فيه مرتبة حسب موضوعاتها مبتدئا بالمراجع العامة فالدوريات والمجلات فالبحوث والرسائل العلمية فالموسوعات وكتب المعاجم والتراجم فالمقابلات الشخصية فالكتب الأجنبية ثم جاء ذكر فهارس الموضوعات للإحالة على محتويات الأطروحة.

وبعد؛؛؛

فإنني أذكر أن الربيع بن سليمان تلميذ الإمام الشافعي ﷺ قرأ كتاب الرسالة على الإمام الشافعي بضعا وثمانين مرة، فما من مرة إلا وكان الإمام يقف فيها على خطأ فبكى الإمام وقال– هيه!!! أبى الله أن يكون كتاب صحيحا غير كتابه، وعمل كهذا يكاد يكون الخطأ فيه ضربة لازب، لابد أن يعجّ بالأخطاء والهنات، فإن وُفّقت في شيء منه فمن الله وحده، وإن أخطأت فمن نفسي وقلة زادي والشيطان، والله ورسوله منه براء.غير أني لا آلو جَهدًا من أجل الوصول بهذا البحث إلى كماله الأدبيّ النسبي المقدّر له، إذ الكمال المطلق لله وحده، وتبقى هذه المحاولة في النهاية محاولةً من بين جملة المحاولات التي يعوزها همّ الإسلام، ورسالة الإسلام، ومسؤولية الإسلام تجاه المسلمين وتجاه المنتمين لدائرة التصوف، فهي لا تدّعي الوصول إلى أحكام نهائية وثابتة، وإنما حسب هذا العمل؛ إثارة التساؤلات وفتح آفاق جديدة في مسائل رأيت أن الواقع يفرض قراءتها بشكل متكامل ومنسجم، قصد الخروج بنتائج تقييمية وشاملة، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

الباب الأول:-

الخطاب الصوفي تاريخاً ومنهجاً.

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول:

تاريخ التصوف: نشأته، ومراحل تطوره، ونشأة الطرق.

الفصل الثاني:

مناهج الصوفية في التربية والدعوة.

الفصل الثالث:

إصلاح التصوف ونقده – داخليا وخارجيا– وأبرز رجالاته.

مدخل عام في التعريف بمفردات موضوع البحث .

أولا: مفهوم الخطاب وأبعاده.

الخطاب في اللغة يعني: مراجعة الكلام ومتابعته، جاء في لسان العرب [1] "والخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان "[1] .

وفي القرآن ورد لفظ "الخطاب" للدلالة على عدة معان، إلا أنها تشترك في الاشتقاق اللغوي، وتدور حول معاني الإفهام والانتصار على المخاطب الخصم، بالحجة والبرهان الساطع، ومن تلك الآيات قوله تعالى:﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾[2] وفصل الخطاب هو ما ينفصل به الأمر من الخطاب"[3].

وفسر الطاهر بن عاشور فصل الخطاب هنا بأنه: بلاغة الكلام من حيث الإيجاز والإفهام، وقد ورد لفظ الخطاب في آية أخرى في سورة ص قوله تعالى﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾[4] أي الغلبة والانتصار على الخصم بالحجة والإفحام والاستدلال السليم" [5] وورد في سورة النبأ في قوله تعالى: ﴿ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً﴾ [6] والخطاب هنا يعني" الكلام الموجه لدى المتكلم، أو كالحاضر المتضمن إخبارا أو طلبا أو إنشاء مدح أو ذم "[7].

ومفهوم الخطاب كما عرفه معجم الكليات في المصطلحات والفروق اللغوية هو" الكلام الذي يُقصد به الإفهام واللفظ المتواضَع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه "[8].

---

[1]- لسان العرب/ابن منظور الأفريقي/361/1.

[2]- سورة ص/20

[3]- معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم/الراغب الأصفهاني/ضبط وتخريج إبراهيم شمس الدين/170/دار الكتب العلمية/بيروت/1418هـ1997م. وينظر: المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية/مادة (خ ط ب) ج/1/ص243/دار الدعوة /إستا نبول/تركيا/1989م.

4- سورة ص/23

[5]- التحرير والتنوير/محمد الطاهر بن عاشور/مج 229/24/11/دار سحنون للنشر والتوزيع/تونس/د.ط.ت.

[6]- سورة النبأ/37

[7]- التحرير والتنوير/ا بن عاشور/مج 50/30/15.

[8]- ينظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية/أيوب بن موسى الحسيني أبو البقاء الكفوي/419/مؤسسة الرسالة/بيروت/ط1414/2هـ1998م.

ومن حيث الاصطلاح يعرّف معجم لالاند الفلسفي الخطاب بأنه:

– عملية فكرية تجري من خلال سلسة عمليات أولية جزئية ومتتابعة"[1].

والخطاب باعتباره مقول الكاتب" هو بناء من الأفكار إذا تعلق الأمر بوجهة نظر يعبر عنها تعبيرا استدلاليا، وإلا فهو أحاسيس ومشاعر يحمل وجهة نظر مصوغة في بناء استدلالي، أي بشكل مقدمات ونتائج"[2]

ومن خلال استقراء الدلالات اللغوية والفلسفية لمفهوم الخطاب يمكن صياغة مفهوم الخطاب على أنه: بناء من الأفكار متسلسلة يتم التعبير عنها استدلاليا للتأثير على العقول، وإقناعها لتفريغ الشحنات وإثارة المشاعر، وقد تكون المهمة هدم قواعد باطلة، وما اعتُبر مسلمات يقينية عند العامة والسّذّج لتحل محلها رؤى وتصورات تتبني على أسس معرفية ومنهجية واضحة.

ولنا بعد الوقوف على مصطلح الخطاب كمفردة أن نقف على مصطلح التصوف كمفردة ثم نتبعه بتعريف المركب "الخطاب الصوفي" لنسير وفق المنهج المتعارف عليه في البحوث الذي يُعنى بمفاهيم جزئيات المركب قبل جملته .

[1]– موسوعة لالاند الفلسفية/أندريه لالاند/ت: خليل أحمد خليل/أشرف أحمد عويدات/ مج 1/ط2/منشورات عويدات/بيروت/لبنان/2001م.

[2]– يراجع: الخطاب العربي المعاصر/ محمد عابد الجابري/ص8/دراسة تحليلية نقدية/دار الطليعة/بيروت/ط3/1988م.

ثانيا: مفهوم التصوف :

جاء في المعجم الوسيط مادة (ص و ف) التصوف طريقة سلوكية قوامها التقشف والتحلي بالفضائل لتزكو النفس وتسمو الروح...

و (علم التصوف) مجموعة المبادئ التي يعتقدها المتصوفة والآداب التي يتأدبون بها في مجتمعاتهم وخلواتهم"[1].

وفي معجم الفقهاء عُرف التصوف بأنه" الصدق مع الله، والتحرر من سطوة الدنيا، وحسن التعامل مع الناس"[2].

ومن حيث اشتقاق لفظة التصوف ينقل الطوسي أبو نصر السراج في كتابه اللمع أنه" كان في الأصل صفوي, فاستثقل ذلك , فقيل : صوفي وبمثل ذلك نقل عن أبي الحسن الكناد: هو مأخوذ من الصفاء"[3].

وكتاب اللمع، الذي يعد أقدم مرجع صوفي, صدر عن صوفي، والذي وصفه أحد الباحثين بأنه" بحق أكبر المؤلفين في الصوفية وأستاذهم جميعا بلا استثناء، اقتفى أثره الهجويري في كتابه (كشف المحجوب) وتتلمذ عليه أبو عبد الرحمن السلمي صاحب الطبقات، وعلى السلمي تتلمذ أبو القاسم القشيري صاحب الرسالة، ووصف مدرسته بأنها أنجبت الأقلام الكبيرة التي حفظت لنا ورسمت أمامنا مناهج الطريق وصانته وحمته من الدخيل والغريب"[4] .

إلا أنه عندما وقف على مصطلح التصوف لم يجد بدًّا من نسبة هذا المصطلح إلى ظاهرة لبس الصوف بقوله" فكذلك الصوفية عندى نسبوا إلى ظاهر اللباس ، ولم ينسوا إلي نوع من أنواع العلوم والأحوال التى بها مترسمون ، لأن لبس الصوف كان دأب الأنبياء عليهم السلام والصديقين وشعار المساكين المتنسكين"[5] .

---

[1] – المعجم الوسيط/إبراهيم مصطفى وآخرون/تح: مجمع اللغة العربية/ ج/ص259/دار الدعوة/د.س.ن.

[2] – معجم لغة الفقهاء/محمد قلعجي/ج1/ص133/د.د.ن.

3 – اللمع/الطوسي/تح: عبد الحليم محمود طه عبد الباقي سرور/ص 46/ط دار الكتب الحديثة بمصر 1960م.

[4] – ينظر: نشأة الفكر الفلسفي/علي سامي النشار/ ج3/ص 20/دار المعارف/القاهرة/ط7/ 1977م.

5 – المصدر السابق/اصد 40.

إلا أن لبس الصوف ليس ظاهرة شائعة مطردة لا يشذ عنها أحد من الصوفية بحيث لو شذ عنها يخرج من مظلة التصوف، والمُلاحَظ على الطوسي رحمه الله، وهو في معرض تصنيف العلماء وفق اختصاصاتهم العلمية، فنسب أصحاب الحديث إلى علم الحديث، ونسب الفقهاء إلى علم الفقه، فلماذا لا ينسب أهل التصوف إلى اختصاصهم، الذي لا يعدو في جميع اختلاف خطاباته عن (التحلية والتخلية)أي: تزكية النفس من حظوظها والبعد عن فضول الدنيا؛ حسب مصطلحات الصوفية، فنقول–علم التزكية– حتى يمكن أن يكون هذا الإطلاق ضابطا لفرز المنتمين لهذا الخطاب بحق، عن الدخلاء عليه عند ممارستهم لما يخالف هذا الوصف، وقد نال الخطاب الصوفي في تاريخه عنتا شديدا لكونه مصطلحا فضفاضا لم تحدد قسماته وخصائصه بعد.

والقشيري نفسه رد على هذا الرأي الذي يذهب إلى نسبة التصوف إلى لبس الصوف وذاك حيث قال في رسالته" فأما قول من قال : إنه من الصوف , ولهذا يقال : تصوّف إذا لبس الصوف كما يقال : تقمص إذا لبس القميص, فذلك وجه. ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف، ومن قال : أنهم منسوبون إلى صفة مسجد رسول الله ﷺ فالنسبة إلى الصفة لا تجيء على نحو الصوفي، ومن قال: أنه مشتق من الصفاء, فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة، ومن قال : أنه مشتق من الصف , فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم فالمعنى صحيح , ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف"[1].

ولقد اهتم ثلة من المستشرقين بالتصوف، ولذلك كان لهم مقالهم في اصطلاحه، فقد قال (فون هامر المستشرق الألماني) بسبب المشابهة الصوتية بين كلمة (صوفي) والكلمة اليونانية (صوفيا) "أن الصوفية من اليونان، وذلك لوجه الشبه الموجود بين كلمة (تصوف) (تيوصوفيا), وأن كلمتي صوفي وتصوف أخذتا من الكلمتين اليونانيتين (سوفيا)و (وتيوسوفيا) إلا أن نولدكه أثبت خطأ هذا الزعم كما أيده في ذلك نيكلسون , وماسينيون, وبالاضافة إلى البراهين القوية الأخرى التي أقامها نولدكه , فإنه يدلل على أن (س) اليونانية

1 – الرسالة القشيرية/أبو القاسم عبد الكريم القشيري/ج 2/ص 550/ ط مطبعة حسان القاهرة 1974م.

نقلت إلى العربية كما هي سينا , لا صادا كما أنه لا يوجد في اللغة الآرامية كلمة تعد واسطة لانتقال سوفيا إلى الصوفي)"[1].

هذا هو الاختلاف الواقع في أصل لفظة التصوف واشتقاقها, ولذلك اضطر الصوفي القديم عليّ الهجويري إلى أن يقول"إن اشتقاق هذا الاسم لا يصح من مقتضى اللغة في أي معنى, لأن هذا الاسم أعظم من أن يكون له جنس ليشتق منه"[2] .

ولهذا يصل القشيري إلى إثبات تقرير مفاده" ليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق "[3].

والخلاصة: أن الاختلاف الوارد في أصل اشتقاق لفظ الصوفي لا يعدو وفق قراءات دارسيه الآتي:

-فمن مرجح أنه لفظ جامد غير مشتق كالقشيري.

-ومن قائل إنه لا يصح ولا يستقيم اشتقاقه من حيث اللغة إلا من الصوف, كالطوسي وأبي طالب المكي, والسهروردي وأبي المفاخر يحيى باخرزي, وابن تيمية, وابن خلدون من المتقدمين"[4].

-ومن قائل إن كلمتي (صوفي وتصوف) أخذتا من الكلمتين اليونانيتين (سوفيا) و (وتيوسوفياسبب المشابهة الصوتية بين كلمة (صوفي) والكلمة اليونانية (صوفيا) , وكذلك لوجه الشبه الموجود بين كلمة (تصوف) و (تيوصوفيا، وهو قول جمهور المستشرقين وإن خالفهم في ذلك بعض منهم.

-ومن قائل: أنه مشتق من الصفاء أو الصفو.

إلا أننا لا ننفي استغرابنا استبعادهم لمهمة التصوف، والمحور الذي يدور فيه فلك كل الممارسات الصوفية، والذي عبر عنه جل أقطابهم، وهو التحلية والتخلية، الذي يتمثل في التزكية، وهو محور له مستند من القرآن وتطبيق عملي من السنة،

---

[1] – الحلاج/طه عبد الباقي سرور/31/دار نهضة مصر/ القاهرة/د.س.ن.

[2] –حياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحجوب بهامش قوت القلوب لأبي طال المكي/ص32/ط: دار صادر بيروت/د.س.ن .

[3] الرسالة القشيرية/عبد الكريم القشيري/تح: عبد الحليم محمودوآخرون//126/ دار الكتب الحديثة، القاهرة/د.س.ن.

[4] – التَّصَوُّف .. المنْشَأ وَالمَصَادِر/إحسان إلهي ظهير/صـ4.

وأن استبعاد هذا المحور في تحديد ماهية التصوف سيفرغ هذا المصطلح من محتواه في نظر الباحث.

وقد عبر أبو الفتح البستي قديما عن حقيقة التصوف خير تعبير في بيتين مشهورين في هذا الشأن فقال:

تنازع الناس فى الصوفى واختلفوا * جهلا وظنوه مأخوذا من الصوف

ولست أنحل هذا الإسم غير فتى* صافى فصوفى حتى سمي الصوفى "[1].

وقول صوفي آخر:

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه ***ولا صياح ولا رقص ولا طرب

بل التصوف أن تصفو بلا كدر *** وأن تُرى خاشعا لله مكتئب

وقال صوفي في موضع آخر"

ولا بكاؤك إن غنى المغنون *** ولا اضطراب كأن قد صرت مجنونا

وتتبع الحق والقرآن والدين***على ذنوبك طول الدهر محزونا"[2].

وإذا كان هذا هو ضبط المعاجم اللغوية والفقهية، وبعض من أعلام الصوفية، وجمهور المستشرقين المهتمين بالتصوف، لمصطلح الصوفية واشتقاقه، فيا تُرى ما هو مفهوم المركب " الخطاب الصوفي"؟.

---

1 – طبقات الشافعية الكبرى/تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي/تح د. محمود محمد الطناحي و د.عبد الفتاح محمد الحلو:ج10/ص219/هجر للطباعة والنشر والتوزيع/ط2/1413هـ

2 – الأدب في التراث الصوفي/د.عبد المنعم خفاحي/ص 25 وما بعدها/ القاهرة / مصر /دار غريب للطباعة/د.س.ن.

ثالثا: مفهوم الخطاب الصوفي.

من جملة ما تقدم من تعريف لمفردة كل من الخطاب ومفردة التصوف يمكن صياغة مفهوم الخطاب الصوفي على أنه يعني: جملة آداب السلوك إلى الله ممثلا في شعائر الصوفية من أوراد وأذكارومناهج تربوية ودعوية، وطرقه المعبرة عن سلوك مريديه إلى الله، مشفوعا بنقد الأئمة العلماء وإصلاحه داخليا وخارجيا.

وهذه الدراسة تحاول تتتبع تاريخ التصوف من حيث نشأته ومراحل تطوره، وأبرز رجالاته عبر التاريخ، ونشأة طرقه، مراعية ترتيبها حسب عراقتهاوتأثيرها في المجتمع، لتقدم نفسها عبر مرتكزاتها وتراثها العلمي والأدبي وأعلامها البارزين، كما تحاول التعرض لمناهج التربية والدعوة عند الصوفية، فلعلنا بعد وضعها في سياق تحليلها التاريخي والمنهجي؛ نجد مداخل لنقدها نقدا علميا صحيحا، مختتمة بدراسة جهود إصلاح الخطاب الصوفي – داخليا وخارجيا– بما يقدم استدلالات مفيدة بشيء من الإنصاف للمعتقدين والمنتقدين، على حد سواء.

الفصل الأول:-

تاريخ التصوف: نشأته ومراحل تطوره ونشأة الطرق.

وفيه ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: نشأة التصوف.

المبحث الثاني: مراحل تطورالتصوف .

المبحث الثالث: نشأة الطرق الصوفية.

المبحث الأول:-

تاريخ التصوف ونشأته.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ضبط أعلام الصوفية لملامح التصوف:

المطلب الثاني: تاريخ التصوف ونشأته.

المطلب الأول: ضبط أعلام الصوفية لملامح التصوف.

تمثل مدرسة التصوف في تاريخ الدعوة وواقعها أحد أبرز مدارس الفكر الإسلامي الذي كان ولا يزال موضع جدل فكري كبير بين مؤيديه ومعارضيه، دار الجدل حول أصوله ومؤيداته الشرعية، وطرقه وأهدافه وأعلامه ومصطلحاته.

وإذا كانت معظم الدراسات حول التصوف أفرغت جهدها في المقامات والأحوال والمواجيد وشطحات المتصوفة، مما أسهم في فرز أنموذجين من الدراسات عن التصوف – مفرط في المدح ، ومفرط في الإنكار والتنديد– فإن دراسة التصوف من خلال مقررات أعلامه الذين شكلوا مدارس نقدية للتصوف الإسلامي من الداخل، واستقراء النصوص التي حدّدت ملامح التصوف وسماته؛ لم تباشر بشكل أدق وأعمق وأكثر ارتباطا بحاضر التصوف وماضيه.

لذا يبقى التأصيل التاريخي، والتنظير الواقعي للتصوف الإسلامي شادّين بأيدينا إلى عرض جملة من أقوال أعلامه من خلال مصادره الموثوقة، لتبقى عملية الحكم له أو عليه مشروعة ومبررة، وإلا ستبقى دراسته أُلعوبة بيد المتلاعبين يصنعون بها زخرفا من القول غرورا. ولست هنا بحاجة إلى الإغراق في التعريف بمفهوم التصوف، بعد أن قتل بحثا وضبط ما يحدد معناه – لغة واصطلاحا.

أما من حيث ضبط أعلام الصوفيه لما يمكن أن يسمى تصوفا، فإننا نجد القشيري يورد في رسالته حديثا عن الجنيد رحمه الله يحدد فيه ملامح التصوف حين قال"...إن علمنا هذا مقيّد بأصول الكتاب والسنة...، علمنا هذا مشيّد بحديث رسول اللهﷺ والطرق كلها مسدودة على الخلق، إلا من اقتفى أثر الرسول واتبع سنته ولزم طريقته " [1].

والشيخ الشعراني في كتابه كشف الغمة يقول" كل طريق لم يمش فيه الشارع ﷺ فهو ظلام، ولا يكون أحد ممن مشى فيه على يقين من السلامة وعدم العطب...ويقول مخاطبا المنتمين للخطاب الصوفي" دوروا مع الشرع كيف كان، لا مع الكشف فلأنه يخطئ، وينبغي الإكثار من مطالعة كتب الفقه، عكس ما

1- المصدر السابق/صـ:111.

عليه المتصوّفة الذين لاحت لهم بارقة من الطريق فمنعوا مطالعة الفقه، وقالوا : إنه حجاب جهلا منهم "[1] .

وينقل الكلاباذي أبو بكر محمد الصوفي المشهور عن الصوفية أقوالا عديدة في أصل هذه الكلمة واشتقاقها, فقال : قالت طائفة : إنما سميت الصوفية صوفية لصفاء أسرارها، ونقاء آثارها. وقال بشر بن الحارث: الصوفي من صفت لله معاملته, فصفت له من الله عز وجل كرامته...

وقال قوم : إنما سموا صوفية لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل بارتفاع هممهم إليه , وإقبالهم عليه , ووقوفهم بسائرهم بين يديه، وقال قوم : إنما سموا صوفية لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة , الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ وقال قوم : إنما سموا صوفية للبسهم الصوف"[2] .

وقال الإمام الغزالي"قال الجنيد رحمه الله: قال لي السرّي شيخي يوما " إذا قمت من عندي من تجالس؟ قلت المحاسبي " قال نعم ! خذ من علمه وأدبه، ودع عنك تشقيقه الكلام ورده على المتكلمين " ثم لما وليت سمعته يقول "جعلك الله صاحب حديث صوفيا، ولا جعلك صوفيا صاحب حديث " والإمام الغزالي يتولّى فكّ هذا اللغز حيث يقول "أشار إلى أن من حصل الحديث– أي العلم– ثم تصوّف أفلح، ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه"[3]

من جملة ما تقدم من نصوص صدرت عن أئمة الصوفية نتبين بشيء من التحليل أن:

– التمسك بالشرع لازم من لوازم السلوك إلى الله الذي تمثله مدرسة التصوف فلا تعارض بين الشريعة والحقيقة، بل هناك تكامل وتلازم .

– لا غنى لعلم التصوف الباطني عن العلم بالأحكام الشرعية فلا مسوّغ للاعتماد على القلب في النظر والبحث بمعزل عن العقل، والوحي وتطبيقات النبي المعصوم ﷺ لهذا الوحي لأن الواقف على أقوال كبار أعلام الصوفية والذين خلفوا أبرز

1– شذرات الذهب في أخبار من ذهب/عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي/تح: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط/ج8/ص3741/دار بن كثير/ دمشق /سنة النشر/1406هـ

2 – التعرف لمذهب التصوف/للكلاباذي/تح: محمود أمين النواوي/ص 28 ومابعدها/مكتبة الكليات الأزهرية/القاهرة/ط1400/3 هـ .

3 – إحياء علوم الدين/أبو حامد الغزالي/تخريج: الحافظ العراقي/ج1/ص37وما بعدها/القاهرة/دار الغد العربي/د.ر/1986م.

المؤلفات عن الصوفية نجدهم يقولون لا غنى للباطن عن الظاهر، والظاهر عن الباطن، ويستدلون في ذلك بقوله تعالى: ﴿وأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[1] فالعلم ظاهر وباطن، والقرآن ظاهر وباطن، والإسلام ظاهر وباطن، لهم في ذلك احتجاجات من الكتاب والسنة"[2].

- التزام شرع الله دليلا على الكشف وليس العكس، لأن نتائج الكشف غير مطلقة.
- الاهتداء بمقتضيات أصول العقيدة وتعاليم الإسلام، متمثلة في تطبيقات الرسول ﷺ للوحي، لا اعتماد الشطحات والمواجيد الواردة من بعض المتصوفة المعتمدة على القلب في النظر والاستدلال .
- لا مستند للدعاوى التي تقرر إلغاء التكاليف الشرعية عن أتباع أيّ طريقة صوفية من واقع أقوال أئمة التصوف، بحجة وصولهم مرتبة اليقين، أو حالة من الحالات والمقامات التي عرفت في مصطلحات الخطاب الصوفي .

وإذا كان هذا الضبط على مستوى المصطلح؛ فإننا على مستوى المنهجية نستطيع بشيء من التسامح أن نتبين الخطاب الصوفي في مسيرته التاريخية من خلال نشأته في المطلب الآتي.

1-سورة لقمان/20.

2- ينظر: اللمع/الطوسي/ص44/مصدر سابق.

المطلب الثاني: تاريخ التصوف ونشأته.

إن الناس اختلفوا في نشأة التصوف في تايخ المسلمين كاختلافهم في أصله وتعريفه, فقد ذكر ابن تيمية وسبقه في ذلك ابن الجوزي وابن خلدون"أن لفظ الصوفية لم يكن مشهورا في القرون الثلاثة الأولى, وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك, وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ كالإمام أحمد بن حنبل, وأبي سليمان الداراني وغيرهما, وقد روى عن سفيان الثوري أنه تكلم به, وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصري"[1].

بيد أن ابن تيمية ذهب إلى أبعد من هذا، لأنه أضاف إلى تحديد زمان نشأة التصوف؛ تحديد مكان نشأته أول مرة، فقال" أول ما ظهرت الصوفية في البصرة وأول من ابتنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد، وعبد الواحد من أصحاب الحسن ، وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر أهل الأمصار..."[2] .

ويقول ممدوح الحربي" فخلال القرنين الأولين ابتداءً من عهد الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين حتى وفاة الإمام الحسن البصري رحمة الله عليه لم تُعرف الصوفية لا باسمها ولا برسمها ولا بسلوكها، بل كان المسمى الجامع هو المسلمون أو المؤمنون أو بعض المسميات الخاصة مثل الصحابي أو البدري أو أصحاب البيعة أو التابعين، ولم يَعرف ذلك العهد هذا الغلو التعبدي أو الاعتقادي إلا بعض النزعات الفردية في التشديد على النفس الذي نهاهم عنه النبي ﷺ في أكثر من مناسبة، ومنها قوله ﷺ للرهط الذين سألوا عن عبادته ﷺ وكأنهم تقالّوها، فقال لهم ﷺ:" أأنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني" [3] وقوله ﷺ للحولاء التي طوقت نفسها بحبل حتى لا تنام عن قيام الليل كما في حديث عائشة

1 – الصوفية والفقراء/ابن تيمية/ص5/ط القاهرة/د.ن.تلبيس أبليس لابن الجوزي ص 157 دار القلم بيروت/ لبنان/د.د.ن.

[2] المصدر السابق/ص19.

[3] – خرجه البخاري في صحيحه/كتاب النكاح باب الترغيب والترهيب/ج15/ص393/الحديث رقم (4675)

رضي الله عنها قال ﷺ: "عليكم من العمل ما تطيقون فإن الله لا يملّ حتى تملّوا وأحبّ العمل إلى الله مادام وإن قلّ "[1]

وهكذا كان الصحابة والتابعون وتابعوهم على هذا المنهج يسيرون، يجمعون بين العلم والعمل، والعبادة والسعي على النفس والعيال، وبين العبادة والجهاد في سبيل الله والتصدي لأهل البدع والأهواء، حتى جاء القرن الثاني الهجري في عهد التابعين وظهرت طائفة من العباد آثروا العزلة وعدم الاختلاط بالناس فشددوا على أنفسهم في العبادة على نحوٍ لم يُعهد من قبل بسبب:

1- بعض الفتن الداخلية وما حصل من المسلمين من إراقة الدماء الزكية ، فآثر هؤلاء العباد اعتزال المجتمع طلبًا للسلامة في دينهم

2- يُضاف إلى ذلك أيضًا فتح الدنيا أبوابها على المسلمين، وبخاصة بعد اتساع الفتوحات الإسلامية وانغماس بعض المسلمين فيها وشيوع الترف والمجون بين طبقة السفهاء، مما أوجد ردّة فعل عند بعض العباد، وبخاصة في البصرة والكوفة إذ كانت بداية الانحراف عن المنهج النبوي هناك"[2].

ففي الكوفة مثلا ظهرت جماعة من أهلها اعتزلوا الناس وأظهروا الندم الشديد بعد مقتل الحسين بن عليّ رضي الله عنهما، وسموا أنفسهم بالتوابين أو البكائين، كما ظهرت طبقة من العبّاد غلب عليهم جانب التشدّد في العبادة والبعد عن المشاركة في مجريات الدولة مع علمهم وفضلهم والتزامهم بآداب الشريعة واشتغالهم بالكتاب والسنة – تعلمًا وتعليمًا–بالإضافة إلى صدعهم بالحق وتصديهم لأهل الأهواء، كما ظهر فيهم الخوف الشديد من الله تعالى والإغماء والصعق عند سماع القرآن مما جعل بعض الصحابة ﷺ وكبار التابعين ينكرون عليهم كأسماء بنت أبي بكر وعبد الله بن الزبير ومحمد بن سيرين ونحوهم ﷺ، وبسببهم شاع لقب العبّاد والزهّاد والقرّاء، هذه الألقاب بدأت تنتشر في تلك الفترة...

---

[1] – خرجه البخاري/ج17/ص200/الحديث رقم (5413)

[2] – الصوفية وطرقها/الشيخ: ممدوح الحربي/ج1/ص2 وما بعدها/د.د.ن

ومن أعلامهم: عامر بن عبد الله بن الزبير وصفوان بن سليم وطلق بن حبيب العنزي وعطاء السلمي والأسود بن يزيد بن قيس وداود الطائي وبعض أصحاب الحسن البصري"[1].

هكذا يضبط الشيخ ممدوح الحربي نشأة التصوف في تاريخ المسلمين، ولكن هل يقر له الصوفية بهذا التحديد أم لهم نظرتهم في تحديد نشأة خطابهم الصوفي؟

يقول أبو السراج الطوسي في الباب الذي خصصه للرد على من قال: لم نسمع بذكر الصوفية في القديم وهو اسم مستحدث: يقول في هذا الباب" إن سأل سائل فقال: لم نسمع بذكر الصوفية في أصحاب رسول الله ﷺ و ﷺ أجمعين, ولا فيمن كان بعدهم, ولا نعرف إلا العبّاد والزُّهاد والسيَّاحين والفقراء, وما قيل لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ صوفي, فنقول وبالله التوفيق: الصحبة مع رسول الله ﷺ لها حرمة, وتخصيص من شمله ذلك, فلا يجوز أن يعلق عليه اسم على أنه أشرف من الصحبة, وذلك لشرف رسول الله ﷺ وحرمته, ألا ترى أنهم أئمة الزهاد والعباد والمتوكلين والفقراء والراضين والصابرين والمختبين, وغير ذلك, وما نالوا جميع ما نالوا إلا ببركة الصحبة مع رسول الله ﷺ, فلما نسبوا إلى الصحبة والتي هي أجل الأحوال؛ استحال أن يفضلوا بفضيلة غير الصحبة التي هي أجل الأحوال وبالله التوفيق"[2].

ويواصل الطوسي ليدعم نظرته في نشأة التصوف فيقول" وأما قول القائل: إنه اسم محدث أحدثه البغداديون فمحال, لأن في وقت الحسن البصري رحمه الله كان يعرف هذا الاسم, وكان الحسن قد أدرك جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ و ﷺ وقد رُوي عنه أنه قال: رأيت صوفيا في الطواف فأعطيته شيئا فلم يأخذه وقال : معي أربعة دوانيق يكفيني ما معي"[3].

أما القشيري فقال : اشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة"[4].

---

[1] – المصدر نفسه/ص3.

2 – اللمع للطوسي ص وما بعدها42.

[3] – المصدر نفسه/ص43.

[4] – الرسالة/القشيري/ ص 53.

أما المستشرقون الذين كتبوا عن التصوف, فمنهم نيكلسون الذي يرى "أن لفظة التصوف أطلقت أول ما أطلقت على أبي هاشم الكوفي المتوفى سنة 150 هـ

ولكن المستشرق الفرنسي المشهور ما سينيون يرى غير ذلك, فيقول: ورد لفظ الصوفي لأول مرة في التاريخ في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي إذ نعت به جابر بن حيان, وهو صاحب كيمياء شيعي من أهل الكوفة, له في الزهد مذهب خاص, وأبو هاشم الكوفي الصوفي المشهور...، وإذن فكلمة صوفي كانت أول أمرها مقصورة على الكوفة"[1].

وقد قال ماسينيون" لم يكن السالكون لطرق الله في الأعصار السالفة والقرون الأولى يعرَفون باسم المتصوفة , وإنما الصوفي لفظ أشتهر في القرن الثالث , وأول من سمي ببغداد بهذا الاسم عبدك الصوفي , وهو من كبار المشائخ وقدمائهم , وكان قبل بشر بن الحارث الحافي والسري بن المفلس السقطي"[2] .

أما ابن الجوزي فقد قال قبل ابن تيمية في تحديد نشأة التصوف" كانت النسبة في زمن رسول الله ﷺ إلى الإيمان والإسلام، فيقال : مسلم ومؤمن, ثم حدث اسم زاهد وعابد, ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد, فتخلوا عن الدنيا, وانقطعوا إلى العبادة , واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها, وأخلاقا تخلقوا بها, ثم قال: وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين, ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه، وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة, وحاصلها أن التصوف عندهم رياضة النفس, ومجاهدة الطبع بردّه عن الأخلاق الرذيلة , وجعله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والإخلاص والصدق إلى غير ذلك من الخصال الحسنة التي تكسب المدائح في الدنيا والثواب في الأخرى ... وعلى هذا كان أوائل"[3].

وقالت طائفة: إنه اسم للزهد الذي تطور بعد القرون المشهود لها بالخير، كرد فعل على زخرفة المدنية وزينتها التي انفتحت أبوابها على المسلمين بعد الفتوحات، وانغماسهم في ترف الدنيا ونعيمها، ودخلت بعد ذلك أفكار أجنبية وفلسفات غير

---

1 – دائرة المعارف الإسلامية/ الطبعة العربية/مادة تصوف/ج5/ص266.

[2] – التصوف/لماسينيون ومصطفى عبد الرزاق/ص 55 وما بعدها/ط دار الكتاب اللبناني/1984 م

[3] – تلبيس إبليس/ابن الجوزي/ ص 156 وما بعدها/ ط دار القلم بيروت/لبنان/د.س.ط.

إسلامية، وذهب إلى هذا الرأي ابن تيمية والشوكاني وغيرهما من بعض أعلام السنة، حتى الصوفية أنفسهم وبعض المستشرقين يرون هذا الرأي "[1].

ويقول ابن الجوزي أيضا في تلبيس إبليس:

"والتصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي ثم ترخص المنتسبون إليه بالسماع والرقص. فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من التزهد ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب"[2].

لكن بعض الباحثين يفرقون ما بين التصوف والزهد، ففي معرض تريفهم لمصطلح التصوف يرون أن التصوف: حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري وذلك كنزعات فردية تدعو إلى الزهد وإلى شدة العبادة تعبيرًا عن ردة الفعل المعاكسة للانغماس في الدنيا والترف الحضاري، ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرقًا مميزة معروفة بطرق الصوفية"[3].

أماالشيخ أبو زهرة رحمه الله من المتأخرين فيحدد سبب ظهور التصوف والينابيع التي استقى منها، فيقول: "نشأ التصوف من ينبوعين مختلفين تلاقيا:

1. "الينبوع الأول: هو انصراف بعض العباد المسلمين إلى الزهد في الدنيا والانقطاع للعبادة وقد ابتدأ ذلك في عصر النبي ﷺ فكان من الصحابة من اعتزم أن يقوم الليل مجتهداً ولا ينام، ومنهم من يصوم ولا يفطر ومنهم من ينقطع عن النساء، فلما بلغ أمرهم إلى النبي ﷺ قال: مابال أقوام يقولون كذا وكذا. لكني أصوم وأفطر وأصلي وأنام وأتزوج النساء"[4].

2. والينبوع الثاني: الذي وجه النفوس هو ما سرى إلى المسلمين من فكرتين إحداهما فلسفية، والأخرى من الديانات القديمة، وهما:

الفكرة الأولى: فهي فكرة الإشراقيين من الفلاسفة وهم الذين يرون أن المعرفة تُقذَف في النفس بالرياضة الروحية والتهذيب النفسي.

---

1 – التصوف المنشأ والمصادر/إحسان إلهي ظهير/ص43وما بعدها/إدارة ترجمان السنة/ لاهور/1406هـ.

2 – تلبيس إبليس/ابن الجوزي/ ص 161.

3 – الصوفية وطرقها/الشيخ: ممدوح الحربي/ج1/ص32/مصدر سابق.

4 – سبق تخريجه.

والفكرة الثانية: فكرة الحلول الإلهي في النفوس الإنسانية أو حلول اللاهوت في الناسوت وتلك الفكرة قد ابتدأت تدخل في الطوائف التي كانت تنتمي كذباً إلى الإسلام في الصدر الأول عندما اختلط المسلمون في النصارى، وقد ظهرت تلك الفكرة في السبئية وبعض الكيسانية ثم القرامطة ثم في بعض الباطينة ثم ظهرت في لونها الأخير في بعض الصوفية. وهناك معين آخر أخذت منه فيما يظهر النزعات الصوفية وهو كون النصوص والأحكام- أي نصوص الكتاب والسنة- لها ظاهر وباطن... ويظهر أن المتصوفة قد استفادوا واستعاروا ذلك التفكير من الباطنية..."[1].

إن أبا زهرة بهذا التقرير يرى أن التصوف كظاهرة من غير اسم وجد منذ عهد النبوة، حيث وجد أولئك النفر الذين أرادوا اتخاذ التبتل إيغالا في العبادة، وإمعانا في البعد عن ملذات الدنيا حتى المباحات منها، ولذلك وقف في وجههم الشارع ولم يرض منهم ذلك السلوك لتنافيه مع الفطرة السوية،

وإذا كان المستشرقون قد حددوا نشأة التصوف في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، وإذا كان ثلة من العلماء من أمثال ابن الجوزي وابن تيمية وهم المصنفون بأنهم من خارج الخطاب الصوفي يرون أن التصوف لم يظهر مذهبا ومشربا ولم يرج مصطلحاته الخاصة به وكتبه ومواجيده وأناشيده تعاليمه وضوابطه أصوله وقواعده وفلسفته ورجاله وأصحابه؛ إلا في القرن الثالث من الهجرة وما بعده، وإذا كان الصوفية قد أرجعوا نشأة التصوف إلى القرن الأول الهجري بل إلى صدر الإسلام، فليس إلا لأنهم يدركون أن التصوف تجربة روحية مؤداها الزهد عن الدنيا وزخرفها ومتاعها الزائل.

لذلك يقول أحد الباحثين في الخطاب الصوفي" إن غياب مصطلح الزهد عنوانا للحركة الروحية في الإسلام وظهور لفظ التصوف بديلا له يحدد في ذاته بدء مرحلة جديدة في تطور النزعة الروحية في الإسلام، وهي مرحلة تشير إلى

[1] – "ابن تيمية"محمد أبو زهرة/صـ 197 وما بعدها.

عملية استمداد واسعة من دوائر الفكر الأجنبية، وهكذا تطور الأمر من زهد وعبادة إلى نظريات فلسفية ذات طابع صوفي، عليها مسحة الغلو الغريبة "[1] .

ولهذا تنبه بعض أعلام التصوف– قدامى ومعاصرين– إلى الفصل بين الزهد وبين التصوف لتتميّز بعد ذلك ملامح التصوف السني عن التصوف الفلسفي، نجد ابن الجوزي من القدامى يقول" التصوف مذهب معروف يزيد على الزهد، ويدل على الفرق بينهما؛ أن الزهد لم يذّمه أحد، وقد ذمّوا التصوف "[2] .

وإلى قريب من هذا ذهب السهروردي على أن اسم التصوف اسم جامع لمعاني الفقر ومعاني الزهد، مع مزيد أوصاف لا يكون الرجل دونها صوفيا، وإلى هاتين المرحلتين المتباينتين يشير نيكلسون موضّحا الفرق بينهما حيث يقول "وأقدم أقوال التصوف الإسلامي كان تصوّف زهد وورع، لا تصوف فلسفة ونظر، فالصوفية الأولون كانوا في الحقيقة زهادا وادعين أكثر منهم صوفية"[3] .

واستمد نيكلسون رأيه هذا من ابن خلدون الذي ميّز بوضوح بين الزهد والتصوف، واعتبر الأول إسلاميا في أصوله وميادينه، وعدّ الآخر أنظارا فلسفية ومعتقدات أجنبية لا تمتّ إلى الإسلام بصلة "[4].

من كل ما تقدم نستطيع الوصول إلى ضبط مسيرة التجربة الروحية في الإسلام، تمييزا للحق عن الباطل، وسدا لباب طالما تسللّت منه دعوات الباطل ولم يتميز في ظلها الخبيث من الطيب.

لذلك يقول القشيري في رسالته "إن المسلمين بعد رسول الله ﷺ لم يتسمّ أفاضلهم بتسمية علم سوى صحبة رسول الله ﷺ إذ لا فضيلة فوقها، ولما أدركهم أهل العصر الثاني سمي من صحب الصحابة التابعين...، ثم قيل لمن بعدهم أتباع التابعين ثم اختلف الناس وتباينت المراتب، فقيل لمن لهم شدة عناية بأمر الدين –الزهاد والعباد –ثم ظهرت البدع وحصل التداعي بين الفرق فكل فريق ادعوا

---

[1] – نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها/عرفان عبد المجيد فتاح/75/مصدر سابق.

2– ينظر: في التصوف الإسلامي وتاريخه/نيكلسون/تح:عبد العلاء عفيفي/79/مكتبة القضماني/دمشق/د.ط.ت.

3– المرجع السابق/70وما بعدها.

4– ينظر: نشأة الفلسفة التصوفية وتطورها/ عرفان عبد المجيد فتاح/77/مرجع سابق.

أن فيهم زهادا، فانفرد المراعون أنفاسهم مع الله تعالى الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوّف، واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المئتين من الهجرة..."[1]

هذه المرحلة تعد فاصلة في تاريخ التجربة الروحية في الإسلام كما ورد في كتاب نشأة التصوف الفلسفي وتطوره" لأنها تمثل الفترة التي بلغ اهتمام المسلمين بترجمة التراث الأجنبي إلى العربية مداه ...وليس من شك أنه كان للمعارف الأجنبية أثرها العميق والفعال –سلبا أو إيجابا– في جوانب الفكر الإسلامي، وهكذا بدأت الحركة الروحية في الإسلام كغيرها من جوانب الفكر تستوعب أنظارا وأفكارا فلسفية ودينية استمدتها من عناصر أجنبية متباينة ...لولا الجهود المخلصة التي بذلها أكابر الصوفية من أهل السنة ممن تصدوا للتصوف السلبي وردوا علم الحقيقة إلى أحضان الشريعة وحدودها"[2] .

إن هذا النص يحمِّل الباحثين في قضايا الخطاب الصوفي والصوفية أنفسهم، مسؤولية البحث عن تاريخ اتصال هذا المصطلح (التصوف)بهذه الحركة، لأننا في تاريخ الدعوة ومن دراسات كبار المؤرخين، وحتى من أعلام الصوفية لم نجد ربطا لهذه الحركة الروحية باسم (الصوفية)، بحيث يكون هذا الاسم مدخلا للحكم لهذه الحركة أو عليها، خاصة إذا علمنا أن هذا الإطلاق لاحق لهذه الحركة بشهادة أعلام اللغة، والمؤرخين القدامى وحتى والمستشرقين المهتمين بالتصوف وأعلام الصوفية أنفسهم .

وهذا واقع يدفعنا للتعرف على مراحل تطور التصوف التي لحقته في تاريخه من خلال المبحث الآتي:

1–الرسالة القشيرية/ عبد الكريم بن هوازن القشيري/111/1.

2– نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها/عرفان عبد المجيد فتاح/5/دار الجيل/بيروت/د.ط/1413هـ1993م.

المبحث الثاني:

مراحل تطور التصوف، وأبرز رجالاته عبر التاريخ.

المطلب الأول: مرحلة التصوف السني .

المطلب الثاني: مرحلة التصوف الفلسفي.

المطلب الأول: مرحلة التصوف السني .

لم يكن التصوف معروفاً في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم ولا في عصر التابعين رحمهم الله ، وإن كانت حقيقته معروفة ، لأن جل ما يصبوا إليه المرء هو الانتساب إلى الصحابة ثم إلى التابعين رحمهم الله وكفى بالمرءِ شرفاً أن ينتسب إلى محمدﷺ وإلى أصحابه ﵃ بالاتباع.

وفي القرن الأول لم يكن يعرف اسم التصوف، بل كان أهله يعرفون باسم الزهاد والنساك والبكائين وليس باسم الصوفية، وكان اعتقادهم صافياً وإيمانهم نقياً خالصاً وما كان ابتعادهم عن الدنيا إلا لارتياعهم من عذاب الآخرة، وهرعوا إلى الكهوف والمغاور ورؤوس الجبال حيث الوحدة الصافية والانعزال عن صخب الحياة المادية"[1] .

ثم بعد مضيّ عصر الصحابة والتابعين وفي أواخر القرن الثاني الهجري بدأ لفظ الصوفية يظهر، وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ كالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله (241.164هـ) وأبو سليمان الداراني المتوفى سنة 215هـ وقيل إن أول من بني دويرة للصوفية هو بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد المتوفى بعد الخمسين ومائة للهجرة. وهو من أصحاب الحسن البصري وكان ذلك في البصرة، وإن أول من عرف باسم صوفي في المجتمع الإسلامي هو أبو هاشم الصوفي المتوفى قبل منتصف القرن الثاني الهجري"[2].

ويقول عمر رضا كحالة ورد لفظ (الصوفي) لقباً مفرداً في النصف الثاني للهجرة إذ نُعت به جابر بن حيان الكوفي، وأما صيغة الجمع (الصوفية) فإنها ظهرت فيما انتهى إليه عمر رضا كحالة عام 199هـ"[3].

وهذا ما دفع الشيخ محمد الغزالي إلى القول" إنّ التصوّف لا يعدو أنْ يكون خطًّا فكريًّا، وُلد مبكّرًا في المجتمع الإسلاميّ، ومرَّ بمراحل وتطوّرات هامّة، وأثناء تطوّره تشكّلت فيه مدرستان؛ مدرسة التصوّف السّني التي يمكن اعتبارها "مدرسة

---

[1] – ينظر: ابن تيمية وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره/محمد حربي/ص182/عالم الكتب/1407هـ 1987م .

2– الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ/محمود عبد الرؤوف القاسم/ص745/دمشق/1974م.

[3] – ينظر: دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة/عبد الله الأمين/ص243/دار الحقيقة/بيروت/1406هـ 1986م.

تربية الرّوح، وتزكية النفس، وتطهير القلب، وهذه تحتاج إلى قليل من المراجعة ليستفاد منها في ميدان علم النفس والتربية والاجتماع والسلوك، أمّا المدرسة الثانية، فهي مدرسة التصوّف الفلسفي التي اخترقتها تيارات الإشراق والغنوصيّة والحلول والأفلاطونيّة، فابتعدت عن معايير العقل فضلاً عن الوحي، وهذه الأخيرة هي التي قالت بالحلول، والاتحاد، والفَيْض، ووَحْدة الوجود، والحقيقة الباطنيّة، وأسقطت ظاهر الشريعة من الاعتبار، وهذه تحتاج إلى نقد وتفكيك ومواجهة علميّة، لهدم ما يبدو فيها من تناسق علميّ ومنطقيّ على غير أساس متين"[1].

لذا يمكن تتبع هاتين المرحلتين اللتين مر بهما التصوف من خلال مطالب هذا المبحث.

1 – محمد الغزالي، تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، ص 60 وما بعدها.

أما إطلاق لفظة سني للنموذج الأول، فلتمثّله التجربة الروحية في الإسلام التي أشرقت على بصائر أصحابها ممن طرقوا سبيل التطهر الروحي والسمو الأخلاقي، وهذا هو النموذج الرائع المتمثل في الصحابة ﷺ.

إذا أهملنا ظهور اللفظ ونظرنا إلى حقيقة التصوف وهو الترفع عن الشهوات والاهواء، فنستطيع أن ندخل عصر الصحابة ﷺ في ذلك فيكون هو الطور الأول، بل ليس الرسول صلى الله عليه وسلم إلا نموذجا من نماذج الصوفية يمكن إدراجه في مقدمتهم، وهو ما فعله أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء"[1]، وابن الجوزي في صفوة الصفوة"[2] .

ويكون هذا الطور هو صدر الإسلام وعصر الصحابة، وهو يتناول القرن الأول الهجري وأوائل القرن الثاني عصر كبار التابعين، وهذا العصر مليء بأخبار زهد الصحابة ﷺ وأبرز رجال هذا الطور الخلفاء الراشدون، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وكذلك عبد الله بن عباس، وأبو عبيدة ﷺ وغيرهم كثير فهم الذين كان يتنزل القرآن بين ظهرانيهم ويتلوه عليهم سيد البشر ﷺ.ومن ثم فإن إطلاق مصطلح التصوف وإضافته إلى السنة قد لا يصحّ من الناحية التاريخية على هذه المرحلة الأولى من التجربة الروحية في الإسلام، لأنها تمثل كما يقول الدكتور السائح علي حسين" المرحلة الأولى التي يشملها صدر الإسلام وعهد النبوة، وفي هذه المرحلة لم يكن شيء يسمى بالتصوف، ولكن الذي كان سائدا سمّي- إخلاصا وتزكية للنفس وزهدا وإحسانا، والمنبع الرائع الذي يغذّي هذا الفكر هو القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وعمل الصحابة والتابعين بوصفهم تلاميذ مدرسة النبوة ". [3] وهذا ما قرأناه سابقا من خلال أقوال أعلام التصوف- قدامى ومحدثين - ولكن ذيوع هذا المصطلح مؤخّرًا في أبحاث ودراسات المهتمين بهذه الظاهرة يعطينا مسوّغا

---

1 - ينظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني/ج1/ص274/دار الكتاب العربي - بيروت/ط: الرابعة/1405هـ

2 - ينظر: صفة الصفوة/عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج/ج2/ص382/ تح: محمود فاخوري - د.محمد رواس قلعه جي دار المعرفة - بيروت/الطبعة الثانية ، 1399 - 1979م.

3- لمحات من التصوف الإسلامي وتاريخه/السائح علي حسين/ص21/منشورات كلية الدعوة الإسلامية/ط1997/2م.

لاستعماله بغية التصنيف والضبط وفرز العناصر الدخيلة من غيرها، من واقع معطيات ونتائج تلك الأبحاث لا غير؛ ولا مشاحة في الاصطلاح .

الطور الثاني : طور التسامي عن الحياة المادية.

والمراد بهذا النوع من التصوف هو ما كان قرين الزهد والتقلل من متاع الدنيا وملذاتها وهو امتداد لما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وإن كان هذا الزهد لم يعرف باسم التصوف إلا في أواخر القرن الثاني الهجري فإن أصله ومعناه وحقيقته كان معروفاً في زمن رسول الله ﷺ، وقد حث على ذلك القرآن الكريم في كثير من أي الكتاب الحكيم قال تعالى :﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[1].

وقال تعالى : ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[2] وكذلك كثر ذكر الزهد في كتب الحديث والسنن وكثرت أبوابه، والناظر فيها يجدها قد اشتملت على أبواب كثيرة مثل باب الزهد في الدنيا، باب فضل الجوع ، باب القناعة والعفاف، باب فضل البكاء من خشية الله، والناظر في هذه الكتب يجد كثيراً من الأحاديث والآثار الواردة في الزهد ومن ذلك قوله ﷺ"والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثلُ ما يجعل أحدُكم أُصبعَه هذه في اليمّ فلينظرْ بم يرجع"[3] .

وقوله ﷺ" كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل" وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول : " إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك "[4].

لذا لم يكن مستغرباً أن يزهد أصحاب النبي ﷺ و ﷺ في دنياهم، ولا تابعوهم والسلف الصالحون، ولم يكن الزهد عن قلة المال وإنما الزاهد هو من جاءه المال فزهد فيه وأنفقه ولم يجعله كل همه.

والتصوف السني إنما يمثل التيار الذي اشتهر بالصدق بالزهد إلى حدّ البعد عن الدنيا وكان يغلب عليهم همُّ الاستقامة في العقيدة، كانوا مستقيمين في العقيدة

---

[1] – سورة غافر/174

[2] – سورة العنكبوت/64

3–أخرجه مسلم في صحيحه /فيكتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر/ج4/ص2193، حديث رقم (2858)

4 – خرجه البخاري في صحيحه/ في كتاب الرقاق باب كن في الدنيا كأنك غريب/ج20/ص39/لحديث رقم (6416)

والتزام السنة ونهج السلف، وهذ ما ذهب إليه ابن خلدون الذي قال" "هذا العلم من علوم الشريعة الحادثة في الملّة. وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصّحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحقّ والهداية، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذّة ومال وجاه، والانفراد في الخلوة للعبادة. وكان ذلك عامًّا في الصّحابة والسلف. فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفيّة والمتصوفة"[1].

والملاحظ أن عصر الصحابة ﷺ كان عصر التوازن بين متطلبات الروح ومتطلبات الجسد، وبين الدنيا والآخرة، وبين الخلوة والمخالطة، فهم مع ترفعهم عن الانخراط والانغماس في متاع الدنيا إلاّ أنهم لم يعزفوا عن الدنيا بالكلية لأن الإسلام يدعو إلى التوازن والتوسط في الأمور جميعها بلا إفراط ولا تفريط.

ولم يدع الإسلام إلى الغلو والتنطع ولا إلى التفرغ الكامل للزهد والاعتكاف عن الجهاد بل ثمة نصوص كثيرة تخالف هذا الاتجاه منها : قوله تعالى : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا﴾[2] وقال ﷺ : " صم وأفطر وقم ونم فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً "[3].

الطور الثالث : طور التشبه بالسابقين.

وهذا الطور يبدأ في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري والقرن الثالث. وامتاز هذا الطور بالحرص على الاتباع دون الابتداع، ولعلنا نستند إلى قول عبد الله أمين الذي قال" ثم بعد مضي عصر الصحابة والتابعين وفي أواخر القرن الثاني الهجري بدأ لفظ الصوفية يظهر، وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ كالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله (164-241هـ) وأبو سليمان الداراني

---

[1] – المقدمة/عبد الرحمن بن خلدون/ج3/ص1063/تح: علي عبد الواحد وافي/ دار الجيل،بيروت،د.ت.ن.

2 – سورة القصص: الآية 77.

[3] – أخرجه البخاري، في صحيحه/ في كتاب الصوم، باب : حق الجسم في الصوم. ح 2، ص 697، حديث رقم (1975)

المتوفى سنة 215هـ وقيل إن أول من بني دويرة للصوفية هو بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد المتوفى بعد الخمسين ومائة للهجرة. وهو من أصحاب الحسن البصري وكان ذلك في البصرة، وإن أول من عرف باسم صوفي في المجتمع الإسلامي هو أبو هاشم الصوفي المتوفى قبل منتصف القرن الثاني الهجري"[1].

وعلى رأس هذا الطور ظهر إبراهيم بن أدهم ت 161 هـ وهو يغزو في بلاد الروم وأبو سليمان داوود بن نصر الطائي ت 165هـ وقد انشغل بالعلم والفقه واشتهر بالخلوة والعبادة، ومن أعظم الذين ظهروا في هذا العصر رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية أم الخير المشهورة بالزهد والصلاح الداعية إلى حب الله لذاته وقد توفيت على الأرجح عام 185هـ"[2].

يقول أحمد أمين في هذا الصدد" يبدو أنّ أهمَّ رموز التصوّف بدأ ظهورهم خلال القرن الثالث الهجريّ. فقد ظهر في العراق الحارث المحاسبيّ، ثمّ ظهر إمام الصوفيّة الجُنيد، المتوفّى سنة 297هـ ببغداد، وغيرهما.وكان تصوّف هؤلاء يظهر في نظرة خاصّة إلى التقوى ومحاسبة النفس وتطهيرها من الذنوب وفي الاجتماع على حلقات البكاء والندم. وعلى الرغم من أنّ هؤلاء الرموز من الزهّاد لم يأتوا بشيء يُذكر من الأفكار والآراء الجديدة على الثقافة الإسلاميّة، إلاّ أنّ تحفّظ الفقهاء على ممارساتهم كان واضحاً"[3].

وهناك آخرون جاءوا في هذه الطبقة أمثال سليمان الداراني وعبد الرحمن بن أحمد بن عطية العَنّيّ وأحمد بن أبي الحواريّ والحسن بن منصور بن إبراهيم أبو علي الشطويّ الصوفيّ وسريّ السقطي وسهل بن عبد الله التستري ومعروف الكرخي.

يقول ممدوح الحربي في كتابه الموسوم (لصوفة وطرقها) "وقد أتى من بعدهم من سار على طريقتهم مثل عبد الرحمن السلّمي ومحمد بن الحسين الأسدي

---

1 – دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة/بد الله الأمين/ص243/مصدر سابق.

2 – التصوف في الإسلام/عمر فروخ/ ص62/دار الكتاب العربي/بيروت/1981م.

3 – ظهر الإسلام/أحمد أمين/ج1/ص 228 ومابعدها/د.د.ن.

ومحمد بن الحسن بن الفضل بن العباس أبو يعلى البصري الصوفي وهو شيخ الخطيب البغدادي"[1].

من أهم سمات هذه الطبقة :

هو بدايةً التميز عن جمهور المسلمين والعلماء، في مصطلحات تدل على ذلك بشكل مهّد لظهور الطرق بعد ذلك مثل قول بعضهم: علمنا أو مذهبنا أو طريقنا .

كثرت بين هذه الطبقة هذه الألفاظ التي تميزت بينهم وبين فقهاء المسلمين في ذلك الوقت حيث كان الواحد منهم يقول: علمنا أو مذهبنا أو طريقنا، أو مثلاً مثل قول الجنيد: "علمنا مشتبك مع حديث رسول الله ﷺ"[2] ..

"بل قد اشترطوا على من يريد السير معهم في طريقتهم أن يخرج من ماله وأن يقل من غذائه كما كثر بين هذه الطبقة وهي الطبقة الأولى من طبقات الصوفية الاهتمام بالوعظ والقصص، كما نتج عن ذلك اتخاذُ دورٍ للعبادة غير المساجد يلتقون فيها للاستماع للقصائد الزهدية أو قصائد ظاهرها الغزل بقصد مدح النبي ﷺ وهذا الأمر سبب العداء الشديد بين هذه الطبقة وبين فقهاء الإسلام رحمة الله عليهم"[3] .

وفي هذه الفترة ظهرت لهم تصانيف كثيرة، مثل الكتاب المسمى بـ(قوت القلوب) لأبي طالب المكيّ، وكتاب (حلية الأولياء) لأبي نعيم الأصبهاني وكتب الحارث المحاسبي "[4].

ولكن مهما قيل في شأن هذه المرحلة إلا أنها لا شك أنجبت رجالا أفذاذا خدموا هذه الأمة، فقها وتربية وجهادا، ولذلك عزا الدكتور علي محمد محمد الصَّلاَّبيَّ مجموعة من الإفرازات الإسلامية لهذه المرحلة من مراحل التصوف الإسلامي، وذلك حين يقول:

---

[1] - الصوفية وطرقها/ممدوح الحربي/ج1/ص4/مصدر سابق.

2- مجموع الفتاوى/ابن تيمية/تح:أنور الباز وعامر الجزار/ج11/ص595/دار الوفاء/ط2/1426 هـ / 2005 م

[3] - المصدر السابق/ص4 وما بعدها.

[4] - الصوفية وطرقها/الشيخ: ممدوح الحربي/ج1/ص4 وما بعدها/مصدر سابق.

" إن العز بن عبدالسلام امتداد لمدارس التزكية السنية التي سبقه إليها كبار الصحابة وسادة التابعين، من أمثال الحسن البصري، ومالك بن دينار وأيوب السختياني، واستمرت مدرسة التصوف السني إلى يومنا هذا، فهي تهتم بالورع والتقوى والزهد والثقة بالله والاعتماد عليه ودوام الصلة به، وشدة مراقبة العبد لربه في الخلوة والجلوة، والسر والعلن ولا يقصد إلا مرضاته في كل ما يصدر عنه، ولقد ضرب العز بن عبدالسلام في عصره أروع الأمثلة لهذه المعاني الإسلامية الثابتة في القرآن والتي طبقها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته وعبادته وتربيته، وسار عليها معظم السلف الصالح وأولياء الله، وعبَّاده الأتقياء ويوافق عليها كل مسلم يزداد في هذا المجال، وازداد في هذا المجال تعلقاً والتزاماً وقرباً وشوقاً كلما تقدمت به السن وعرف حقيقة الحياة وجرب ما فيها، وأيقن مصيره إلى لقاء الله وحسابه وجنته ورضوانه وهذه المعاني الإسلامية الثابتة والمهمة والجليلة يدعو إليها كل عالم عامل ومسلم صادق وداعية مخلص"[1].

مصادر التصوف السني :

1- القرآن الكريم :

والقرآن الكريم هو الأساس الذي يستمد منه كل علم شرعي شرعيته، وعليه يعتمد أهل الحق في التمسك بحقهم. كما أن القرآن الكريم هو الكتاب الخاتم وهو الكامل الشامل كما قال تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الإِسْلامَ دِينًا﴾[2] لذلك لم يهمل القرآن الدعوة إلى الزهد والتقلل من متاع الحياة الدنيا التي يضرب لها مثلاً بقوله ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتْ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3].

---

[1] – سلسلة فقهاء النهوض–الشيخ عز الدين بن عبدالسلام سلطان العلماء وبائع الأمراء/د. علي محمد محمد الصَّلاَّبيَّ/ج1/ص118/د.د.ن.

[2] – سورة المائدة: الآية: 3.

[3] – سورة يونس: الآية: 24.

وقال أيضاً: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا * الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾[1] .

ولئن كانت حقيقة التصوف السني ليس مجرد التقلل من الدنيا لكن تزكية النفس لكي تبلغ مقام الإحسان والولاية الخاصة والصديقية والقرب، فالهدف من التصوف السني كذلك هو بلوغ أعلى مراتب الدين وله في هذا الباب أسماء شرعية أوردها القرآن على هذا النحو:

1 – الصديقية: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ [2]

2 – الإحسان: "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[3]

3 - القرب: ﴿أولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ[4]﴾.

4 – السبق ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [5]

5 – الولاية: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [6]

6 – الحب ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [7]

7 – الربانية: {﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾ [8]

---

[1] – سورة الكهف/45–46.

[2] – النساء : 69

[3] – صحيح البخاري/ج1/ص97/باب سؤال جبريل/الحديث رقم (50)

[4] – سورة الواقعة :الآية: 11.

[5] – سورة لواقعة : الآية: 10.

[6] – سورة يونس/الآية: 62.

[7] – سورة المائدة : جزء من الآية: 54.

[8] – سورة آل عمران :جزء من الآية: 79

2- السنة النبوية :

والمصدر الثاني من مصادر هذا الدين هو السنة النبوية ، لذا فإن الناظر في كتب السنن وفى شمائل النبي ﷺ يجدها مليئة بالدعوة إلى الزهد واليك بعض المختارات من بستان النبوة الذي يعج ويحفل بوصف الدنيا ودنوها لطالبيها وأنها مزرعة الآخرة ولا تغنى عن الآخرة شيئاً.

قال ﷺ: " إن الدنيا حلوة خضرة، وان الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون؟ فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء "[1].

وقال : "فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم " [2].

وقال مبيناً تعاسة من تمسك بها وشغل نفسه بها : "تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة إن أعطي رضي وان لم يعط لم يرض " [3].

و قال : " لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء "[4] . وكان يقول : آلا إن الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها ، إلا ذكر الله تعالى وما والاه وعالم ومتعلم"[5].

ويقول النعمان بن بشير ؓ يصف حال النبي ﷺكما ذكر ذلك عنه قال : لقد رأيت نبيكم ﷺوما يجد من الدقل " (رديء التمر) "ما يملأ به بطنه " [6].

وفى حديث عبد الله بن مسعودؓ أن رسول الله ﷺ نام على حصير فأثّر في جنبه فقال له أصحابه ؓ: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً. فقال: " مالي وللدنيا ؟ ما أنا في الدنيا إلاّ كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها"[7].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : " ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليالٍ حتى قبض. وفي رواية أخرى " ما شبع آل محمد ﷺ من

---

[1] – أخرجه مسلم في باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء/ج13/ص287/الحديث رقم (4925)

[2] – أخؤجه البخاري باب ما حذدر من زهرة الدنيا والتنافس فيها/ج20/ص51/الحدث رقم (5945)

3 – أخرجه البخاري باب ما يتقى من فتنة المال/ج20/ص61/الحديث رقم (5955)

[4] – أخرجه الترمذي في سننه باب ما جاء في ذم الدنيا وهوانها على الله/ج9/ص102/الحديث رقم(2490)

[5] – أخرجه الترمذي باب فضل الزهد في الدنيا/ج8/ص302/الحديث رقم (2244)

[6] – أخرجه ابن ماجه باب معيشة آل محمد ﷺ/ج8/ص375/ الحديث رقم(2294)

[7] – أخرجه ابن ماجه باب ما جاء في أخذ المال بحقه/ج8/ص382/الحديث رقم(2299)

خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض"[1]. وما ترك رسول الله ﷺعند موته ديناراً ولا درهماً، ولا عبداً ولا أمةً ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها وسلاحه، وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة "[2].

هذا هو رسول الله ﷺ الذي أمرنا أن نتأسى به ونقتفي أثره ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾[3].

بعد هذه الفترة بكل ما فيها من وضوح وعطاء متميز على كافة الأصعدة الرحية والعلمية والتربوية والجهادية، تتسرب إلى الخطاب الصوفي مجموعة من الأفكار الغريبة التي نأت به عن المسار الإسلامي الصحيح، حيث الفلسفة الغنوصية والإشراقية وكثير من النظريات دخلت وأثرت في هذا التراث .

يقول علي سامي النشار" وهكذا نرى أنّ التصوّف بدأ زهداً فتصوّفاً ففلسفة، أو بمعنى أدقّ، بدأ التصوّف في مرحلته الأولى يتّخذ تصوّراته وحقائقه من القرآن والسنّة، ثمّ انتقل إلى مرحلة التصوّف، فبينما كانت المرحلة الأولى مرحلة عمليّة، كانت المرحلة الثانية مرحلة عمل ونظر، فتكلّم الصوفيّة عن الأذواق والمواجيد وخطرات القلب ومراحل الطريق الصوفيّ. وأخذوا يحدّدون تفسيرات مقابلة لتفسيرات الفقهاء والمتكلّمين للمعاني الدينيّة. ومضى التصوّف في السير فانقلب أخلاقاً عند أهل السنّة والجماعة وفلسفة عند طائفة مزجوه بعلوم اليونان وبحكمة المشارقة الأقدمين، و(الفِيدا) الهندي و(اليوجا) وتراث الهند جميعه مزجوا، هذا كلّه في فلسفة ظاهرها إسلاميّ وباطنها غير إسلاميّ"[4].

هكذا لخّص علي سامي النشار طبيعة التصوف في مراحله اللاحقة التي ظهرت فيها ملامح الفلسفة والتي تطرق الفكر الأجنبي إلى مدرسة التصوف بموجبها، ولنا أن نتعرف على مرحلة التصوف الفلسفي هذه من خلال المطلب الآتي:

[1] أخرجه مسلم في صحيحه/ج14/ص225/الحديث رقم (5276)

[2] – أخرجه النسائي في سننه الكبرى باب حبس ما ترك رسول الله/ج4/ص92/الحديث رقم (6422)

3 – سورة الأحزاب:الآية:21

[4] – نشأة الفكر الفلسفي/علي سامي النشار/ ج3/صـ20/مصدر سابق.

المطلب الثاني: التصوف الفلسفي :

تعرف الفلسفة بأنها نشاط ذهني وعقلاني يصل إلى تحديد مفاهيمه وأحكامه عن طريق البرهان والنظر العقلي وعن طريق التأمل والتدبر، أما التصوف فهو يعتبر عادة شيئا مغايرا ومخالفا للفلسفة، فهو يتوصل إلى مفاهيمه عن طريق الكشف وليس عن طريق الدراسة والنظر العقلي المجرد، ولكن يكتسبه عن طريق المجاهدة والرياضة والسلوك والعمل، وباتخاذ أسلوب ونهج معين في الحياة"[1] .

إذا كان الأمر كذلك فهل يحق للفلسفة أن تتحدث عن التصوف؟ وهل يجوز القول بأن ثمة فلسفة للتصوف؟

إن الذي سوّغ للدارسين للتصوف القول بأن ثمة تصوفا فلسفيا طرأ على ساحة الفكر الإسلامي" هو وجود صلة بين الفلسفة والتصوف تتمثل في أن للمتصوفة نظرية خاصة في تحديد معاني الألفاظ ودلالاتها يمكن النظر فيها ومقارنتها مع الآراء الفلسفية المختلفة في هذا المجال"[2].

ولذا يرى لفيف من الباحثين أن مرحلة التصوف الفلسفي بدأت تاريخيا بالقرن الثالث الهجري، حيث تسرّب إلى الفكر الإسلامي سيل من الأفكار والمعتقدات والمعارف المتعددة والمتعارضة نتيجة حركة الترجمة من جهة، ودخول ذوي الحضارات الأخرى ضمن الدولة الإسلامية جراء حركة الفتوحات من جهة أخرى .

ومن ثم كان للجانب الروحي نصيب من التأثر بالأفكار الوافدة، وبرز طوائف من العباد مزجوا تجربتهم في المجاهدة البالغة القوة بفلسفات وتصورات لا صلة لها بالإسلام، مع ظهور شطحات وبدع وممارسات لاعهد لعبّاد المرحلة الأولى بها"[3] .

ويؤكد ماسينيون دقّة هذه المرحلة وحساسيتها في العروج بالتصوف إلى منعطفات فكرية لها أثرها في تطور التصوف وتشكيله فيما بعد حيث يقول "ما من شك أن التصوف دخل في أثناء القرن الثالث في دور جديد، فإن روح الزهد

---

[1] – أصول التصوف/د.عبد الله حسن زروق/ص54/الحركة الإسلامية الطلابية/1415هـ 1995م.

[2] – المصدر نفسه.

3– ينظر: لمحات من التصوف الإسلامي وتاريخه/السائح علي حسين/صـ21وما بعدها.

والرضا التي احتفظت بقوتها إلى حد ما؛ طغت عليها اتجاهات جديدة في البحوث النظرية، والكلام في وحدة الوجود، وازدهار هذه الاتجاهات على مرّ الزمان، ولكن على الرغم مما كان لهذه الاتجاهات الجديدة من أثر في تشكيل التصوف فإن من الخطأ أن نرجع نشأة التصوف في الإسلام إلى ظهورها وازدهارها "[1].

وهذا النوع من التصوف هو المسؤول عن إدخال أسلوب التأويل الرّمزي كوسيلة للتوفيق بين نصوص الشرع المنزّل، والأنظار الفلسفية التي استمدت من دوائر الفكر الأجنبي، فجاء بناء على ذلك الادعاء بسقوط بعض التكاليف الشرعية عند بلوغ مرحلة معينة من العرفان الروحي .

وقد اختلف فقهاء المسلمين قديما في هذه الظاهرة، وفي العصر الحديث اهتم المستشرقون بدراسة التصوف وبدأوا يبحثون عن المؤثرات الخارجية، واختلفوا في تقديرهم لهذا التأثير ، كما اختلفوا في أي المنابع الخارجية أكثر تأثيرا".[2]

فريق يرى التصوف الفلسفي مستمدا من الفكر الفارسي بدليل أن كبار المتحدثين بنظريات الفناء والحلول والاتحاد مع الذات الإلهية من أصل فارسي، وعلى رأسهم – أبو يزيد البسطامي– أول قائل بنظرية الفناء *، والحلاج من صرح بوحدة الوجود بالإضافة إلى الهجويري وابن خفيف وأبي سعيد، وجلال الدين الرومي وحافظ الشيرازي وغيرهم"[3] .

ومن هنا يمكن فرز الخطاب الصوفي الفلسفي عن التصوف السني حتى نتفادى مغبة التعميم في الحكم على رجال أفنوا أعمارهم في الوقوف مع النفس تأدّبا مع الله تعالى وسلوكا إليه، يقول الدكتور عرفان عبد المجيد فتاح" وإلى جانب ما سبق فإن ثمة فروقا بين التصوف العملي المتمثل في صوفية أهل السنة الملتزمين بأدب الشرع والدين وبين تصوف المتفلسفة من الصوفية، والتفرقة ترجع إلى أمور منها :

1- في التصوف الإسلامي وتاريخه/رينولد نيكلسون/ص70وما بعدها.

2-:- لمحات من التصوف الإسلامي وتاريخه/ص153/مصدر سابق.

*- تعني فناء النفس في الوجود الكلي أو الذات الإلهية/لمحات في تاريخ التصوف/المصدر نفسه.

3- ينظر: الإسلام والغرب/روم لاندو/تر :منير البعلبكي/ص232/ط. دار العلم للملايين/بيروت/د.ت.

1- تصوف الفلاسفة نظري مبني على النظر الفكري، والدراسة والبحث قبل كل شيء، فبالعلم وحده يصل الصوفي الفيلسوف إلى السعادة، أما العمل ففي المرتبة الثانية ومهمته محددة للغاية، أما الصوفية العمليون فقد جعلوا تحقيق الغاية منوطا باتباع السلوك، والالتزام بمجموعة القواعد والرسوم التي اصطلحوا عليها بالطريقة .
2- بالنسبة لصوفية المتفلسفين فإن عملية الإشراق والوصول إلى كنه الأشياء وحقائق الوجود؛ وسيلتها الرياضة العقلية "[1]

بهذا التصنيف لمدرسة الصوفية نستطيع تقييم الخطاب الصوفي ونفرز مدرسة التصوف التي كان منطلقها ومصبها مجاهدة النفس ومراجعتها من أجل بلوغ كمالها الأدبي والمعنوي المقدّر لها .

والتصوف الذي يُعنى بالمجاهدة الروحية من أجل الوصول إلى تفسيرات عرفانية للكون والوجود على أسس من المعارف القلبية، هي آخر محطة توقفت عندها رحلة الإمام الغزالي الفكريّة، حيث اعترته فترة من الشك العنيف وخشي أن يكون مصدر إيمانه- التقليد أو التربية – واقتضاه ذلك أن ينظر في أمر التيارات الفكرية في عصره، فحصر طلاب الحقيقة كما يقول عبد المنعم حفني في أربعة .

فهم إما متكلمون يتوجهون بخطابهم للمسلمين لكن حججهم إن أقنعت المؤمنين فهي لا تقنع غير المؤمنين، وإما باطنية حالهم كحال المتكلمين يدللون على صحة أقوالهم بأقوال ينسبونها إلى إمامهم المعصوم، وإما فلاسفة يعتمدون على العقل المجرد في النظر والاستدلال، وإما متصوّفة وصفهم بأنهم أرباب أحوال لا أصحاب أقوال طريقهم يتم بعلم وعمل، وأخص خواصهم لا يمكن الوصول إليه بالتعليم بل بالذوق والحال .

لذلك يقول الغزالي" إنه لم يبق ما يمكن تحصيله بالعلم إلا وقد حصله، ولم يبق أمامه إلا ما لا سبيل إليه بالسماع وبالعلم، بل بالذوق والسلوك؛ وهكذا انتهى الغزالي صوفيا مؤثرا طريق التصوّف إلى اليقين، على طريق الجماعات الثلاث

1- ينظر :نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها/د.عرفان عبد المجيد/ص22/دار الجيل/بيروت/1413هـ 1993م..

الأخرى– المتكملين والباطنية والفلاسفة...، ودوّن إحياء علوم الدين، وأودع فيه خلاصة ثقافته وتجاربه الذاتية..."[1].

والإمام الغزالي يعد بحق من أبرز رواد الإصلاح المنهجي للفكر الصوفي من الداخل، حيث عزا سقوط بعض الصوّفية في الأخطاء الفكرية والعقائدية إلى ضعفهم في العلوم العقلية، لذلك تجده يضبط بعض المصطلحات التي تأثر الفكر الصوفي بها– مثل نظرية الفيض* ويحدد مفهوم الشطح "[2].

والشطح في حد ذاته قد لا يمثل أزمة منهجية في الفكر الصوفي من حيث المتكلمين به، لان التصوف تجربة روحية تنطلق من حالات الوجد والشعور الذاتي حسب معطيات المجاهدة النفسية وانعكاساتها، ولكنه يمثّل أزمة في الخطاب، حين يتحدث به الصوفي، وتعتمد مقرّراته على أنها حقائق لا تقبل الجدل، ويأخذها المتلقي على أنها مسلمات تنطبق عليه وعلى كل الناس كآلية من آليات المعرفة .

وقد تعبر بعضها عن حقائق ناشئة عن الكشف الذي كثيرا ما يعرض لأهل المجاهدة فيدركون من حقائق الوجود مالا يدركه سواهم، ولذلك يقول الدكتور عبد الحليم محمود عن هذا الوجد والإحساس الذي يجده الصوفي "إن أمر التصوف في الواقع ليس أمر جدل...، وإنما هو تعرّف، والتصوف تجربة، والتجربة شعور، والشعور ليس منطقا ولا برهانا، إنما هو تعرّف، وقديما قالوا: من ذاق عرف، وبالتالي فإن من لم يذق لم يعرف "[3].

1– ينظر موسوعة الفلسفة والفلاسفة/عبد المنعم الحفني/ج2/ص920وما بعدها/د.ط.ت.

*–وهي نظرية في الفكر الصوفي تعني: فيض الموجودات من الواحد الذي هو الله ، وتسلسل بعض هذه الموجودات من بعض .ينظر: دراسة في الطرق الصوفية/السيد محمد عقيل بن علي المهدي/162/مصدر سابق.

*– يقسمه الغزالي إلى قسمين. أحدهما: الدعاوى الطويلة العريضة في العشق مع الله تعالى، والوصال المغني عن الأعمال الظاهرة حتى يدّعي قوم بدعوى الاتحاد، وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب، فيقول قيل لنا كذا وقلنا كذا.ثانيهما: كلمات غير مفهومة لها ظواهر برّاقة، وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل.ينظر: المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى/الغزالي/47/نقلا عن دراسة في الطرق الصوفية/السيد محمد عقيل بن علي المهدي/162. وقد عرف الطوسي مصطلح الشطح بأنه عبارة مستغربة في وصف وجد فاض بقوة وهاج بشدة غليانه وغلبته، وهو في لغة العرب يعني الحركة، يقال شطح يشطح إذا تحرك . ينظر: اللمع للطوسي/453/مصدر سابق .

3– تقريظ لكتاب التعرف لمذهب أهل التصوف/لأبي بكر الكلاباذي/تح: د.عبد الحليم محمود والأستاذ طه عبد الباقي/9وما بعدها/مكتبة الثقافة الدينية/القاهرة/د.ط.ت.

وإذا كان ذلك كذلك، فإن الإشكال يكمن في الحديث عن هذه المعارف الوجدانية التي قد لا يكون لها بالضرورة حضور في تصورات عامة المسلمين في علاقتهم بالله تعالى، وحتى عند كثير من أئمتهم، وكان حري بهم ألا يتكلموا بها.

وقد كان العظماء من السالكين إلى الله كما يورد ابن خلدون" لا يخبرون عن حقيقة شيء لم يؤمروا بالتكلم فيه خوفا من أن يفتتن به العامة، بل يعدون ما يقع لهم من ذلك محنة ويتعوذون منه، وقد كان الصحابة على مثل هذه المجاهدة، وكان حظهم من هذه الكرامات أوفر، لكنهم لم يقع لهم بها عناية " [1] .

ويمكن من خلال هذا الطرح أن يُعزا أغلبية ما وقع فيه أئمة التصوف من سقطات أودت بحياة بعضهم كانت نتيجة لهذا الخطأ المنهجيّ الذي ما كان ليكفّر به بعضهم ويشنق به آخرون؛ لو ظل حبيس النفس تبرز آثاره من خلال الزهد، وتربية المريدين، والإرشاد والتضحية، والنصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

لذلك حدّد ابن خلدون للشطح ضوابط وموجهات يمكن الحكم من خلالها للمتكلمين به أو عليهم حيث يقول "وأما الألفاظ الموهومة التي يعبّرون عنها بالشطحات ويؤاخذهم بها أهل الشرع، فاعلم أن الإنصاف في شأن القوم أنهم أهل غيبة عن الحس، والواردات تملكهم، حتى ينطقوا عنها بما لا يقصدونه، وصاحب الغيبة غير مخاطب، والمجبور معذور، فمن عُلم منهم فضله واقتداؤه حمل على القصد الجميل من هذا، وأن العبارة عن المواجد صعبة لفقدان الوضع لها كما وقع لأبي يزيد وأمثاله، ومن لم يتبين لنا ما يحملنا على تأويل كلامه، ولا اشتهر فضله؛ فمؤاخذ بما صدر عنه، ومن تكلم بمثلها وهو حاضر في حسه ولم يملكه الحال؛ فمؤاخذ أيضا"[2].

وإلى التصوف السني يعزو بعضُ الباحثين إصلاح التصوف الفلسفي ذاته حيث يقول" ولكن يبدو أنّ القرن الخامس بدأ يشهد نوعاً جديداً من التصوّف، استطاع أن يجعل من نفسه ظاهرة "رسميّة" في المجتمع الإسلاميّ. وذلك حين راح

1- ينظر: المقدمة /ابن خلدون/ص520.
2- المرجع نفسه /ص: 524.

بعض العلماء يعمل على إحياء التصوّف "الحارثيّ والجنيديّ" في مواجهة التصوّف الفلسفيّ الّذي اعتنق أفكار "الحلول والاتحاد" و"وحدة الوجود" وما شاكلها..."[1].

يقول "ماجد عرسان الكيلاني" أمام الانحرافات الّتي أصابت ميدان التصوّف برز التصوّف السنّيّ ليتصدّى لهذه التيّارات المنحرفة، وليطهّر الساحة الصوفيّة من آثارها. وقد مثّل هذا التصدّي مدرستان، كلاهما امتداد للجنيديّة: المدرسة الأولى في نيسابور، والثانية في بغداد. أمّا مدرسة نيسابور فقد قادها أبو نصر السرّاج المتوفّى في عام 378هـ. وعليه تتلمذ أبو عبد الرحمن السلميّ صاحب الطبقات المتوفّى عام 412هـ. وعلى السلميّ تتلمذ عبد الكريم بن هوازن القشيريّ المتوفّى سنة 465هـ.وممّن اقتفى أثر السرّاج، الهجويري المتوفّى عام 465هـ كذلك"[2].

ولقد قام نشاط هذه المدرسة على أمرين: الأوّل تدوين التراث الصوفيّ وصبّ مفاهيم التصوّف في قوالب تقيّدها بالشرع وتبعدها عمّا يفضي بها إلى الحلول والاتّحاد. والثاني إبراز التصوّف السني باعتباره عمليّة تزكية للنفس تدعم الإيمان والتوحيد، وتنقّيه من شوائب الرياء والحظوظ النفسيّة. وكان من ثمار هذا النشاط تلك المؤلّفات الّتي ما زالت تشكّل المصادر الأولى للتصوّف السنيّ، والّتي جمعت أقوال رجال التصوّف الأوائل ومن سبقهم من الزهّاد"[3].

ولعلنا بهذا العرض نستطيع التمييز بين نموذجين من التصوف – تصوف سني قائم على ما تقرّر في الكتاب والسنة من تعاليم الوحي وتطبيقات هذا الوحي – قولا وفعلا وإقرارا– من المبلغ المعصوم ﷺ، وتصوف فلسفي: متهافت محروم بكل المقاييس من الجانب الواعي سواء أكان قلبا أم عقلا، وقد اعتمد على استخدام الرؤية القلبية العرفانية، والرياضة الروحية، حتى تشرق في قلبه تلك الإشارات القدسية في أوقات وجده بقدر ما منحه الله من استعداد روحي ووهبه من أسرار، وهو أمر لا يخلو من غرابة حسب تصوّر الدكتور عبد الله مسعود الوازني وذلك

---

[1] – هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس/الدار العالميّة للكتاب الإسلاميّ والمعهد العالمي للفكر الإسلاميّ/ ص 58 وما بعدها/فيرجينيا/ الولايات المتحدة الاميركيّة/1416هـ/1995م.

[2] – المرجع نفسه/ص59.

[3] – المرجع السابق/صـ59 وما بعدها.

في تقريظه لكتاب – لمحات في التصوف وتاريخه، للدكتور السائح علي حسين حيث قال" إذ كيف يمكن لنظرة محرومة من الرشد العقلي أن تحقق تلك الأبعاد؟ [1].

بعد أن وقفنا على تاريخ التصوف ومراحل تطوره التي لحقته حتى دخل التصوف مرحلة النظرة الفلسفية بسبب من حركة الترجمة والانفتاح الذي شهده المسلمون على أصحاب الحضارات الأخرى، فإننا معنيون بقراءة نشأة الطرق الصوفية على السطح بعد أن كان التصوف اسما جامعا لكل معاني الزهد وإصلاح النفس وتهذيبها.

1- ينظر: لمحات في التصوف وتاريخه/د. السائح علي حسين/صـ9.

المبحث الثالث: نشأة الطرق الصوفية.

نشأة الطرق الصوفية تعد امتدادا لمراحل تطور التصوف التي سبق الحديث عنها، لأن التصوف بعد أن كان حالة من الزهد تنعكس على سلوك العبد في انقطاعه عن ملذات الدنيا والعكوف على العبادة والتبتل، تطور ليتخذ شكلا من أشكال العمل الملزم والمنظم من اتخاذ الشيخ المربي، والتزام أوراد وأذكار معينة، ونجد السيد محمد عقيل وهو يخصص للطرق الصوفية رسالة بعنوان (دراسة في الطرق الصوفية) يذهب إلى أن الطرق الصوفية ظهرت في صورتها الأولى في القرن الثالث والرابع من الهجرة، وذلك أن الصوفية أخذوا منذ النصف الثاني للقرن الثالث الهجري ينظمون أنفسهم طوائف وطرقا يخضعون فيها لنظم خاصة بكل طريقة، وكان قوام هذه الطرق طائفة من المريدين يلتفّون حول شيخ مرشد يسلكهم على الوجه الذي يحقق لهم العلم وكمال العمل...

وبعد أن حدد تأريخ انطلاق الخطاب الطرقي يذهب ليصفه بأنه يمثل الجانب العملي للتصوف النظري وذلك بقوله" فالطرق الصوفية في حقيقتها ليست إلا امتدادا للتصوف النظري، وأكبر إمام لهذا التصوف هو الإمام الجليل أبو حامد الغزالي، فهو الذي جمع بين النظري والعملي، وبين الحقيقة والشريعة"[1] .

ويمكن اعتبار هذا التاريخ المحطة التي انطلقت منها الطرق الصوفية، والتي اتخذت فيها كل طريقة أساليب ومناهج وأورادا للسلوك إلى الله.

والطريقة كما عرفها الجرجاني في التعريفات"هي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى، من قطع المنازل"[2].

ويعزو مصطفى الشيبي تأسيس الخطاب الطرقي إلى ذلك التاريخ الذي تبنّت فيه الصوفية" اتجاها روحيا يحاول أن يجعل منه منهجا تطبيقيا يتفاعل مع شتى نواحي الحياة الإسلامية، والذي حدّد له فلسفة تربوية تقوم على إعلاء الجانب

1- ينظر: دراسة في الطرق الصوفية/السيد محمد عقيل بن علي المهدي/ص14/دار الحديث/القاهرة/ط2/د.ت.

2 - المدخل/ابن الحاج/دار الفكر/1401هـ - 1981م

المثالي على صورة تتمثل في الزهد... وهي التي سار أوائل الصوفية أن يؤسّسوا لها مدارس لتعليم هذه الفلسفة التربوية على صورة عملية "[1].

ويورد محمد غلاّب في (التصوف المقارن) أسباب نشأة الطرق الصوفية إلى همّ الوحدة وتأليف القلوب وذلك حيث يقول" إن الصوفية في أول نشأتهم متفرقين، ولكنهم لم يلبثوا أن شعروا بالحاجة إلى اجتماعهم وتأليفهم وحدة قوية فتعارفوا واجتمعوا فريقين: أحدهما في البصرة وثانيهما في الكوفة، وكوّن كل فريق منهم مدرسة لها تعاليمها وآراؤها التي تتفق مع ميولها الفطرية، ولم يكونوا حتى تلك الفترة يساهمون في المجادلات العنيفة مع الفقهاء لأنهم يشعرون بانتمائهم إلى النسيج الإسلامي العام"[2].

إلى أن لا حظوا تجاوز المتكلمون بالعقل الحدود، واقتنعوا بأن العقل البشري قد عجز عن حلّ مشاكل الكون، وأن المتكلمين لم يزيدوا بمناظراتهم عقدة الوجود إلا صعوبة وإشكالا، وأنه لم يبق لكشف هذا السر إلا طريق واحد هو طريق النور والبصيرة...

وهذا لا يتيسر إلا بالعبادة المخلصة، وبإزالة حجاب المادة الكثيف القائم بين الإنسان وخالقه، وبقطع علائقه بعالم الشهادة والملك، وخلوصه إلى عالم الغيب والملكوت، وكل ذلك لا يتم إلا باحتقار هذه الحياة وما تزخر به من أفانين المتع وضروب الملذات" [3].

هذا هو منطلق إنشاء الطرق الصوفية كل له منهجه في الترقي والسلوك إلى الله تعالى، وإذا كانت منطلقات الصوفية في هذا المستوى من الانضباط بالمنهج والسلوك الإسلامي، فما مبرّر منتقديها لو تحققت الموضوعية والإنصاف في مناهجهم النقدية؟ وما مبرر أولئك المحسوبين على الصوفية كذلك في العروج بالصوفية إلى مناهج عرفانية اعتمدت العقل تارة والقلب تارة أخرى، أدوات للبحث

1- ينظر: صفحات مكثفة من تاريخ التصوف الإسلامي/كامل مصطفى الشيبي/ص171/دار المناهل/بيروت/د.ط/1418هـ1997م.

2- ينظر: التصوف المقارن/محمد غلاب/33وما بعدها/مكتبة نهضة مصر/القاهرة/د.ت.ط.

3- المصدر نفسه.

والنظر والكشف والاستدلال؟ وهذا ما يدفعنا إلى الولوج إلى تاريخ نشأة الطرق الصوفية في تاريخ المسلمين أول مرة.

يقول عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف في كتابه (الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة) يبدو أن أول صوفي وضع نظام الطرق الصوفية هو الصوفي الإيراني محمد أحمد الميهمي المتوفي سنة 430هـ والمعروف باسم أبي سعيد. فقد أقام في بلدته نظامًا للدراويش، وبنى خانًا بجوار منزله للصوفية، وجعل نظام تسلسل الطريق عن طريق الوراثية، ويبدو كذلك أنه من أوائل من كتب في طريقة التربية الصوفية وهو سابق على عبدالكريم القشيري صاحب الرسالة القشيرية والتي كتب فيها صاحبها أيضًا طائفة كبيرة من طرق التربية الصوفية والقشيري توفي سنة 465هـ . وكان مولده سنة 376هـ . وأما مولد أبي سعيد فقد كان في سنة 357هـ . فهو أكبر من القشيري وأقدم"[1].

وقد قيل إنه اتصل بعبدالرحمن السلمي، صاحب كتاب الطبقات، وأخذ عنه الحرقة الأولى، واتصل كذلك بأبي العباس القصاب وأخذ عنه الحرقة الثانية . وقد انتشر بعد ذلك في القرنين الخامس والسادس الهجريين نظام الطرق الصوفية وانتقلت من إيران إلى المشرق العربي فظهرت الرفاعية والقادرية في العراق، والأحمدية والشاذلية في مصر، ثم ظهرت بعد ذلك الدسوقية في مصر أيضًا، ثم تتابع ظهور الطرق الجديدة وكذلك الطرق المتفرعة من طرق قديمة حتى أصبحت الطرق تعد بالآلاف...

وغالبًا ما تسمى الطريقة باسم مؤسسها، وأحيانًا تسمى باسم خاص (كالختمية) مثلًا (والزوامة) نسبة إلى الزم لأن ذكرهم (بالزوم) (وهي كلمة عامة مصرية معناه إخراج صوت معروف يخرج من الأنف والفم مقفول بعد الميم"[2].

---

[1] – الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة/عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف/ج1/ ص349/دار الكتب العلمية/الكويت/1406هـ1986م .

2 – المصدر نفسه.

ويؤيد الباحث أبو العزايم جاد الكريم بكير عبد الرحمن بن عبد الخالق هذا الرأي في كتابه (صور من الصوفية) الذي ذهب إلى حد القول" وضع أبو سعيد محمد أحمد الميهي الصوفي الإيراني 430هـ أول هيكل تنظيمي للطرق الصوفية بجعله متسلسلا عن طريق الوراثة, ويمثل القرن السادس الهجري البداية الفعلية للطرق الصوفية وانتشارها حيث انتقلت من إيران إلى المشرق الإسلامي, فظهرت الطريقة القادرية المنسوبة لعبدالقادر الجيلاني كما ظهرت الطريقة الرفاعية المنسوبة لأبي العباس الرفاعي 540هـ , وفي القرن السابع الهجري دخل التصوف الأندلس وأصبح ابن عربي أحد رؤوس الصوفية 638هـ , واستمرت الصوفية بعد ذلك في القرون التالية إذ انتشرت الفوضى واختلط الأمر على الصوفية لاختلاط افكار المدارس الصوفية وبدأت مرحلة الدراويش.561هـ"[1] .

ويرى عبد الرحمن عبد الخالق وهو باحث منتقد للخطاب الصوفي أن بدايات الطرق الصوفية كانت في منتصف القرن الرابع الهجري، وسرعان ما انتشرت في العراق ومصر، والمغرب، وفي القرن السادس ظهرت مجموعة من رجال التصوف كل منهم يزعم أنه من نسل الرسول ﷺ واستطاع كل منهم أن يقيم له طريقة صوفية خاصة وأتباعًا مخصوصين، فظهر الرفاعي في العراق، والبدوي في مصر وأصله من المغرب ولا يعرف له أم ولا أب ولا أسرة ولا هو من المغرب، وكذلك الشاذلي في مصر وأصله كذلك من المغرب"[2].

ويواصل لتقرير نظرته فيقول" انتشر بعد ذلك في القرنين الخامس والسادس الهجريين نظام الطرق الصوفية وانتقلت من إيران إلى المشرق العربي فظهرت الرفاعية والقادرية في العراق، والأحمدية والشاذلية في مصر، ثم ظهرت بعد ذلك الدسوقية في مصر أيضًا، ثم تتابع ظهور الطرق الجديدة وكذلك الطرق المتفرعة من طرق قديمة حتى أصبحت الطرق تعد بالآلاف"[3] .

---

1 – صور من الصوفية/ابو العزايم جاد الكريم بكير/ج1/ص16 /1427هـ/ 2006 م

[2] – الفكر الصوفي (في ضوء الكتاب والسنة/عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف/ص400 وما بعدها/مصدر س1

[3] – المصدر السابق/صـ114.

من كل ما تقدم نتبين أن نظام الطرق الصوفية ظهر في القرنين الخامس والسادس الهجريين، وانتقلت الطرق من إيران إلى المشرق العربي فظهرت الرفاعية والقادرية في العراق، والأحمدية والشاذلية في مصر، ثم ظهرت بعد ذلك الدسوقية في مصر أيضًا، ثم تتابع ظهور الطرق، ومن ثم يبدو ملحا أن نتعرف على مناهج رجالات الصوفية في التربية والدعوة، لصلة التربية الصوفية بالطرق. وذلك من خلال الفصل الآتي:

الفصل الثاني:

مناهج الصوفية في التربية والدعوة.

المبحث الأول: شروط التربية وأهدافها عند الصوفية.

المبحث الثاني: مناهج الصوفية في التربية.

المبحث الثالث: مناهج الصوفية في الدعوة.

المبحث الأول: شروط التربية وأهدافها عند الصوفية.

التربية في المنظور الصوفي كما وصفها أقطاب الصوفية" تبتدئ من يوم انتبه المريد من نوم غفلته. وهذا الانتباه عبارة عن تفقد المريد أحوال نفسه والنظر الى علاقته مع خالقه، فيدرك ان الحضرة الإلهية تطالبه بتحقيق العبادة لها بالاخلاص كما تطالبه في نفس الوقت بملازمة التقوى في الظاهر والباطن حتى اذا تم له ذلك يبدأ في البحث عن الوسيلة التي يتوسل بها الى الله تعالى لقوله: ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة﴾[1]

ومن ثم "وضع المتصوفة لهم قواعد خاصة للتربية حسب منهجهم الصوفي فحددوا أهدافًا خاصة للتربية ووضعوا شروطًا في المريد وهو اسم أطلقوه على الطالب أو المبتدئ، وشروطًا خاصة بشيخ الطريق، ومنازل يسير فيها السالك في دربهم. وقد بدأ وضع ملامح هذا المنهج منذ بدأ الفكر الصوفي في الظهور في أواخر القرن الثاني الهجري، وبلغ هذا المنهج الغاية تقريبًا مع نهاية القرن الرابع الهجري حيث أسست الخانات والأماكن الخاصة التي يتجمع فيها الصوفية وكانوا يسمون بالفقراء أولًا"[2] .

وعلى مر هذه العصور وضع المتصوفة لهم شروطًا خاصة في التربية وخطوات محددة للمريد أن يسير وفقها، وها أنا ذا أذكر لك بالتفصيل هذه الشروط التي دونها علماء التصوف في كتبهم وفق التسلسل الآتي.

أ- اتخاذ الشيخ.

أول شروط التربية الصوفية، هي أن يتخذ مريد الطريق الصوفي شيخًا له ليدله على الطريق، يقول عبدالكريم القشيري " ثم يجب على المريد أن يتأدب بشيخ فإن لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان "[3].

---

[1] – المائدة35

2 – الفكر الصوفي (في ضوء الكتاب والسنة/عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف/ص103.

[3] – الرسالة/القشيري/ ص181.

وهذا النص يدل على أن قضية وجوب اتخاذ الشيخ قضية قديمة، واتخاذ الشيخ قد تفسر بأن لها سندًا من الكتاب والسنة في أن الرسول علم أصحابه والأصحاب علموا التابعين وهكذا.

ب- أن تتخذ شيخًا واحدًا لا تحيد عنه.

وفي هذا المعنى يقول الشيخ إبراهيم إنياس السنغالي في كتابه روح الأدب:

واطلب مربيا خبيرا ناصحا*** كامل عرفان إماما صالحا

ملكه نفسك فـــــــلا تدبـر *** وكـــن كميت دواما تخبر

ولا تخالفه ولو بان فساد *** د رأيه فكن دواما ذا اتساع

لا تلتفت لغيره في العالـم*** وكن كما لو كان دون عالم

فليس للمريد غيرذا الولي*** مع الرسول ثم مولاه العلي"[1].

ويقول شارح روح الأدب في مطلع هذه الأبيات" أيها الأخ الكريم وفقني الله وإياك إذا أردت أن تسلك طريقة الرجال فلا تعجل وابحث بالسؤال والاستخارة والتوسل إلى الله أن يوفقك إلى باب صالح أي هو شيخ مربّ وأن يكون ذا بصيرة بحال المريدين ذو قدم راسخ في الحقيقة عليم بأدران القلوب وعلاجها، وأن يكون ناصحا لتلاميذه لا يرضى بهوى النفس، وأن تكون الدنيا عنده لا تساوي شيئا، ووأن يكون إمام في دينه في الكتاب والسنة، ومن لم يكن على هذه الصفة لا يجوز أن تلقي نفسك بين يديه، وعليك بالاستخارة مهما طالت المدة، والتأخير فيه خير"[2].

يقول القشيري بعد أن قرر أن طائفة التصوف هم أهل الحق وأن علومهم أشرف العلوم " . . فإذا كان أصول هذه الطائفة أصح الأصول ومشايخهم أكبر الناس وعلماؤهم أعلم الناس فالمريد الذي له إيمان بهم إن كان من أهل السلوك والتدرج إلى مقصدهم فهو يساهمهم فيما خصوا به من مكاشفات الغيب فلا يحتاج إلى التطفل على من هو خارج عن هذه الطائفة "[3].

---

[1] – روح الأدب لما حوى من حكم وأدب/إبراهيم إنياس الكولخي/ص2/د.د.ن.

[2] جوهر الأدب في شرح روح الأدب/موسى سليمان التجاني/راجعه وقدم له: أحمد محمد الحافظ/د.د.ن/1411هـ 1991م.

[3] – الرسالة/القشيري/ج1/ص181/مصدر سابق.

ج . مواصفات الشيخ.

وليس كل شيخ يصلح أن يكون شيخًا في الطريق الصوفي بل لا بد أن يمر بمراحل الطريق من أولها إلى نهايتها، أو على الأقل أن يكون قد أخذ العهد من شيخ سابق أو والد له وقد أذن له الشيخ أو الأب بتسليك المريدين، وإدخالهم في الطريق وتلقينهم الأذكار الخاصة . . . ، إلخ .

وحتى تكون المشيخة الصوفية مشيخة معتبرة فقد اخترع المتصوفة قديمًا شيئًا سموه السلسلة الصوفية، وهذه السلسلة عبارة عن سند يتناقله الخلف عن أسلافهم معتقدين أن هذه السلسلة تنتهي إلى الجنيد الذي يسمونه سيد الطائفة، وأن الجنيد قد أخذها عن سري السقطي، والسقطي عن معروف الكرخي، ومعروف عن داود الطائي، وداود الطائي عن حبيب العجمي، والعجمي عن الحسن البصري، والحسن البصري عن علي بن أبي طالب ﷺ"[1] .

---

[1] – المصدر السابق/ص105.

المبحث الثاني: خطوات التربية الصوفية.

وضع الصوفية خطوات أوجبوها على المريد والسالك في الطريق الصوفي أن يسير وفقها، وإليك أهم تلك الخطوات:

أولا: التوبة: وهي نقطة انطلاق المريد أو السالك إلى الله تعالى.

ثانيا: الإخلاص: وينقسم لديهم إلى قسمين:

1 . إخلاص الصادقين.

2 . إخلاص الصِّدِّيقين.

ثالثا: النية: وتعد أساس الأعمال والأخلاق والعبادات.

رابعا: الخلوة: أي اعتزال الناس، فهذا من أسس التربية الصوفية

خامسا: الذكر: والأصل فيه ذكر الله تعالى، ثم الأوراد، وقراءة الأحزاب المختلفة في الليل والنهار"[1].

سادسا: لا تخالف الشيخ مطلقًا فيما يأمرك به هذا هو المبدأ الأول للمريد.

سابعا: وأن تكون موافقة الشيخ بالقلب والجوارح فلا إنكار ولا مخالفة لشيء مما يقوله مطلقًا ولا اعتراض عليه بلسان أو بقلب وشعارهم دائمًا :

" كن بين يدي شيخك كالميت بين يدي الغاسل، يقول شارح روح الأدب في البيت الذي يقول"

ملِّكه نفسك فلا تدبر *** وكن كميت دواما تخبر .

"أي الق نفسك بين يديه، واجلس في عتبة داره وكن كالعبد مع سيده، فلا تدبر أي لا تتولى عن إرادته، وكن سميعا مطيعا في كل ما يأمرك به، حتى ولو كان الأمر أشد ربما يريد أن يمتحنك ويرى حقيقة سلوكك فلا تتزعج"[2].

ويؤكد القشيري هذا الكلام بقوله: " وأن لا يخالف شيخه في كل ما يشير عليه لأن الخلاف للمريد في ابتداء حاله دليل على جميع عمره "[3].

---

1 الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة /الندوة العالمية للشباب الإسلامي/إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني/ ج67/ص3/دار الندوة العالمية.

2 – جوهر الأدب شرح روح الأدب/التجاني/ص31 وما بعدها/مصدر سابق.

3 – الرسالة/القشيري/ ص182.

ويواصل القشيري ليقرر أن المريد ليس له أن يعترض على شيخه بحال من الأحوال فيقول" ومن شروطه أن لا يكون بقلبه اعتراض على شيخه "[1].

والإمام الغزالي استنبط من الحديث الوارد في تحسين الأخلاق وهو قوله ﷺ "حسنوا أخلاقكم"[2]. إمكانية تحقيق التربية في نفس أي إنسان، ولكن وفق شروطها التي اصطلح على وضعها متدرجة واحدة بعد الأخرى، حيث قال في الإحياء" وكيف ينكر هذا في حق الآدمي وتغيير خلق البهيمة ممكن إذ ينقل البازي من الاستيحاش إلى الأنس والكلب من شره الأكل إلى التأدب والإمساك والتخلية والفرس من الجماح إلى السلاسة والانقياد، وكل ذلك تغيير للأخلاق والقول الكاشف للغطاء عن ذلك أن نقول: الموجودات منقسمة إلى ما لا مدخل للآدمي واختياره في أصله وتفصيله كالسماء والكواكب بل أعضاء البدن داخلا وخارجا وسائر أجزاء الحيوانات، وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله وإلى ما وجد وجودا ناقصا وجعل فيه قوة لقبول الكمال بعد أن وجد شرطه، وشرطه قد يرتبط باختيار العبد فأن النواة ليست بتفاح ولا نخل إلا أنها خلقت خلقة يمكن أن تصير نخلة إذا انضاف التربية إليها ولا تصير تفاحا أصلا ولا بالتربية فإذا صارت النواة متأثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الأحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو أردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما أثر لم نقدر عليه أصلا ولو أردنا سلاستهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه وقد أمرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا إلى الله تعالى نعم الجبلات مختلفة بعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافها سببان :

أحدهما: قوة الغريزة في أصل الجبلة وامتداد مدة الوجود فإن قوة الشهوة والغضب والتكبر موجودة في الإنسان ولكن أصعبها أمرا وأعصاها على التغيير قوة الشهوة فإنها أقدم وجودا إذ الصبي في مبدإ الفطرة تخلق له الشهوة ثم بعد سبع سنين ربما يخلق له الغضب وبعد ذلك يخلق له قوة التمييز "[3].

---

1 – المصدر نفسه/ ص182

[2] – أخرجه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث معاذ " يا معاذ حسن خلقك للناس " منقطع ورجاله ثقات/تخريج أحاديث الإحياء/ العراقي/مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية/ج6/ص344/الحديث رقم (2695)

[3] – إحياء علوم الدين/أبو حامد الغزالي/ ج3/ص56

والسبب الثاني أن الخلق قد يتأكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له وباعتقاد كونه حسنا ومرضيا والناس فيه على أربع مراتب"[1].

الأولى: وهو الإنسان الغفل الذي لا يميز بين الحق والباطل والجميل والقبيح بل بقي كما فطر عليه خاليا عن جميع الاعتقادات ولم تستتم شهوته أيضا باتباع اللذات فهذا سريع القبول للعلاج جدا فلا يحتاج إلا إلى معلم ومرشد وإلى باعث من نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه في أقرب زمان"[2] .

والثانية: أن يكون قد عرف قبح القبيح ولكنه لم يتعود العمل الصالح بل زين له سوء عمله فتعاطاه انقيادا لشهواته وإعراضا عن صواب رأيه لاستيلاء الشهوة عليه ولكن علم تقصيره في عمله فأمره أصعب من الأول إذ قد تضاعفت الوظيفة عليه إذ عليه قلع ما رسخ في نفسه أولا من كثرة الاعتياد للفساد والآخر أن يغرس في نفسه صفة الاعتياد للصلاح ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة إن انتهض لها بجد وتشمير وحزم .

والثالثة: أن يعتقد في الأخلاق القبيحة أنها الواجبة المستحسنة وأنها حق وجميل وتربى عليها فهذا يكاد تمتنع معالجته ولا يرجى صلاحه إلا على الندور وذلك لتضاعف أسباب الضلال...

والرابعة: أن يكون مع نشئه على الرأي الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويباهي به ويظن أن ذلك يرفع قدره وهذا هو أصعب المراتب وفي مثله قيل ومن العناء رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب الذيب"3.

ومن أئمة الصوفية المحدثين يقول إبراهيم إنياس في هذا الشأن:

ولا تخالفه ولو بان فسا*** درأيه فكن دواما ذا اتسا

وكن مع الشيخ دواما تربح*** وكن محبا وامقا فلتفلح

إلى أن قال:

[1] – إحياء علوم الدين/أبو حامد الغزالي/ ج3/ص57/مصدر سابق

[2] – المصدر نفسه/ص58 وما بعدها.

3- المصدرنفسه/ص60.

وأرض شيخك ولو أبكاكا *** لكنه للخير قد هداكا"[1].

إذا كانت هذه شروط في التربية الصوفية تتعلق بالمريد والشيخ وآداب المريد مع شيخه، فهل ياتُرى ما هي الوسيلة العملية التي خطها الصوفية لتحقيق التربية الصوفية؟

إن الصوفية وضعوا للتربية الصوفية خطوات لتحقيق هذه الغاية، وهذه الوسيلة بينها الإمام الغزالي في الإحياء (باب فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها) وبين أن المواظبة عليها هي الطريق إلى الله تعالى، فقال" اعلم أن الناظرين بنور البصيرة علموا أنه لا نجاة إلا في لقاء الله تعالى وأنه لا سبيل إلى اللقاء إلا بأن يموت العبد محبا لله تعالى وعارفا بالله سبحانه ، وأن المحبة والأنس لا تحصل إلا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه وأن المعرفة به لا تحصل إلا بدوام الفكر فيه وفي صفاته وأفعاله وليس في الوجود سوى الله تعالى وأفعاله ولن يتيسر دوام الذكر والفكر إلا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لا يتم إلا باستغراق أوقات الليل والنهار في وظائف الأذكار والأفكار والنفس لما جبلت عليه من السآمة والملال لا تصبر على فن واحد من الأسباب المعينة على الذكر والفكر"[2].

بل إذا ردت إلى نمط واحد أظهرت الملال والاستثقال وأن الله تعالى لا يمل حتى تملوا، فمن ضرورة اللطف بها أن تروح بالتنقل من فن إلى فن ومن نوع إلى نوع بحسب كل وقت لتغزر بالانتقال لذتها وتعظم باللذة رغبتها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها فلذلك تقسم الأوراد قسمة مختلفة فالذكر والفكر ينبغي أن يستغرقا جميع الأوقات أو أكثرها فإن النفس بطبعها مائلة إلى ملاذ الدنيا فإن صرف العبد شطر أوقاته إلى تدبيرات الدنيا وشهواتها المباحة مثلا والشطر الآخر إلى العبادات رجح جانب الميل إلى الدنيا لموافقتها الطبع إذ يكون الوقت متساويا فأنى يتقاومان والطبع

---

[1] – روح الأدب/إنياس/ص2/مصدر سابق.

2 – إحياء علوم الدين/الغزالي/ج1/ص219/مصدر سابق.

لأحدهما مرجح إذ الظاهر والباطن يتساعدان على أمور الدنيا ويصفو في طلبها القلب ويتجرد"[1].

وأما الرد إلى العبادات فمتكلف ولا يسلم إخلاص القلب فيه وحضوره إلا في بعض الأوقات فمن أراد أن يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق أوقاته في الطاعة ومن أراد أن تترجح كفة حسناته وتثقل موازين خيراته فليستوعب في الطاعة أكثر أوقاته فإن خلط عملا صالحا وآخر سيئا فأمره مخطر ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر فعسى الله تعالى أن يغفر له بجوده وكرمه فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة فإن لم تكن من أهله فانظر إلى خطاب الله تعالى لرسوله واقتبسه بنور الإيمان"[2].

فقد قال الله تعالى لأقرب عباده إليه وأرفعهم درجة لديه﴿ إنّ لَك في النّهَار سبحاً طويلاً وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [3] وقال تعالى ﴿ واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً ﴾[4] وقال تعالى ﴿ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴾[5] وقال سبحانه ﴿وسبح بحمد ربك حين تقوم وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴾[6] وقال ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءاً وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾[7] وقال تعالى﴿ وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾[8] وقال عز و جل ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾[9]

ثم يواصل ليقرر مواصفات الملتزمين بتلك الخطوات بقوله" ثم انظر كيف وصف الفائزين من عباده وبماذا وصفهم فقال تعالى ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا

---

[1] – المصدر نفسه.

[2] – المصدر السابق/ص20.

3 – المزمل : 8

[4] – الإنسان25– 26

[5] – ق 39– 40

[6] – الطور48– 49

7 – المزمل6

[8] – طه130.

[9] – هود114

يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾[1] وقال تعالى ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً ﴾[2] وقال عز و جل ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً﴾[3] وَقِيَاماً﴾[3] وقال عز وجل ﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وبالأسحار هم يستغفرون﴾[4] وقال عز و جل ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾[5] وقال وقال تعالى ﴿ وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾[6]

فهذا كله يبين لك أن الطريق إلى تعالى مراقبة الأوقات وعمارتها بالأوراد على سبيل الدوام، ولذلك قال ﷺ" أحب عباد الله إلى الله الذين يراعون الشمس والقمر والأظلة لذكر الله تعالى))"[7].

أما الشيخ إبراهيم إنياس السنغالي فيبين ضمن طريقته التيجانية خطوات التربية الصوفية التي يجب على المريد التيجاني اتباعها، فيجعلها تتمحور في ثلاثة أقطاب.

1 -متابعة النبي ﷺ في القول والعمل.

2 -ملازمة ذكر الله بالاذن الصحيح من الكمل.

3 -مصاحبة العارف بالله"[8].

فاذا تم المريد كل هذا تعظم رغبته في الانخراط في سلك الطريقة التجانية فبذلك يحصل له كمال اليقظة فمن هنا يأتي خليفة الشيخ التجاني الذي ورث أسراره وينسلخ من جميع إرادته ويتأدب ظاهرا وباطنا. ويلتزم الوفاء بكل ما القى اليه من الشروط باعتقاد صحيح سليم من الانتقاد، فيأخذ منه الورد اللازم للطريقة التجانية كما ذكر سابقا وهذا أول قدم يضعه المريد في التربية في الطريقة التجانية. ثم ان التربية في الطريقة تقوم على أسس ثلاثة وهي:

---

[1] – الزمر 9

[2] – السجدة16

[3] – الفرقان64

[4] – الذاريات17

[5] – الروم17

[6] – سورة الأنعام/الآية 52

[7] – سنن البيهقي الكبرى/ تح : محمد عبد القادر عطا/مكتبة دار الباز/مكة المكرمة/1414 هـ

[8] – كاشف الإلباس/الشيخ إبراهيم إنياس/ص387/تح: الطاهر ميغري/ضمن أطروحته لنيل الماجستير/جامعة بايرو كنو/دار العربية للطباعة والنشر/بيروت/لبنان/1401هـ 1981م.

1 –إقامة الصلوات الخمس بشروطها المشروطة

2– إدامة الصلاة على النبي ﷺ آناء الليل وأطراف النهار.

3– التزام الورد التجاني من دون التزام خلوة ولا مجاهدة كبيرة ولا غير ذلك من وجوه الرياضيات المعروفة في اصطلاح مَن بعد الصدر الاول"[1].

[1] – السر الأكبر الورقة الثانية كاشف الإلباس/ص59/مصدر سابق.

المبحث الثالث: أهداف التربية الصوفية.

للصوفية أهداف وراء تلك الشروط والخطوات التي ألزموا أتباعهم بها، وأول تلك الأهداف أن يفتح على المريد، فإذا داوم المريد على ذلك الموصوف فان فتحه يكون على ضربين:

1 – أن يفاجأنه الفتح أو يهجم عليه هجوما مباغتا.

2 – أن يمن الله تعالى عليه برفع الحجاب عن عيني قلبه، فيصير يجتمع بروحانية شيخه أو روحانية النبي ﷺ"[1].

ثم يقرر عقب ذلك تسعة منازل يجتازها المريد بتحقيق مستلزماتها، وكل منزلة تندرج تحت مقامات الإسلام الثلاثة على النحو الآتي:

أولا: مقام الإسلام يختص بالتوبة والاستقامة والتقوى.

ثانيا: مقام الايمان يختص بالصدق والاخلاص والطمأنينة.

ثالثا: مقام الإحسان يختص بالمراقبة والمشاهدة والمعرفة.

وقد تولى تلخيص هذه المنازل التي يسلكها المريد في التربية الصوفية، والتي تفرعت عن مقامات الدين الثلاثة بقوله" وحقيقة التوبة، التوبة من التوبة، وحقيقة الاستقامة البقاء بعد الفناء، وحقيقة التقوى عدم خطور السوى بالخاطر ولو لحظة، وحقيقة الصدق إفراد الوجهة إليه، وحقيقة الإخلاص أن ترى أن العمل لا منك ولا إليك ولا لك، وحقيقة الطمأنينة أن لا تتمنى زوال ما كان ولا وجود ما لم يكن، وحقيقة المراقبة تعلق القلب بالله دائما، وحقيقة المشاهدة رؤية الحق عيانا، وحقيقة المعرفة شهود الكمال الذاتي...

ثم صرح الشيخ بما يفيد أن هذا الذي رتبه إنما هو طريقته الخاصة للتربية ولم ينقله عن أحد، وإنما أنزله الله على قلبه إنزالا من طريق الوارد"[2].

فالموقف الأول من مقام الإسلام موقف التوبة، والمراد منها هنا الرجوع من كفران النعم بالمخالفات بشكرها بالطاعات وهي على ثلاثة أقسام:

1– توبة من تضييع الواجبات بفعلها.

---

[1] – المصدر السابق/ص60.

[2] – كاشف الإلباس/إبراهيم إنياس/ص59.

2- توبة من التبس بالمحرمات بتركها.

3 -توبة من حمل المظالم بردها شكرا"[1].

ولعل القارئ يتطلع لمعرفة معنى التوبة من التوبة، التي حقيقتها كما أورد القشيري مجموعة من أقوال الصوفية عن حقيقة التوبة من التوبة" فقال: قال أبو نصر السراج: أشار سهل إلى أحوال المريدين والمتعرضين، تارة لهم، وتارة عليهم، فأما الجنيد فإنه أشار إلى توبة المحققين فإنهم لا يذكرون ذنوبهم بما غلب على قلوبهم من عظمة الله تعالى، ودوام ذكره، قال: وهو مثل ما سئل رويم عن التوبة، فقال: هي التوبة من التوبة، وسئل ذا النُّون المصري عن التوبة: فقال: توبة العوامِّ من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة، وقال أبو الحسين النوري: التوبة أن تتوب من كل شيء سوى الله عز وجل، وقال القشيري" سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفي يقول: سمعت عبد الله بن علي ابن محمد التميمي يقول: شتان ما بين تائب يتوب من الزلات، وتائب يتوب من الغفلات، وتائب يتوب من رؤية الحسنات، وقال الواسطي: التوبة النصوح لا تبقي على صاحبها أثراً من المعصية سراً ولا جهراً ومن كانت توبته نصوحاً لا يبالي كيف أمسى أو أصبح" "[2].

وهذه التوبة هي حقيقة التوبة وذلك لأن حقيقتها قتل النفس قال تعالى:﴿ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾[3]

---

[1] - الشيخ إبراهيم إنياس السنغالي حياته آراؤه وتعاليمه/محمد الطاهر ميغري ص269 وما بعدها/ أطروحة ماجستير /جامعة بايرو/كنو/دار العربية للطباعة والنشرالتوزيع/بيروت/لبنان/ 1399هـ ا/1979م

2 - الرسالة القشيرية/ص46/مصدر سابق.

[3] - البقرة54

المبحث الرابع:– مناهج الصوفية في الدعوة إلى الله.

يذهب لفيف من الباحثين في قضايا الإسلام والمسلمين أن الصوفية هي السبب الأساسي فيما أصاب المسلمين من نكسات ونكبات وفوضى وتخلف.

فيما يقول غير هؤلاء إن الصوفية هي التي أخذت على عاتقها محاربة أعداء الإسلام من الظلمة والمستعمرين بل هي التي حملت الدعوة الإسلامية عبر الآفاق البعيدة.. وأنه ما دخل الإسلام أدغال أفريقيا إلا على أيديهم وجهودهم.

فما هي مصداقية هاتين القراءتين للخطاب الصوفي من خلال الواقع الدعوي في المجتمعات الإسلامية والمجتمعات التي طغت فيها المادة في الغرب؟ هذا ما سنتوقف عنده في هذين المحورين:

أولا: التسامح الوارد في دعوتهم إلى الله.

لقد كان للصوفية دور كبير في إنتشار الإسلام في إفريقيا، نشروه فكرا وسلوكا، وذلك عن طريق القدوة الحسنة، نشروا العدل وحرضوا عليه وقاوموا الظلم، ولذلك قاوموا الاستعمار لأنهم ربطوا بينه وبين الكفر والظلم، ومع هذا العطاء الصوفي فإن البعض يرى أن الصوفية مصانعون للاستعمار، على أن الصوفية يؤكدون مواجهتهم للاستعمار بتاريخ الإسلام في إفريقيا من مصر إلى المحيط الأطلسي غربا والمحيط الهندي شرقا، فإن سير الأئمة الصوفية تحكي عن ملاحم المقاومة والرفض أكثر مما تروي مظاهر الخضوع والخنوع .

يقول الشيخ إبراهيم الصالح الحسيني في معرض الحديث عن دعوة السادة الصوفية في أفريقيا عامة ونيجيريا على وجه الخصوص" ولقد حمل الإسلام إليها رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من حملة الدعوة والمبشرين بالسنة المحمدية، وبصفة أخص أتباع الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة ﷺ، وخصوصا أولئك النفر الذين اشتهروا بالزهد والتنسك من السائرين على طريق الجنيد بن محمد القواريري البغدادي، الذين عرفهم العامة باسم " السادة الصوفية"[1].

[1] – التكفير/الحسيني/ص3 وما بعدها/مرجع سابق.

ويشرح طريقتهم في الدعوة بتميزها بالتسامح والبعد عن الاعتراض عن ما فيه وجه شرعي معتبر فيقول" وكان أمر المسلمين في ظل هؤلاء الورثة مجتمعا لم يؤثر عنهم أي خلاف يذكر، فالذي يصوم يوما ويفطر يوما، والذي يصوم من كل شهر ثلاثة أيام يقوم بعمله هذا دون أن يصطدم مع من لا يقدر على ذلك، والذي لا يفعل هذا يقدر كل التقدير من يقوم به، ويعترف ويقر على نفسه بالتقصير، وهكذا في جميع فنون العبادة وفروعها، ولم يزل أمر الناس على ذلك حتى فجأ الناس الاستعمار الصليبي الذي اضطر للرحيل في النهاية مخلفا وراءه الكثير من الأمراض الاجتماعية والأخلاقية والدينية"[1].

وبهذه الأريحية والتسامح مع الآخر لا غرو أن يعطي الخطاب الصوفي نتائج مثمرة في الدعوة، وفي مجال الحسبة وتزكية النفوس، فقد تجلّت مواقفه المشرّفة في مجابهة التحديات الثقافية التي واجهت العالم الإسلامي في فترة الركود والجمود والانحلال .

وإذا أدركنا أن مهمة الشيخ الذي يلتف حوله مريدون يدينون له بالولاء والطاعة، تركزت أساسا في صيانة المجتمع الإسلامي من دواعي الذوبان والانفلات عن تعاليم الله، والفرار إليه بسبب طغيان المادة والانحراف عن الجادة في مرحلة من مراحل تاريخ الدعوة الإسلامية؛ وذلك بتشكيل زوايا وروابط تلتزم بآداب دينية، وأوراد ملزمة يتعهّد المريد بالوفاء بها لله تعالى؛ علمنا موقع التصوف من العمل الإسلامي، فالتصوف لا يعني سوى بذل أقصى الجهد في السلوك إلى الله، وقد قدم الخطاب الصوفي نماذج رائعة في العمل الإسلامي لا تزال شاهدة على مصداقية ومقدرة أدائه- تاريخا وواقعا .

فما زال تاريخ الصوفية يذكر ذلك الحوار الذي دار بين أبي يزيد البسطامي مع قسيس ورهبانه في أحد الأديرة بالشام، حيث تنكّر أبو يزيد البسطامي في زيّ راهب، ودخل إلى الدير بمعرفة أحد الرهبان، ثم كشف عن أمره، وجرى بينه وبين القسّيس حوار طويل، كان بشكل أسئلة يوجهها القسيس إلى أبي يزيد، وهو يجيب

[1] – المرجع السابق/ص4.

عليها، وفي ختام الحوار وجّه أبو يزيد سؤالا واحدا للقسيس عن مفتاح السماوات والجنة، فأجاب القسيس بعد أن استأمن على نفسه من شيعته، بأنه شهادة التوحيد، لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فأسلم القسيس وأسلم جميع الرهبان وحولوا الدير إلى مسجد"[1].

أما ابن فوديو فإن الإلوري يصف منهجه في الدعوة إلى الله فيضفي عليه حلة من الوضوح والتسامح الذي جر الوثنيين مرغمين لاعتناق الإسلام، والمنحرفين من المسلمين لتصحيح العقيدة والأخلاق، فقد قال واصفا ذلك المنهج" كان له مجلسان: أحدهما للتدريس والآخر للوعظ والإرشاد، أما تدريسه فكان يخرج بعد صلاة العصر والعشاء للتدريس، يفسر القرآن ويدرس الحديث والفقه والتصوف وسائر العلوم الأخرى. أما وعظه فكان يخرج ليلة كل جمعة ويعظ الناس فيها، وكان يحضر مجلس وعظه خلق كثير رجالا ونساء"[2].

وكان يخرج إلى الآفاق القريبة والبلدان المجاورة للإفادة والوعظ أياما، ثم يرجع إلى بلده، وكان منهج وعظه في الدعوة على خمسة أقسام:

الأول: فيما فرضته الشريعة من الأصول والفروع الظاهرة والباطنة.

الثاني: في الحث على اتباع سنة رسوله.

الثالث: في رد أوهام الطلبة في التوحيد والفقه والإنصراف إلى الصواب.

الرابع: في إخماد البدع الشيطانية ورد العادات الرديئة.

الخامس: في بث العلوم الشرعية وتحرير المشكلات والإفادة بالغرائب والنوادر في العلوم.

وكان إذا جلس لوعظه بدأ يحدث الناس في فن أصول الدين ثم في فن الفقه، يبدأ من باب الاستنجاء ثم الوضوء وصفته ثم الغسل والتيمم والصلاة وقضاء ما فات من الصلاة، ثم سجود السهو ثم الزكاة والصيام والحج والزكاة واليمين والنذر،

1- نص الحوار في الروض الفائق 149/ينظر :الفكر الإسلامي في الرد على النصارى 162/نقلا عن الحوار الإسلامي المسيحي المبادئ التاريخ الموضوعات الأهداف/بسام داو ود عجك/188/رسالة ماجستير/دار قتيبة/1418هـ1998م.

2 – الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو/ص104/مسابق.

ثم النكاح، ثم البيوع، ثم يذكر الناس في فن التصوف، ويذكرهم بآيات الترهيب وذكر النار، ثم بآيات الترغيب وصفات الجنة"[1].

صار للشيخ بهذا الأداء الدعوي المميز صيت عظيم في الآفاق، وصار يقصده الأقربون ويكاتبه الأبعدون، وتكونت من المستمعين لوعظه هيئة منتظمة سماهم الجماعة، وهم الذين صاروا أنصاره في دعوته الإصلاحية، ولما علم الشيخ بأنبلاد زنفر تحتاج إلى مرشد يأخذ بأيدي أهلها، توجه إليها وأقام فيها خمسة أعوام، ثم جال في أطراف بلاد كبي حتى جاوز نهر النيجر إلى ناحية الجنوب، ودخل بلاد الدند ومكث في بعض عواصمها، فتاب على يديه خلق كثير ثم عاد إلى وطنه"[2].

وضمن منهجيته في نقد الخطاب الصوفي يرى الشيخ محمد أبو زهرة أن الزهد في الدنيا أو الانصراف إلى الذكر ولو كان بالقلوب ليس هو المقصد الأسمى من الإسلام، وإنما هو ذكر الله الدائم في القلوب والعمل الصالح، وقد كان بدل الأبدال علي بن أبي طالب فارس المسلمين يعود من المعارك وسيفه ينطف دما، وهو الزاهد الباكي إذا قرأ القرآن، وإذا عرضت له الدنيا يقول يا دنيا غري غيري، وينطلق في منهجيته النقدية هذه من قاعدة تقول "بأن الصوفي الكبير لا يكون قطبا ربانيا إلا إذا عمل عملا ربانيا، كما فعل القطب عبد القادر الجيلاني والقطب التيجاني والسنوسي[3] لأنهم يعملون بقول النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه "فوالله لأن يهدي الله بك رجلا خير لك من أن يكون لك حمر النعم" [4].

وإذا علم المريد ذلك التعليم كان من المجاهدين المتصوفين، وأول الجهاد الدعوة إلى الإسلام، بل إن الجهاد ما فرض إلا لإزالة الحواجز التي تحول دون العودة إلى الإسلام .

ويعتمد أبو زهرة على تأثير الخطاب الصوفي في الدعوة، إذ يذكر أثره بين صفوف الوثنيين السودانيين بـ"أنهم كانوا يجذبونهم بالذكر، والتمايل ذات اليمين

---

1 - المصدر السابق/ص104 وما بعدها.

2 - المصدر نفسه/ص105.

3- ينظر: الدعوة إلى الإسلام/محمد أبو زهرة/133/د.ط.ن.ت.

4- رواه البخاري عن علي بن أبي طالب/صحيح البخاري/ح 1078.

وذات الشمال، وبذلك يستجيبون لهم أكثر من استجابتهم لمبشّر النصارى، وكانوا يقولون للشيخ الصوفي"يا شيخ إنك خير من هذا الإنكليزي، وكلامك أطيب وأحسن، وكانوا يسيرون بهم سير التدرج، فيعلمونهم الصلاة، وإذا جاء الصوم علموهم الصوم، وهكذا يدخلون الإسلام في قلوبهم جرعة جرعة، كما دخل الإسلام في قلوب العرب"[1] .

وهذا العطاء الصوفي في الواقع الدعوي أزعج بعض المنصّرين لدرجة شكا بعضهم من النفوذ الصّوفي الكبير في أفريقيا، حيث ورد في كتاب معركة التبشير والإسلام" أن الخصم المعارض؛ هو الشيخ أو الدرويش صاحب النفوذ في أفريقيا، أكثر مما هو كذلك في فارس، فالشيخ والدرويش يجوبان في شواطئ البحر الأحمر والنيجر والمغرب ويبثّان في السكان ظهور المهدي المنتظر "[2].

وإذا كان هذا هو موقع الخطاب الصوفي في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام وفي تقويض جهود المنصرين؛ فإنه على مستوى الحوار مع الآخر يصنف بأنه من أكثر الخطابات الإسلامية تسامحا مع الآخر، إذ يندر جدا حصول مبادرة منه لمحاربة ومصاولة خصومه في الفكر والمنهج بالشكل الذي يحدث من بعض تيارات الخطاب الإسلامي، ولعل مرد ذلك التسامح هو:

- أن التصوف تميز منذ نشأته الأولى بالتسامح الديني، حيث إن المتصوفة لم يحاربوا مذهبا أو عقيدة، بل ظلوا منتسبين إلى النسيج الحضاري للأمة بعيدين كل البعد عن مشادّات التكفير والتجريح .

- تأصّل فكرة الحب في منهجهم، والتي تنطلق أساسا من إنكار الذات كمقدمة ضرورية للترقي والارتفاع عن الدنايا، وصولا إلى مرحلة الحب الإلهي .

- طبيعة التربية الصوفية التي تندرج من المقامات اكتسابا للأحوال موهبة، وهي مراحل في التربية تنعكس على سلوك المربي وآدابه، وتعدّه للتحمل والبذل والتضحية"[3].

1- الدعوة إلى الإسلام/أبو زهرة/صـ132.

2- معركة التبشير والإسلام/عبد الجليل رؤوف شلبي/صـ216/مؤسسة الخليج العربي/القاهرة/1409هـ1989م.

3- دور التصوف في تخفيف العنف المعاصر/كامل مصطفى الشيبي/أعمال ملتقى التصوف الإسلامي العالمي/266.

ثانيا: الروحانية المنافية للخواء الروحي في المجتمعات المادية.

أما في إطار الأداء الدعوي للصوفية في المجتمعات التي طغت فيها المادية فإن الخطاب الصوفي ذو تأثير وصدى واسعين، فكثيرا ما يصادفنا الإعجاب الذي يبديه بعض مثقّفي الغرب تجاه التصوف الإسلامي، على أنه يمثل تجربة إنسانية فريدة وأنموذجا رائعا للأخوّة والمحبة والإنسانية، ولم يقتصر الأمر في ذلك، بل اعتنق الكثيرون في الغرب الإسلام عن طريقه، وهو ما أثار استغراب المفكر الألماني (مراد هو فمان) حيث قال في دهشة "أما في عصرنا هذا، عصر العقلانية، فإنه من الخطأ الاعتقاد بأنه لم يعد للصوفية الإسلامية أي دور بارز في الحياة الثقافية...، إذ لم تزل تتمتع الحركات الصوفية الكبرى بالنشاط والحيوية...، ولكن أكثر ما يبعث على الدهشة هو حقيقة؛ أن كثيرا ممن اعتنقوا الإسلام في الغرب وبخاصة في فرنسا كانوا قد اهتدوا إلى الإسلام عن طريق الصوفية، ومن أشهر هؤلاء، الفرنسي –غوينون–حيث طبع كتابه la crise du monde modern– أزمة العالم المتمدّن (المعاصر) الذي كتبه سنة 1946م سبع مرات"[1].

وبالإضافة إلى هذه المعطيات الذاتية التي تنطلق من الخطاب الصوفي فإن عددا من قادة حركة الإصلاح، وكثيرا ممن عرفوا بالتضحية ومقاومة الاستعمار في العصر الحديث كانوا من المدرسة الصوفية، يذكر منهم على سبيل الإيجاز الأمير عبد القادر الجزائري، [2] ومقاومته للاستعمار الفرنسي حيث بايعه أهلها فقام بأمر الجهاد وقاتل الفرنسيين خمسة عشر عاما، من عام 1832– 1847م وقد أثنى مؤرخو الغرب على شجاعته وعدله ورفقه وعلمه وفضله"3 والخطابي *

1– ينظر:– الإسلام هو البديل/مراد هو فمان/تح محمد مصطفى مازح/1413/93هـ1993م.

[2] – واسمه عند الميلاد عبد القادر بن محي الدين ولد1122هـ 6– سبتمبر 1808م بمعسكر وتوفي 1300هـ الموافق 26– مايو 1883م بدمشق.

3– دراسة في الطرق الصوفية/المهدي/155.

* هو محمد بن عبد الكريم الخطابي مغربي من منطقة الريف مؤسسس ورئيس جمهورية الريف ما بين 1911 و 1926م حارب الاحتلال الفرنسي والاسباني ولقب ببطل وأسد الريف بويع أميرا للمجاهدين ورفض أن يبايع ملكا بالريف كما رفض أن يبايع خليفة للمسلمين ولد بمنطقة إجدير بالمغرب(1882– وتوفي 6 فبراير 1963م) ثار على الأسبان وهزمهم قرب مليلية واستسلم للفرنسيين عام 1926م توفي بمنفاه في القاهرة .ينظر: المنجد في اللغة والأعلام /317.

وعمر المختار* وعبد العزيز الثعالبي*وعبد الحميد بن باديس*[1]، والشيخ ماء العينين*[2] وكثير ما هم.

يقول الحسيني عن دور الصوفية في الدعوة في المجتمعات التي طغت فيها المادة" كان للطرق الصوفية دور كبير في نشر الإسلام، وكان للمخلصين من الصوفية نشاط كبير مشكور في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، عن طريق القدوة الطيبة والأسوة الحسنة، فكان عامة الناس يتأثرون بهم، وينجذبون إليهم بسهولة ويسر، وفي إعجاب بهم وانبهار بهم، وساعدهم كذلك في نشر الإسلام أنهم كانوا في الغالب يعنون بالحديث عن الجوانب الروحية والأخلاقية والوجدانية، وهذه الجوانب في الدين لها فاعليتها وسحرها وأثرها"[3].

ثم يواصل ليشرح طريقتهم في عرض العقيدة للماديين والملحدين مما كان له الأثر الفاعل في إذعانهم لسلطان العقيدة فيقول" وقد عاون على نشر الإسلام

---

*- أشهر مجاهدي ليبيا في حربهم مع الطليان، ولد في البطنان ، وتعلم في الزاوية السنوسية بالجغبوب، وأقامه محمد المهدي الإدريسي شيخا على القصر بالجبل الأخضر...اتفق رؤساء القبائل على أن يكون القائد العام والرئيس الأعلى للمجاهدين، أسره الإيطاليون فقتل شنقا على مشهد عظيم من أتباعه في مركز سلوق قرب بنغازي، وممن رثاه الشاعر أحمد شوقي ومطران، ولد 20 أغسطس 1861م – وتوفي 16 سبتمبر 1931م).ينظر: الأعلام/65/5.

* زعيم تونسي من الخطباء الكتاب جاهر بطلب الحرية لبلاده فسجنه الفرنسيون، وبعد إطلاق سراحه عمل على إنشاء مجلة الفجر، ومن كتبه – تاريخ شمال أفريقيا، وفلسفة التشريع الإسلامي ولد (15 شعبان 1273هـ الموافق 5 سبتمبر 1876م) وتوفي 1- أكتوبر- 1944م). ينظر: الأعلام/12/4.

1 – من رجالات الإصلاح في الوطن العربي ورائد النهضة الإسلامية في الجزائر ومؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عرفت الأسرة الباديسية منذ القدم بإنجابها للعلماء والأمراء والسلاطين وحسبما يقول مؤلف كتاب أعيان المغاربة" ينتمي ابن باديس إلى بيت عريق في العلم والسؤدد، ينتهي نسبه في سلسلة متصلة ببني باديس الذين جدهم الأول هو مناد بن مكنس الذي ظهرت علامات شرفه وسيطرته في وسط قبيلته في حدود القرن الرابع الهجري أصولهم من الصنهاجة الأمازيغية، ولد 1307- وتوفي 1358هـ الموافق 1889- 1940م. ينظر: أعيان المغاربة/ مارث إ ت وغيره/طبعة: فوناتان الجزائر 1920م.

[2] –هو: ابن الشيخ محمد فاضل القلقمي ولد في الحوض شرقي موريتانيا يوم الثلاثاء 27 شعبان 1246هـ أخذ عن والده القرآن والعلوم الشرعية واللغوية كما تأثر به في جانب التصوف، ارتبط اسمه بمقاومة الاستعمار الاسباني والفرنسي أسس مدينة السمارة بالصحراء الغربية وقف ضد تحالف ملك المغرب مع الغزاة، ولذلك وجدت فرنسا وأسبانيا صعوبة في اختراق موريتانيا والصحراء بفضل مساندة الشيخ ماء العينين للمقاومة، توفي الشيخ ماء العينين ليلة الجمعة 17شوال 1328هـ الموافق 25 أكتوبر 1910م. بتزنيت وسط المغرب وبها دفن مخلفا ثروة هائلة من المؤلفات منها: دليل الرفاق على شمس الاتفاق، وسهل المبتغى في الحث على التقى، ونعت البدايات وتوصيف النهايات نظم الحكم العطائية فتق الرتق على راتق الفتق واللؤلؤ المحوز الجامع ما في الجامع الصغير والراموز، نبيين الغموض عن نعت العروض، حزب البسملة، منظومة في سيرة رسول الله، حزب الخير الجسيم، أدب المريد في معنى لا إله إلا الله وكيفية التعبد بها، المقاصد النورانية، مفيد الحاضرة والبادية، مظهر الدلالات، المرافق على الموافق(وهو عبارة عن شرح لموافقات الشاطبية) هداية من حارى من أمر النصارى، مفيد النساء والرجال، مفيد السامع والمتكلم، وقد بلغت الألف مؤلف تم حرق الكثير منها في الهجوم التي شنته القوات الفرنسية والأسبانية للسمارة، وقد تعددت المجالات التي كتب فيها رحمه الله .

3 التكفير/الحسيني/ص 46/مصدر سابق.

بطريق الصوفية وضوح العقيدة الإسلامية وبساطتها، فلا غموض ولا تعقيد ولا ألغاز، فكان أصحاب الطرق الصوفية ولا سيما الأذكياء والبصراء منهم، يقدرون على شرح هذه العقيدة بيسر وسهولة، في حدود ثقافتهم الدينية المحدودة"[1].

ويقدم نماذج حية تصلح مادة للتدليل على المكتسبات الدعوية التي يحققها مثل هذا لأسلوب فيقول" هذا مثلا: الحاج بكطاش ولي صاحب الطريقة البكداشية التي ظهرت منذ أوائل القرن السادس عشر الميلادي، وقد جاء إلى الأناضول وهدى فرق الإنكشارية إلى الإسلام في زمن السلطان أرخان، كما نشر الرجل ومريدوه دعوتهم في الأناضول ومواطن الأكراد، والأمير المجاهد عبد القادر الجزائري من رجال القرن الثالث عشر الهجري المتوفى سنة 1300هـ كان صوفيا، يجمع بين الدعوة للإسلام والمقاومة لاحتلال الفرنسيين الجزائر، وأسهم بنصيب كبير في حفظ الصبغة الإسلامية للجزائر، وله كتاب اسمه المواقف في التصوف وهو في ثلاثة مجلدات، وكان له أثر كبير بين أتباعه وكذلك بذلت الطرق التيجانية والشاذلية والقادرية برغم ما يوجه إليها من مآخذ جهودا مذكورة في نشر الإسلام "[2].

إذا كانت هذه هي معطيات الخطاب الصوفي في الدعوة والإصلاح، فإن النظر إليه من خلال كونه مادة مهمة للعمل الإسلامي، يجب دراستها بموضوعية لتجلية مواقفه المشرّفة، والدفع بنجاحاته ومنجزاته، مع إدخال عنصر النقد البناء من أجل الضبط والتوازن، حتى لا يلج للتصوف كل من هبّ ودب، لتجاوز مشكلاته المتمثلة في الدروشة، والركون إلى الدعة والاسترخاء والاستغاثة بالأضرحة، والتشبث بالكرامات والخوارق في عصر تفجير الذرة، واختراق الفضاء .

ويتعزّز الخطاب الصوفي أكثر بحيث يشكل للعمل الإسلامي رصيدا مهما في أبعاد أدائه كلها بما ورد في كتاب كبرى الحركات الإسلامية، حيث قال "إذا أراد الله، وإذا التقت قوة الأزهر العلمية بقوة الصوفية الروحية، بقوة الجماعات

1 – المصدر السابق/ص47.

2 – المصدر السابق/الصفحة نفسها.

الإسلامية العملية لكانت الأمة لا نظير لها توجّه ولا تتوجّه، وتقود ولا تنقاد، وتؤثر في غيرها ولا يؤثر شيء فيها، وترشد هذه المجتمعات الضالة إلى سواء السبيل "[1].

إذا كانت تلك هي مناهج الصوفية في التربية و الدعوة إلى الله، فما هي إذن جهود إصلاح التصوف – داخليا وخارجيا– ومن هم أبرز رجالات هذا الإصلاح على المستويين الداخلي والخارجي؟

1– كبرى الحركات الإسلامية في القرن الرابع عشر/د.محمد سيد الوكيل/24/دار المجتمع/جدة/السعودية/1402هـ1917م.

الفصل الثالث:-
إصلاح التصوف ونقده داخليا وخارجيا
وأبرز أئمته.

المبحث الثاني:- أبرز رجالات الإصلاح الصوفي من الداخل.

المبحث الثالث:- أبرز رجالات الإصلاح الصوفي من الخارج.

مدخل:

التصوف الحق هو علم السلوك والتربية، وأئمته الكبار هم رواد الأخلاق والآداب في الإسلام، كما تخصص غيرهم في الفقه والحديث والتفسير، وباقي علوم الإسلام، تخصصوا هم في السلوك والآداب والأخلاق، وهو ما قرأناه في الفصول المتقدمة.

لكن التصوف علقت به شوائب كثيرة، وادعاه من ليس منه من أهل الحلول والاتحاد ووحدة الوجود، وانحرف كثير من أصحابه المتأخرين وغلوا في شيوخهم وابتدعوا شرائع وشعائر وتفرقوا طرائق قددا. فكان لزاما على العلماء تنقية التصوف وتطهيره مما علق به، كما فعل المجددون في العقيدة والفقه بإرجاع ذلك للأمر الأول الذي كان عليه السلف الصالحون وأتباع السنة و الأثر، وقد كان أئمة كبار من أهل الحديث صوفية، و كان تصوفهم تصوف عبادة وأخلاق و سلوك رفيع، و كانوا ينكرون على المنحرفين ويتبرؤون منهم. فكانوا بذلك منارات هداية للمسلمين، و كانت كلماتهم بلسمًا يشفي القلوب.

و قد حاول جماعة من الأئمة إصلاح التصوف و تقويم عوجه، فقد عرف تاريخ الفكر الإسلامي اتجاهات لنقد التصوف بعضها من داخله لتصحيح المسار، وبعضها من خارجه. كما فعل الإمام ابن الجوزي في تلبيس إبليس، وابن القيم في "مدارج السالكين" و "طريق الهجرتين" و ابن تيمية في "الاستقامة" و غيرهم، أما على المستوى الداخلي فنجدالغزالي في عدد من كتبه نقد للتصوف، و أبا العباس أحمد زروق في "قواعد التصوف" و "عدة المريد الصادق" والعياشي سكيرج في جناية المنتسب العاني، والشيخ إبراهيم إنياس، والشيخ إبراهيم صالح في الكافي في علم التزكية والمغير والتكفير وغيرها من كتبه المستفيضة، رحم الله الجميع، ولذا سيأتي الوقوف على هذه الجهود وأبرز رجالاتها من خلال المبحثين الآتيين، ولنبدأ بأئمة الإصلاح من الداخل لنمهد لأولئك الذين تصدوا لإصلاح التتصوف على المستوى الخارجي .

المبحث الأول:– أبرز أئمة الإصلاح الصوفي من الداخل.

أولا: الإمام الغزالي .

ويمكن اعتباره أبرز من يمثل الاتجاه الإصلاحي من الداخل، لما عرف عنه من مواقف نقد بنّاءة وضعت الحدّ الفاصل بين التصوف السني والتصوف الفلسفي، فنجده ضمن منهجه النقدي " يرى أن يقدّم الصوفي في العلوم البرهانية على العبادة والمجاهدة، والرياضة، فيقول في كتابه المقصد الأسنى" كم من صوفي بقي في خيال واحد عشر سنين إلى أن يتخلص منه، ولو كان قد أتقن العلوم أولا؛ لتخلّص منه على البديهة، فالاشتغال بتحصيل العلوم بمعرفة معيار العلم وتحصيل براهين العلوم المغلقة أولى، فإنه يسوق إلى المقصود"[1] .

فقال " إن أول ما يجب عليه الاعتقاد السليم الخالي عن البدع.

الثاني: التوبة النصوح بأن لا يرجع إلى الزلات

الثالث: استرضاء الخصوم حتى لا يبقى لأحد عليك حق .

الرابع: تحصيل علم الشريعة بقدر ما يعمل بأوامر الله ويقف عن نواهيه ولا يجب عليه من علم الشريعة سوى ذلك، ثم من علوم الأخرة ما تكون به النجاة"[2].

الخامس: أن يكون له مرشد ومرب ليدله على الطريق ويرفع عنه الأخلاق المذمومة، ويضع مكانها الأخلاق المحمود.

السادس مخالفة سياسة النفس، وهذا لايتيسر إلا بترك جلساء السوء لتقصر عنه يد تصرف شيطان الإنس والجن وترفع عنه التلوثات الشيطانية.

السابع أن تختار جميع أحوال الفقر، لأن أصل هذا الطريق فراغ من حب الدنيا، فإذا لم تختر جميع أحوال الفقراء، وجدت في قلبك الأسباب يكون سببا لفراغ القلب من حب الدنيا...، إلى أن قال" فهذه السبعة واجبة على سالك طريق الله "[3].

1– المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى/الغزالي/148/نقلا عن دراسة في الطرق الصوفية/ السيد محمد عقيل بن علي المهدي/162/مصدر سابق.

[2] – أيها الولد/الغزالي/21 وما بعدها/مكتبة ابن القيم/دمشق/ط2/1422هـ2001م.

[3] – مجموعة رسائل الإمام الغزالي/إبراهيم أمين محمد/ص188/المكتبة التوفيقية/القاهرة/د.ت.ن.

ثم يواصل ليضع ملامح التصوف التي يجب أن يلتزم بها الصوفي فقال" اعلم أن التصوف له خصلتان:

1 - الاستقامة.

2 - والسكون عن الخلق.

فمن استقام وأحسن خلقه نع الناس، وعاملهم بالحلم فهو صوفي، والاستقامة: أن يفدي حظ نفسه لنفسه"[1] .

وحسن الخلق مع الناس: ألا تحمل الناس على مراد نفسك، بل تحمل نفسك على مرادهم، ما لم يخالفوا الشرع.

أما عن العبودية فيحصرها في الالتزام بشرع الله، والرضا بقضاء الله، ومحاربة رضاء النفس، فقال" العبودية ثلاثة أشياء:

أحدهما: محافظة أمر الشرع.

ثانيهما: الرضاء بالقضاء والقدر، وقسمة الله تعالى.

ثالثهما: ترك رضاء نفسك في طلب رضاء الله تعالى"[2].

وفي إطار جهود الإصلاح يورد الغزالي في منهاج العارفين بيانا موسعا للمريدين، فقد جعل الحديث عنه يدور على ثلاثة أصول: الخوف والرجاء والحب، فالخوف: فرع العلم، والرجا: فرع اليقين، والحب: فرع المعرفة، فدليل الخوف الهرب، ودليل الرجاء الطلب، ودليل الحب إيثار المحبوب، ومثال ذلك الحرم والمسجد والكعبة، فمن دخل حرم الإرادة أمن من الخلق، ومن دخل المسجد أمنت جوارحه أن يستعملها في معصية الله تعالى، ومن دخل الكعبة أمن قلبه أن يشتغل بغير ذكر الله، فإذا أصبح العبد لزمه أن ينظر في ظلمة الليل ونور النهار ويعلم أن أحدهما إذا ظهر، عزل صاحبه عن الولاية، فكذلك نور المعرفة إذا ظهر عزل ظلمة المعاصي عن الجوارح، فإن كانت حالته حالة يرضاها لحلول الموت شكر الله تعالى على توفيقه وعصمته، وإن كانت يكره معها الموت انتقل عنها بصحة

---

[1] – أي أن يضحي بحظ نفسه وشهواتها من أجل فلاح نفسه ونجاتها، ولعلها (أن يفدي بحظ نفسه)

[2] – أيها الولد/الغزالي/29.

العزيمة وكمال الجهد...، فندم على ما أفسد من عمره بسوء اختياره واستعان بالله على تطهير ظاهره من الذنوب وتصفية باطنه من العيوب"[1].

وقد وضع في هذا المؤلف مجموعة من القضايا المهمة لتصحيح ممارسات المريدين العبادية والعادية.

وقد تحدث الغزالي عن حقيقة العلم اللدني وأسباب حصوله في كتابه (الرسالة اللدنية) فقال" اعلم أن العلم اللدني "وهو سريان نور الإلهام، يكون بعد التسوية كما قال تعالى ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾[2] وهذا الرجوع يكون بثلاثة أوجه:

أحدها: تحصيل جميع العلوم وأخذ الحظ الوافر من أكثرها.

والثاني: الرياضة الصادقة والمراقبة الصحيحة، فإن النبي ﷺ أشار إلى هذه الحقيقة فقال" "من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم"[3].

والثالث: التفكر، فإن النفس إذا تعلمت وارتاضت بالعلم ثم تتفكر في معلوماتها بشروط الفكر، ينفتح عليها باب الغيب، كالتاجر الذي يتصرف في ماله بشرط التصرف، ينفتح عليه أبواب الربح، وإذا سلك طريق الخطأ يقع في مهالك الخسران"[4].

ولو ذهبت أحصي جميع ما أورد الغزالي في مسيرة الإصلاح الصوفي لما اتسعت لها هذه الرسالة، فقد ذكر صاحب كتاب (مجموعة رسائل الإمام الغزالي) ما بلغ تعداده خمسة مصنفات كلها تدور في فلك الإصلاح الصوفي، وتقديم دلالات مفيدة لأداء صوفي أمثل، هذه التصانيف تأتي على النحو الآتي:

1- خلاصة التصانيف في التصوف.
2- القسطاط المستقيم.
3- منهاج العارفين.
4- الرسالة اللدنية.
5- فصل التفرقة.

---

[1] – منهاج العارفين/الغزالي/من مجموعة رسائل الإمام الغزالي/ص229.
[2] – سورة الشمس: الآية: 7
[3] – الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة/السيوطي/ج1/ص20.
[4] – الرسالة اللدنية/الغزالي/ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي/ص252 وما بعدها.

6 –أيها الولد.

7 –إحياء علوم الدين.

8 –بداية الهداية.

9 –ميزان العمل.

10 – معراج السالكين.

وما كتاب (إحياء علوم الدين) إلا أنموذج فذ جعل الغزالي أن يكون في طليعة أئمة الإصلاح الصوفي بحق، فقد تحدث عن مصطلحات التصوف من مثل المهلكات والمنجيات، والتحلية والتخلية بإفاضة، كما تحدث فيه عن الأخوة والصحبة وآداب العزلة .

ولذا فإنه لا يمكن أن نختم حديثنا عن موقع الإمام الغزالي الإصلاحي ونكون بمعزل عن كتاب الإحياء، لموقعه المهم ضمن مصادر التصوف، بالقدر الذي نورد فيه جزءا مما يتعلق منه بالخطاب الصوفي على سبيل الاستئناس، لا على سبيل التعمق في مضامينه، فعن العزلة يقول الغزالي" اعلم أن أختلاف الناس في هذا يضاهي اختلافهم في فضيلة النكاح والعزوبة...، فلنذكر الآن فوائد العزلة، وهي نتقسم إلى فوائد دينية ودنيوية، والدينية تنقسم إلى ما يمكن من تحصيل الطاعات في الخلوة والمواظبة على العبادة والفكر وتربية العلم، وإلى تخلص من ارتكاب المناهي التي يتعرض الإنسان لها بالمخالطة، كالرياء والغيبة والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة من جلساء، وأما الدنيوية فتنقسم إلى ما يمكن من التحصيل بالخلوة، كالنظر إلى زهرة الدنيا وإقبال الخلق عليها وطمعه في الناس وطمع الناس فيه، وانكشاف ستر مروءته بالمخالطة والتأذي بسوء خلق الجليس في مرائه أو سوء ظنه أو نميمته أو محاسدته أو التأذي بثقله وتشويه خلقته، وإلى هذا ترجع مجامع فوائد العزلة"[1].

---

[1] إحياء علوم الدين/الغزالي/ج2/ص247/الدار المصرية اللبنانية/د.دن/د.س.ن.

ولا يعتبر الغزالي بهذا العرض أنه يفضل العزلة على الاختلاط بل أنه قدم محاسن العزلة ليعقبه بما قيل في الاختلاط من فضائل ومساوي، والشيء ذاته عمله في العزلة.

وقد جاء على منوال الغزالي في الإحياء كلا من العلامة شمس الدين عبد الرحمن الجوزي،(510-597هـ) الذي اختصر منهاج القاصدين من إحياء علوم الدين، وقد اختصر هذا المختصر العلامة ابن قدامة المقدسي الحنبلي، وسماه مختصر منهاج القاصدين، لهذه الدرجة نال هذا الكتاب الشهرة والاهتمام، وقد قال فيه ابن قدامة عند ما أراد اختصار منهاج القاصدين الذي قام ابن الجوزي بتلخيصه من إحياء علوم الدين" فإني كنت وقفت مرة على كتاب منهاج القاصدين للشيخ جمال الدين ابن الجوزي رحمه الله تعالى، فرأيته من أجل الكتب وأنفعها، فحصل عندي بموقع، ورغبت في تحصيله ومطالعته، فلما تأملته ثانيا، وجدته فوق ما كان في نفسي"[1].

هكذا يصف المقدسي كتاب الإحياء وموقعه في الإصلاح الصوفي، ومن ثم فإننا معنيون بالولوج إلى ثاني أبرز المصلحين للخطاب الصوفي ذلكم هو الشيخ عبد القاددر الجيلاني .

---

[1] –ينظر: مختصر منهاج القاصدين/ابن قدامة المقدسي/ص8/شركة القدس/القاهرة/د.س.ن.

ثانيا: الشيخ عبد القادر الجيلاني(471 – 561 هـ 1078 – 1166 م)

هـو: عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، أبو محمد، محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي: مؤسس الطريقة القادرية، من كبار الزهاد والمتصوفين، ولد في جيلان (وراء طبرستان) وانتقل إلى بغداد شابا، سنة 488 هـ، فاتصل بشيوخ العلم والتصوف، وبرع في أساليب الوعظ، وتفقه، وسمع الحديث، وقرأ الادب، واشتهر، وكان يأكل من عمل يده. وتصدر للتدريس والإفتاء في بغداد سنة 528 هـ وتوفي بها.

من مؤلفاته.

له كتب، منها:

1 -الغنية لطالب طريق الحق – ط .

2 -الفتح الرباني – ط .

3 -فتوح الغيب – ط .

4 -الفيوضات الربانية – ط"[1].

مشروع الشيخ عبد القادر الإصلاحي:

وقد وضع الدكتور علي محمد محمد الصَّلاَّبي لا ئحة طويلة لمشروع الشيخ عبد القادر الجيلاني الإصلاحي، وضح فيها مواقفه من تنقية الشوائب التي لحقت التصوف في تاريخه الطويل حيث قال" فقد أعطى الشيخ عبد القادر عناية خاصة لإصلاح التصوف، وأعادته إلى مفهوم "الزهد" ثم توظيفه لأداء دوره في خدمة الإسلام وإصلاح المجتمع ولقد تمثلت جهوده في هذا الميدان"[2].

أ – تنقية التصوف مما طرأ عليه : من انحرافات في الفكر والممارسة ثم رده إلى وظيفته الأصلية كمدرسة تربوية، هدفها الأساسي في غرس معاني التجرد

---

1 – معجم المؤلفين/رضا كحالة/ج5/307. و الزركلي: الاعلام 4: 171

2 – عصر الدولة الزنكية ونجاح المشروع الإسلامي بقيادة نور الدين محمود الشهيد في مقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي/د. علي محمد محمد الصَّلاَّبي/ج3/ص75/د.د.ن.

الخالص والزهد الصحيح. ويمثل كتاباه " الغنية لطالبي طريق الحق " وفتح الغيب " خلاصة أفكاره في هذا المجال. ولقد تناول الكتاب الثاني بالشرح ابن تيمية في الجزء العاشر من الفتاوى المسمى " كتاب السلوك " وقدّمه نموذجاً للزهد الذي حث عليه القرآن الكريم والسنة الشريفة، ولم يكن عبد القادر في هذه المهمة يعتمد على البحث النظري أو الحديث والوعظ وإنما طبقه في ميدان التربية العملية في مدرسته "[1].

ب- الحملة على المتطرفين من الصوفية : حمل عبد القادر في مواعظه وكتبه على من تلسبوا بالتصوف أو شّوهوا معناه، لأن التصوف الصحيح صفاء وصدق لا يتحققان : بتغيير الخرق، وتصفير الوجوه، وجمع الأكتاف، ولقلقة اللسان بحكايات الصالحين، وتحريك الأصابع بالتسبيح والتهليل، وإنما يجيء بالصدق في طلب الحق عز وجل، والزهد في الدنيا، وإخراج الخلق من القلب وتجردهما عمّا سوى مولاه عز وجل"[2].

كما انتقد ما شاع بين بعض الصوفية من سماع الألحان والرقص وبدع لا تتفق مع الكتاب والسنة وقّرر أن المريد الصادق لا يهيَّجه كلامٌ غير كلام الله وهو في غنى عن " الأشعار والقيان والأصوات وصراخ المدعين، وشركاء الشياطين ركاب الأهوية، مطايا النفوس والطباع، أتباع كل ناعق وزاعق"[3].

ج- محاولة التنسيق بين الفرق الصوفية وإيجاد التآلف بينها: في الفترة الواقعة بني عامي 546هـ - 550هـ (1151م - 1155م) جرت حركة تنسيق واتصالات بين الطرق الصوفية بهدف توحيد الجهود وتنظيم التعاون ولتحقيق هذا الهدف عقد عدد من الاجتماعات واللقاءات أدت إلى نتائج هامة على المستوى التنظيمي والمستوى النظري، وتصدر الشيخ عبد القادر الزعامة وكان أول الاجتماعات التي استهدفت توحيد القيادة عقد في رباط المدرسة القادرية الكائن في منطقة الحلة في بغداد، حيث حضر الاجتماع ما يزيد على الخمسين من شيوخ

[1] - هكذا ظهر جيل صلاح الدين/صـ209.

[2] - المصدر نفسه/صـ209.

[3] - المصدر نفسه/الصفحة نفسها.

العراق وخارجه، وكان الاجتماع الثاني – خلال موسم الحج حيث حضره شيوخ الطرق الصوفية من مختلف أرجاء العالم الإسلامي، حضر هذا اللقاء الشيخ عبد القادر الكيلاني من العراق، والشيخ عثمان بن مرزوق القرشي الذي شاعت شهرته وانتهت إليه المشيخة في مصر، والشيخ أبو مدين المغربي الذي يعود إليه نشر الزهد في المغربفي ذاك العصر، كذلك حضر الاجتماع شيوخ من اليمن حيث أرسل معهم الشيخ عبد القادر رسولاً ينظم أمورهم"[1]. وفي نفس الفترة جرت اتصالات بين الشيخ عبد القادر والشيخ رسلان الدمشقي الذي انتهت إليه تربية المريدين ورئاسة المشايخ في الشام"[2] .

ثم تلا ذلك اجتماع موسع، حضره جمع كبير من الشيوخ الذين يمثلون مدارس الإصلاح في مختلف أقطار العالم الإسلامي، واستطاع الشيخ عبد القادر الجيلاني أن ينقل التصوف السني إلى حركة منظمة في العراق وعلى مستوى العالم الإسلامي، ولقد ترتب على هذه اللقاءات المستمرة للمشايخ والعلماء آثار هامة منها.

– وحدة العمل لدى مدارس الإسلام عامة فقد أصبح للزعيم الشيخ عبد القادر اجتماعات متوالية مع كبار الشيوخ، يناقشون ما تحيله إليهم المدارس والأربطة في العالم الإسلامي من قضايا ومشكلات.

– إن المدارس والرباطات المختلفة أخذت ترسل إلى المدرسة القادرية النابهين من طلابها والمتقدمين من مريبها الذين ترى فيهم مؤهلات المشيخة في المستقبل، كما فعل الشيخ أبو مدين المغربي حين أرسل أحد مريديه – صالح بن ويرجات الزركالي – إلى بغداد حيث أكمل علوم الفقه وسلوك الزهد على يد الشيخ عبد القادر لإكمال سلوك الزهد وعلوم الإرادة "[3].

– إن إحكام الربط بين تعليم الفقه وسلوك الزهد أدى إلى خفة – بل ربما اختفاء – معارضة الفقهاء وإلى التعاون بين الطرفين، بل صار الفقهاء يجمعون

[1] – هكذا ظهر جيل صلاح الدين/صـ245.

[2] – المصدر نفسه/الصفحة نفسها.

[3] – هكذا ظهر جيل صلاح الدين الأيوبي/ص 247.

بين الفقه والزهد ويسمون ذلك تكامل الشريعة والطريقة. وهذا الأمر جعل ابن تيمية يعتبر عبد القادر وأقرانه من قيادة مدارس الإصلاح نماذج فريدة في الجمع بين الفقه والزهد، فأطلق عليهم إصطلاح " الشيوخ الكبار المتأخرين " ونوّه في فتاويه بمزاياهم وتجردهم، واستقامتهم"[1]. الاتفاق على رؤية مشتركة للعمل والتعاون على تحقيق الأهداف المتفق عليها، وتقليل مساحة القضايا المختلف فيها مع وضع الخلاف في إطاره الطبيعي.

– خروج الزهد من عزلته التي كان فيها في حالة التصوف، وإسهامه في مواجهة التحديات التي تجابه العالم الإسلامي فقد توثقت الصلات بين نور الدين زنكي في دمشق وبين شيوخ مدارس الإصلاح في بغداد وحّران وجبال هكار ودمشق ثم أعقب ذلك تداعي هذه المدارس للعمل مع نور الدين فصلاح الدين، واستمر هذا التعاون حيث أولى السلطانان عنايتهما الفائقة بمدارس الزهد ورباطاتها، وبَنَيا لها فروعاً جديدة وأوقف عليها الأوقاف في المقابل حملت هذه المدارس مسؤولياتها وأخذت دورها في التوجيه المعنوي للجهاد بطريقة فعّالة ناجحه"[2].

– النهوض بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : يرى الشيخ عبدالقادر أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضرورة أساسية لبقاء المجتمع وسيادة الخير فيه، فإن تُرك تطرق الفساد إليه. وهو واجب على كل مسلم ولكل حسب مستواه ودوره : فالسلاطين : إنكارهم باليد والعلماء إنكارهم باللسان، والعامة إنكارهم بالقلب"[3]. والعلماء هم الفئة التي تقرر ما هو معروف مباح، وما هو منكر محرم، أما السلاطين، والعامة فعملهم تنفيذ ما يقرره العلماء في هذا المجال وللعلماء الذين يتسنمون هذه المنزلة صفات تحددهم في العلماء السالكين طريق الزهد دون سواهم هذه الصفات هي :

– أن يكون القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عالماً.

[1] – المصدر نفسه/ ص248.

[2] – المصدر نفسه/ص248 وما بعدها.

[3] – الغنية/عبد القادر الجيلاني/ج1/ص44 وما بعدها.

– أن يكون عالماً بالمنكر الذي ينهى عنه على وجه قطعي لما في ذلك من خوف الوقوع في الظنون والإثم. فالواجب أنكار ما ظهر وعدم بحث ماستر لأن الله نهى عن ذلك"[1]

– أن يكون قادراً على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على وجه لا يؤدي إلى فساد عظيم وضرر في نفسه وماله وأهله"[2].

وحّدد الشيخ عبد القادر الجيلاني لأساليب الأمر بالمعروف شروطاً وهي كما يلي :

– أن يستعمل اللين والتودد، لا الفظاظة والغلظة. وعليه أن يتحلى بالشفقة على الخلق لوقوعهم في مصايد الشيطان.

– أن يكون صبوراً متواضعاً زائل الهوى قوي اليقين حكيماً يعرف كيف يعالج الأمور.

– أن يأمر العاصي وينهاه في خلوة بما في ذلك من إمكانية قبول النصيحة، فإن لم ينفع استعان عليه بأهل الخير، فإن لم ينفع فبأصحاب السلطان"[3].

– عدم الخوض في مسائل الاختلاف أمام من يعتقدونها، فمثلاً في مذهب الحنابلة ينكرون اللعب بالشطرنج بينما يجيزه الشافعية، فالدخول في مثل هذه القضايا يثير تصلب المخالفين من المذاهب الأخرى ويفتح باباً للجدل والخصومة، فالحكمة هنا واجبة وأدب العالم أولى من علمه"[4].

6– مدارس النواحي والأرياف والبوادي :

تعتبر مدرسة الشيخ عبد القادر الجيلاني في بغداد من المدارس المركزية في عاصمة الدولة العباسية في عهد نور الدين زنكي ويعتبر الشيخ عبد القادر أحد رواد المدارس الإصلاحية التي أثرت في حركة النهوض ومقاومة الغزاة، إلا أن هناك كانت مدارس متعددة ساهمت في دعم الدولة الزنكية والأيوبية ومن أهمها :

---

[1] – هكذا ظهر جيل صلاح الدين/صـ 216.

[2] – المصدر نفسه/ص 216.

[3] – نشأة القادرية/د. ماجد الكيلاني/ص 168/رسالة مقدمة إلى دائرة التاريخ في الجامعة الأمريكية بيروت لبنانملاتمام المطلوب للحصول على درجة استاذ في الآداب.

[4] – المصدر نفسه/ ص 168

أ- المدرسة العدوية : أسس هذه المدرسة الشيخ عدى بن مسافر الذي أدرجه ابن تيمية في قائمة كبار الشيوخ المتأخرين" وأضاف أنه كان رجلاً صالحاً وله أتباع صالحون"[1].

ونشأ عدي في قرية يقال لها "بيت فار" في منطقة البقاع غربي دمشق، تتلمذ على الشيخ عقيل المنيحي ثم رحل إلى بغداد حيث صحب الشيخ حماد الدباس وغيره واجتمع هناك بالشيخ عبدالقادر الكيلاني وأبي الوفاء الحلواني، وأبي نجيب السهر وردي، ثم ركز على خاصة نفسه، بأنواع المجاهدات والتهذيب زمناً طويلاً، ولذلك كان الشيخ عبد القادر يثنى عليه كثيراً ويقول : لو كانت النبوة تنال بالمجاهدة لنالها الشيخ عدي بن مسافر "[2].

قضى الشيخ عدي زمناً في مجاهدة "خاصة نفسه" بالتزكية، ثم عاد للمجتمع واستقر في منطقة " جبال هكار " في شمال العراق بين قبائل الأكراد الهكارية، حيث بنى له مدرسة وأقبل عليه سكان تلك النواحي إقبالاً هائلاً، لما رأوه من زهده وصلاحه وإخلاصه في إرشاد الناس "[3]. ويصف ابن خلكان أثر الشيخ عدي في مجتمع الأكراد الهكارية فيقول : سار ذكره في الآفاق، وتبعه خلق كثير، وجاوز حسن اعتقادهم فيه الحد "[4].

ويذكر الذهبي أن من الآثار التي أحدثها الشيخ عدي بين الأكراد الهكارية انتشار الأمن في تلك المنطقة وارتداع مفسدي الأكراد وتوبتهم حتى صار لا يخاف أحد في تلك المنطقة الجبلية التي لم تكن آمنة قبل ذلك، وأنه انتفع به خلق كثير وانتشر ذكره. لقد وصف الحافظ عبد القادر الرهاوي شخصية الشيخ عدي ومكانته فقال : ساح سنين كثيرة وصحب المشايخ، وجاهد أنواعاً من المجاهدات ثم سكن بعض جبال الموصل في موضع ليس به أنس، ثم أنس الله تلك المواضع به وعمّرها ببركاته حتى صار لا يخاف أحد بها بعد قطع السبل، وارتدع جماعة من مفسدي الأكراد ببركاته.

---

[1] - فتاوى ابن تيمية/كتاب التصوف/ج11/صـ103.

[2] - النجوم الزاهرة (362/5.

[3] - وفيات الأعيان/ابن خلكان/ج3/ص254. وينظر: هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص 225.

[4] - المصدر نفسه/الصفحة نفسها.

وعمّر حتى انتفع به خلق، وانتشر ذكره، وكان معلماً للخير، ناصحاً متشرعاً، شديداً في الله، لا تأخذه في الله لومة لائم عاش قريباً من ثمنين سنة، مابلغنا أنه باع شيئاً ولا اشترى ولا تلبس بشيء من أمر الدنيا، كانت له غليلة يزرعها بالقدوم من الجبل ويحصدها ويتقوت، وكان يزرع القطن ويكتسي منه، ولايأكل من مال أحد شيئاً، وكانت له أوقات لا يُرى فيها محافظة على أوراده وقد طفت معه أياماً في سواد الموصل، فكان يصلي معنا العشاء ثم لا نراه إلى الصبح. ورأيته إذ أقبل إلى قرية يتلقاه أهلها من قبل أن يسمعوا كلامه تائبين رجالهم ونساؤهم إلا من شاء الله منهم، ولقد أتينا معه على دير رهبان فتلقانا منهم راهبان، فكشفا رأسيهما وقبّلا رجليه"[1].

ثالثا: الشيخ احمد زروق.

هو: أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرلسي، الفاسي، المالكي، لشهير بزروق (شهاب الدين أبو الفضل) صوفي، فقيه، محدث، ولد بفاس يوم الخميس 28 من المحرم عام 846 هـ– 1442م ، وتوفي في صفر بمصراته، في 18 صفر 899 هـ الموافق 1493 م .

من مؤلفاته:

1 شرح الحكم العطائية.
2 –قواعد التصوف على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة ويصل الاصول والفقه بالطريقة.
3 –اغتنام الفوائد في التنبيه على معاني قواعد العقائد للغزالي.
4 –شرح مختصر خليل في فروع الفقه المالكي.
5 –تأسيس القواعد والاصول وتحصيل الفوائد لذوي الوصول في التصوف.

---

[1] – عصر الدولة الزنكية ونجاح المشروع الإسلامي بقيادة نور الدين محمود الشهيد في مقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي/د. علي محمد محمد الصَّلاَّبي/ج3/ص77 وما بعدها/مصدر سابق.

6 – وله نظم"[1].

وقد أخذ على عاتقه مهمة القيام بالتقويم والتصحيح للتصوف، ونال في سبيل ذلك إيذاء شديدا حتى نفي من دياره وتنقل في كثير من بلاد العالم الإسلامي، استقر به المقام أخيرا في مدينة مصراتة الواقعة مئتي كيلو متر إلى شرقي طرابلس الغرب–ليبيا، ولازالت منطقة ضريحه تعرف باسمه"[2].

وقد كان له اليد الطولى وقصب السبق في الأصلاح الصوفي، فقد أحس رحمه الله بما نال التصوف من نقد وهجوم من مخالفيه نتيجة ما لحقه من شطحات وأمور خارجة عنه، ولمس عن قرب حياده عن جادة الصواب، فوضع لبنة الإصلاح المنهجي في كتاب له بعنوان" قواعد التصوف" ثم أردفه من بعد بـ"عدة المريد الصادق"[3].

وقد كان تجديد الشيخ للتصوف على محاور ومستويات متعددة، يمكن تلخيص أهمها في النقاط الآتية:

1 تقنين التصوف وتقعيد أصوله وضبط عباراته وكشف الغامض من مصطلحاته...، وربط ذلك كله بالكتاب والسنة وأقوال الأئمة والعلماء من سلف الأمة، مع التأكيد على أنه لا تعارض بين الشريعة والحقيقة ولا بين الفقه والتصوف.

2 رسم الشيخ منهجا عمليا للمريدين، بين لهم فيه آداب السلوك ومعالم الطريق محذرا من السلبيات والتجاوزات التي علقت به مع مرور الزمن، وقد وضح معالم هذا المنهج التطبيقي في كتابه"عدة المريد الصادق" والذي لم يقدر له أن يرى النور إلا في سنة 1996م، بتحقيق الصادق عبد الرحمن الغرياني.

3 قام بشرح بعض كتب التصوف شرحا علميا، مبينا مقامات التوحيد والإحسان، على أن ما يزيد أهمية هذا العمل؛ هو تركيزه على بيان الكيفية العملية لتزكية

---

[1] – معجم المؤلفين/رضا كحالة/ج1/ص155.

[2] – ينظر:دور التراث في تأكيد الأصالة/د.عمر التومي الشيباني/149/منشورات جمعية الدعوة الإسلامية/طرابلس/2000م.

3– مجلة إسلامية المعرفة/ملامح التجديد في الفكر الصوفي عند الشيخ أحمد زروق(رحمه الله)جمال أحمد بشير بادي/160/ع22/س6/1421هـ2000م.

النفوس وتطهيرها من الشوائب والكدورات، وأهم كتبه في هذا الشأن هو شرح "حكم ابن عطاء الله السكندري.

4 -وعلى مستوى الأوراد والأذكار وما لحق بها من مخالفات، قام الشيخ زروق بإعداد ورد جمعه وتخيره من الأذكار والأدعية الواردة عن النبيﷺ وأسماه" طريق النجاة لمن إلى الله التجا"[1]

5 -خصّص الشيخ جزءا من مؤلفاته للحديث عن البدع والتحذير منها، مبينا معالمها حتى تجتنب، وقد أردفها بالأمثلة الواقعية مميزا بين أنواعها ودرجاتها، مدللا على خطورتها، وقد أخذ تأليفه في هذا الجانب طابع التأصيل والتقعيد، وذلك مدرج ضمن كتابه "عدة المريد الصادق" [2].

وكان من ضمن مواقفه مع مشايخ الطرق؛ إنكاره للمريدين المبالغة في تقديرهم والتكلف في استئذانهم، حتى أنهم كانوا يستأذنون في أخصّ شؤونهم الخاصة، ولعل هذا منطلق مما ورد عن بعض مشايخ الطرق أنه كان يقول لمريديه" أضمن لكم ثلاثة مواقف: الخاتمة بعد الموت، والثبات عند السؤال في القبر، والجواز على الصراط" ويعلق زروق على هذا الادعاء الباطل بقوله" وهذا شيء لا يقوله عاقل، لأن هذه المواقف لا يقدر أحد أن يملكها لنفسه، فكيف يصح ذلك لغيره، وإذا كان الرسول ﷺ يقول يومئذ"رب سلّم سلّم" ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل كما صحّ فكيف يجوز أن يفوه بهذا مسلم..."[3].

ومن المسائل التي تسترعي الانتباه في منهجية الشيخ زروق رحمه الله- تحريضه قارئ كتابه من السالكين على الإفادة من الكتب التي ألفت في الرد على التصوف وأتباعه، وهذه تمثل غاية العدل والإنصاف مع المخالف، وتساعد السالك بدورها على البعد عن العصبية والتحزب "[4].

1- المرجع نفسه/164.

2- المرجع السابق/165.

3-عدة المريد من أسباب المقت في بيان الطريق وذكر حوادث الوقت/الشيخ أحمد زروق(مخطوط/ص3 /نقلا دور التراث في تأكيد الأصالة/د.عمر التومي الشيباني/ص168/مرجع سابق.

4- مجلة إسلامية المعرفة/166.

التصوف بهذا التصور الناقد من داخله، وبهذا الضبط لأصوله ومفاهيمه وأقوال أعلامه الذين صاغوا الطرق التي كلها تندرج في مدرسته؛ إذا كان في هذا المستوى من الوضوح والالتزام، لا يسوغ وجود هذا النزاع والتشرذم العميق بينه وبين السلفية– قديما وحديثا– إن صدقت النوايا، وخلصت المبادئ والغايات .

فإذا كان الصوفي هو الذي يهدف إلى تنقية نفسه وقلبه من كل شوائب الأغيار حتى يصبح خالصا لله، وإذا كان السلفي هو الذي يهدف إلى تنقية الإسلام من البدع والدخائل، فلا مبرر إذن لهذا التنازع والصراع، إلا حيث يفقد الإخلاص"[1].

وكأن الدكتور التومي الشيباني بدافع من ضيق شديد بهذا الصراع القائم بين السلفية المعاصرة والتصوف الحق غير المتأثّر بالتأثيرات الإشراقية، والذي أنتج ما يسمى بالتصوف الإشراقي، يقول" ومع ذلك لم يمنع من استمرار التيار السلفي في التصوف الإسلامي، ومن تبلور حركة صوفية إسلامية سلفية متميزة تسير في إطار الإسلام وتتقيد بتعاليمه، كما تضمنها الكتاب والسنة، وتقتفي آثار السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم ..."[2].

ويحدد تاريخ ومنهج التصوف السني في قوله" ومن هذا التصوف السلفي، نبغ التصوف السني الذي أضاف إلى البعد السلفي بعدا عقليا تأثر فيه بحركة الأشاعرة والماتريدية في علم الكلام، وقد تبلور هذا الاتجاه في مرحلته الأولى على يد الحارث المحاسبي(ت297هـ) وفي مرحلته الثانية كان ازدهاره على يد أبي القاسم الجنيد (ت 297هـ) ثم وصل إلى غايته الأخيرة بتأثير الإمام الغزالي وتأثير مدرسته الممتدة عبر المدرسة الشاذلية وفروعها التي انتشرت في العالم الإسلامي ولازالت منتشرة فيه"[3]

1- ينظر: التصوف بين الإفراط والتفريط/ محمد عبد الله كامل/ص20/مرجع سابق.

2- دور التراث في تأكيد الأصالة/د.عمر التومي الشيباني/120.

3- المصدر نفسه/121.

إذا كان هذا هو عمل الشيخ أحمد زروق في الإصلاح الصوفي بما يدل على تفانيه لتفادي مشكلات التصوف العالقة فما هي جهود الشيخ العياشي سكيرج من أقطاب التيجانية في هذا المضمار؟

رابعا: العلامة أحمد ابن الحاج العياشي سكيرج (1295 - 1363 هـ = 1878 - 1944 م)

هو العلامة أحمد ابن الحاج العياشي سكيرج الخزرجي الانصاري، الفاسي مولدا ودارا: قاض، له علم بالتراجم، مغربي من أهل الطريقة التجانية، تخرج بالقرويين ودرس بها وانتقل إلى طنجة ثم ولي نظارة الاحباس (الاوقاف) بفاس، فقضاء مدينة وجدة، فثغر الجديدة فقضاء مدينة (سطات) وتوفي بمراكش.

من مؤلفاته:

1 كشف الحجاب عمن تلاقى مع التجاني من الاصحاب – ط.
2 -وذيله (رفع النقاب بعد كشف الحجاب - ط) الربع الاول منه، كلاهما في ذكر متصوفة التجانية.
3 و (الرحلة الحبيبية الوهرانية – ط.
4 -وله نظم كثير منه قصيدة مطلعها: رحلت عن الاحباب شوقا لأحباب"[1].

وقال رضا كحالة في معجم المؤلفين" له من التآليف ما يناهز المائة في موضوعات مختلفة، وطبع منها نحو العشرين، وترجم منها للغة الفرنساوية، وله شعر"[2].

ويأتي في سياق أئمة الإصلاح الصوفي من الداخل فقد اندفع نحو المتصوفة من التجانيين ليصحح لهم جملة من الانحرافات التي جعلت طريقتهم موضع نقد وتهجم، فيضع سجلا للتصحيح الداخلي عنوانه" جناية المنتسب العاني فيما نسبه بالكذب للشيخ التجاني" ولقد كان مضمون هذا الكتاب يعبر عن عنوانه بحق،

[1] - والأعلام/ج1/ص190.
2 - معجم المؤلفين/ج2/ص37.

ليكون في مطلع مؤلفات التصحيح من الداخل على الإطلاق، حيث لم يستثن من تصحيحه المريدين ولا المقدمين، المعتقدين والمنتقدين على حد سواء، فقد جعلهم في سلة واحدة، وقدم لكلٍ حقه ومستحقه من التصحيح.

ففي إطار تصحيحه لخطاب المقدمين تجاه المريدين، بيّن هذا العلامة أن الذكر الزائد على الورد اللازم ينبغي أن يبينه المقدمون للمريد على أنه ليس لازما على المريد لا ذكره ولااعتقاده، وأنهم لو فعلوا ذلك قل الإنكار الوارد على الطريقة فقال" لو بين المقدمون في الطريقة لإخوانهم في الطريقة لإخوانهم المتسكين بحبلها والمريدين للدخول إليها أن ما زاد على الذكر اللازم فيها من ورد ووظيفة وذكر جمعة غير لازم للمريد ذكره ولا اعتقاده لخفت وطأة الإنكار على طريقتهم المحدية، ولا فرح المبغضون بما يقفون عليه مما مد لسانهم في الانتقاد على أهلها، ولكن لما اتسمت الطريقة بكثرة المقدمين والمتقلدين لقلادة عهدها وكثر الداخلون فيها واختلط مع الأصليين فيها الدخلاء أصحاب الأغراض ضاقت حوصلة السامعين لما يشيع هؤلاء القوم في الطريق "[1].

وبيَّن سبب وقوع كثير من المنتقدين للصوفية قي أعراضهم هو تصرف الجهال من مريدي الطرق الصوفية فقال" وقد أعانهم على ذلك الجهال من أهل الطريقة وبعض المقدمين الذين استحوذوا على العامة فيها بما يشيعونه بينهم مما يستحق النكير من ذكر مناقب لا أصل لها في الطريق،وذكر كرامات ومزايا وفضائل وأسرار وخصائص امتازت بها خواص السالكين فيها بالافتراء عليهم، وقد عمت البلوى بتصدر جل هؤلاء المقدمين وهم جهال لتلقين الطريقة لطالبيها، فيأخذهاعنهم المريدون ويتلقون ذلك عنهم وعن غيرهم من غير تثبت ولا استبصار، فيزيدون في الشيء وينقصون منه ويحملونه غلى ما يفهمون، ويحدثون به وهم لا يعلمون، فيعظم بسبب ذلك على الطريقة الإنكار من المنكرين، حتى ذيله على الشيخ ﵁ بسببه وهو بريء مما نسبوا إليه"[2].

---

[1] جناية المنتسب العاني فيما نسبه بالكذب للشيخ التجاني/أحمد بن الحاج العياشي سكيرج/ص6/النهار للطباعة والنشر والتوزيع/القاهرة/د.س.ن.

[2] – المصدر السابق/صـ7.

أما فيما يتعلق بتصحيحه للمريدين الناقلين كل غث وسمين ما نسب للشيخ والطريقة مما لا صلة له به فيقول مبرئا ساحة الشيخ والطريقة" من التقولات عليه ﷺ أنه قال" لو سمع العلماء مني ما يكلمني به ربي في سري من الأسرار المحمدية لسعوا في قتلي، فهذه المقالة وإن كانت قد تصدر من أصحاب الإلهام، ولكن لم تبلغنا عن الشيخ ﷺ ألا أنها وجدت منسوبة إليه في بعض التقاليد التي هي بخط من لا يعرف منقولة عمن لا يعرفه، فهي من رواية هيان بن بيان"[1].

ومن ذلك أنه قال"قيل ياعبدي، أطعني بقلبك واشكرني في سرك وأبعد عني وهمك...، يا عبدي أفضل ما تقول في هذا الزمان: لي رب كريم يفعل ما يشاء ويحكم مل يريد، ولا يعجزه شيء ولا تدركه الأشياء، وقال كنت أفكر فب المصدقين والمكذبين، فقيل لي: يا عبدي أنت تري بساطيمن أقبلت عليه صدق، ومن أعرضت عنه كذب، يا عبدي لو كانت الملائكة كتابا، والبحار مدادا والأشجار أقلاما، ما كتبوا من أحوالك السنية، إلا كما يكتب الولد الصغير في لوحه من السطور، يا عبدي أنا لك في الدنيا والآخرة، ياعبدي أنت غوث في الوجود، يا عبدي أنت نور في الوجود، الغبي من لم يعرفك، والقصي من لم تأخذ بيده، فوعزتي وجلالي وجودي وكرمي، لأعظمنك يوم القيامة على جميع وليائي"[2].

إن هذه النقولات تشكل عبئًا على الطريقة التجانية بسبب الغلو الواضح في تقديس شخص شيخ الطريقة ومؤسسها، ولذلك علق صاحب الكتاب عليها بقوله" فهذه المقالة يحق لعن متقولها عليه، وقد هالتني ورب الكعبة أمر هذه المقالة ونحوها مما سج على منوالها حتى على ألا أنقلها للطعن فيها، وتبين أنها ليست من كلام الشيخ ﷺ، ففي ذكرها شيوع ما ليس من كلامه، لكن ما علينا إلا أن صرح بتكذيب مختلقها، ونذكر ما عثرنا علبه من المزيد فيها غلى وجه بيان الحق فب هذا المقام"[3].

---

[1] – المصدر نفسه/صـ12.

[2] – المصدر نفسه/صـ13.

[3] – المصدر نفسه/الصفحة نفسها.

إن هذه النصوص أوردت مطولة لاشتمالها على قيمة علمية تتمثل في كاتبها الذي يعد من أقطاب الصوفية، فهو يعبر عن صدق ناءت به هذه الطريقة من مقدميها ومريديها على حد سواء، يحاول بذلك تشخيص الداء من أجل البحث عن الدواء الذي يشفي العلة المزمنة لهذه الطريقة، ولو ذهبت أعدد كل ما طرحه الشيخ كيرج في كتاب جناية المنتسب لضاق بك الخطاب الصوفي بأسره، ولكن مراعاة لمنهجية البحث سأكتفي بتلك النماذج التصحيحية كإشارات على درب الإصلاح الصوفي من الداخل.

خامسا:- الشيخ الشريف إبراهيم محمد الصالح الحسيني .

هو: الشريف إبراهيم بن محمد الصالح بن يونس بن محمد الأول بن يونس بن إبراهيم بن محمد المكي بن عمر الحسيني. ولد في ليلة السبت الثالث عشر من مايو 1938م في أريديبة وهى قرية من قرى ولاية برنو- وينتهي نسبه إلى الأمام الحسين بن الأمام على كرم الله وجهه"[1].

تعلم القرآن الكريم على يد والده الشيخ محمد الصالح الحسيني الذي عليه مدار القراءة والإقراء في (أريديبة) وهى قرية من قرى ولاية برنو. وقد لزم والده حتى توفي ثم أوصى به إلى تلميذه الرضى المقرئ المجود القوني السيد بن حامد الحامدي أحد المجودين ولزمه حتى تعلم منه القراءة والرسم ثم بعد ذلك التحق بعدة زوايا قرآنية لتجويد القرآن الكريم وإتقانه منها:

- زاوية المقري القوني جده للقرآن الكريم وعلومه في غلمبا .
- زاوية القونى عبد الله الفضالى للقرآن الكريم وعلومه في ميدغري.

و يعدّ هؤلاء الأعلام من العرب، رواد الحركة العلمية والتربية الروحية في عهدهم، لما لهم من عطاء متميز وشامل، وذلك بتأسيسهم هذه المنارات العلمية التي كانت منهلا لطلاب العلم والمعرفة والتي لم يقتصر عطاؤها على أبنائهم أو الأقربين منهم، بل تعدى إلى كل سكان المنطقة.

[1] - انظر كتاب تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كانم برنو لصاحب الترجمة، مطبعة مصطفي البابي الحلبي 1976م القاهرة .

وقد آتت هذه المنارات أكلها حيث قدمت نماذج مشرقة من حملة كتاب الله وتجويده والدفع بهم إلى اكتساح ميادين المعرفة في كل العلوم والفنون الدينية والأدبية، وما الشيخ الشريف إبراهيم صالح الذي بلغ في الوقت الحاضر مرتبة رئيس هيئة الإفتاء بنيجيريا، إلا دليل صادق على التزام هؤلاء الأعلام بأداء واجبهم الديني والإنساني في هذه المنطقة.

رحلته في طلب العلم:

بدأ قراءته القرآن الكريم على والده الشيخ محمد الصالح االحسيني الذي عليه مدار القراءة والإقراء في تلك البلاد وقد كان حاد الذكاء لدرجة أنه كان يحفظ السورة بأكملها عندما يرتلها والده أثناء تهجده أوأثناء إقرائه التلاميذ، وقدلزم والده حتى توفين فأوصى به إلى تلميذه الرضي المقرئ المجود السيد القوني بن حامد الحامدي أحد المجودين ولزمه حتى تعلم منه القراءة والرسم ثم بعد ذلك التحق بعدة زوايا قرآنية لتجويد القرآن الكريم وإتقانه منها.

ولا شك أن من أبرز أعلام التصوف المعاصرين الذين عكفوا على نقد التصوف من الداخل، وقدموا عطاء علميا أفاد منه المجتمع الإسلامي بأسره فضلا عن المجتمع النيجيري، وليس على مستوى التصوف فحسب بل في جميع ميادين العلم والمعرفة، نجد الشيخ إبراهيم الصالح الحسيني، من خلال مواقفه ومؤلفاته المستفيضة في هذا الميدان، ويلحظ هذا الموقف النقدي من خلال اعتماده لفظ علم التزكية عَلَما للتصوف، لاستمداد هذا الاسم من مهمة النبوة المحددة في القرآن الكريم"﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[1]

لذلك أطلق على أحد مؤلفاته – الكافي في علم التزكية– وكأني به من خلال حسّه المرهف، وتفانيه المنقطع لإصلاح الخطاب الصوفي المعاصر– فكرا وممارسة – يعلن مفهوم التزكية شعارا على هذه الحركة التي هي في الحقيقة مهمة

1– سورة الجمعة/2

الشـيوخ مـع مريـديهم ومجتمعـاتهم، وهـي المحطـة التـي تلتقـي عليهـا كـل الطـرق الصوفية .

وفيما يخص الجدل القائم حول تفضيل بعض المتصوفة صلاة الفاتح على أعداد معينة من ختمات القرآن الكريم، وهو ما تؤخذ عليه طريقته–التجانية– من الصوفية أنفسهم قبل غيرهم لورود ما يرمي إلى ذلك من واقع كتاب الشيخ أحمد التجاني (جواهر المعاني) انتدب الشيخ للدفاع عن حمى الطريقة وشيخها بتبيين مراده من ذلك، فقال ما نصه" بأن هذا ليس هو مراد الشيخ، وإنما مراده المقارنة بين الصلاة على النبي ﷺ وخاصة الفاتح، وثواب تلاوة ما بالنسبة إلى أشخاص بحسب أحوال الناس من استقامة أو اعوجاج، فتلاوة الصالح غير تلاوة الطالح...، ولم يجعل الشيخ المقارنة قط بين صلاة الفاتح وذات القرآن..."[1]

فقصدي هو التفريق في المقارنة بين فضل صلاة الفاتح أعني جوهر اللفظ وفضل القرآن، ذلك أن من العقائد الأساسية للمسلمين بالإجماع اعتقاد أفضلية القرآن مطلقا على ما عداه من جميع أوجه الأذكار وهو مذهب الشيخ التجاني وبه صرح الناقلون عنه في جواهر المعاني وغيره"[2] ويؤكد أن من أثبت أفضلية صلاة الفاتح على ذات القرآن لحكم بكفره بلا تردد لكونه مما علم من الدين بالضرورة، إن هذا الموقف يمثل عملا جريئا قام به الشيخ لم يسبق إليه في نظر بعض المهتمين بشأن الخطاب الصوفي، ولكن مع استناد الشيخ على الأدلة الشرعية الواضحة في هذا الشأن، ووضوح مقاصده في تبرئة الطريقة مما لا صلة له بالشرع؛ تصدّر للرد عليه أحد ممن يدعون الانتساب للطريقة والذود عنها وعن شيخها* ومن هنا جاء تأليف الشيخ لهذا الكتاب– المغير على شبهات أهل الأهواء وأكاذيب المنكر على كتاب التكفير– والكتاب كما يرى من عنوانه دليل على أنه يتضمن مواقف لا هوادة فيها من أجل الانتصار على التصوف السني الحق بعيدا عن الغلو والإطراء، فجاء

1– المغير على شبهات أهل الأهواء وأكاذيب المنكر على كتاب التكفير/ الحسيني/41/مؤسسة فؤاد بعينو للتجليد/بيروت/لبنان/1986م.

2– المرجع نفسه/42.

*– هذا الرجل يدعى إبراهيمِ سيدِه، ينتسب إلى بيت الشيخ سلمي التجاني في الفاشر بالسودان، وتضمنت الرسالة التي بعث بها أنه شرع في تأليف رد على كتاب التكفير الذي وضّح فيه الشيخ إبراهيم صالح موقفه من مقارنة صلاة الفاتح بالقرآن الكريم في الأجر والثواب.

في (584) صفحة يحمل عناوين كلها تدل على منطلقات نقدية موسعة لكثير من ممارسات الصوفية المعاصرة .

والعجيب، أنه اتهم الشيخ بالانتساب إلى تيار الوهابية المضاد المنكر للصوفية، لا لأي سبب، بل لأنه قيّض نفسه لإزاحة ظواهر الانحراف التي تنكبت الصوفية والطريقة التجانية على وجه الخصوص، وهذا دأب رؤوس الانحراف في كل مكان وزمان، وما حصل للشيخ زروق من نفي له عن موطنه، مما أدى إلى عدم شيوع تراثه الفكري والنقدي، وتلاشي طريقته التي صاغ أورادها وأذكارها من الأدعية والأذكار النبوية المأثورة إلا دليلا على ذلك.

لذا يقول الشيخ الشريف إبراهيم صالح في معرض تبرئة التصوف عن ممارسات الأدعياء والمحسوبين على الصوفية"فمن أجل خدمة الحق وإظهاره، علينا أن نفرق بين أدعياء التصوف المنحرفين وبين السادة الصوفية الصادقين العارفين، وخصوصا الأئمة منهم الذين كانت لهم درجات عليا في الإيمان والتقوى والورع، وآثار كبرى في نشر الأخلاق والدين والدعوة إلى الله تعالى...وعلينا أن نقف وقفة رجل متمسك بشرعه ودينه ونقول: هناك فرق بين المتصوف والصوفي، وليس المتصوف بانحرافه وشذوذه ممثلا للتصوف، كما أن المسلم بأفعاله المنكرة ليس ممثلا لإسلامه ودينه "[1]. لأجل ذلك يمكن اعتبار الشيخ إبراهيم صالح من دعاة إصلاح الصوفية وتنقيتها من البدع والخرافات.

وفيما يتعلق بالتظاهر بالتواضع الذي يظنه بعضه الصوفية من التدين اندفع الشيخ لتبرئة التصوف من هذه الخصلة فكتب رسالة بعنوان (ميزان التفاوت بين التواضع والتماوت) موجها لهم هذا الخطاب قائلا :

" ولكن الشيء الذي لا يعجبني فهو التماوت الذي يظهر من بعضكم وكأنه شيء حسن أو كأنه جزء من الدين والحق انه بدعة في الدين، وإني أبرأ إلى الله تعالى من هذا الفعل، فإن الإسلام دين قام أساسه على القوة بمعناها الواسع فإن هيئة جلوسكم في الدرس أو في غيره البالغة أقصى درجات الخضوع والخشوع يجب أن تغيروها، فإني أكرهها أشد الكراهة، وأنتم تعرفون مني ذلك، وكنت أنهاكم عنها

1- حقيقة الطريقة التجانية/الشيخ إبراهيم صالح الحسيني/18/د.ن./2000م.

منذ زمن طويل علما مني بأن هذا ليس من الدين، إنما هو شيء فرضته على المتمسكين به أوضاع غير أوضاعنا، فالذين يرضون بذلك ويعدونه جزءا من آداب المريد في الطريقة لم يبنوا هذا القول على أساس، فليس في الطريقة التجانية ما يشجع على ذالك، ولا في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ [1].

ويواصل لينظر هذه السلبيات التي أوردها الشيخ على إخوانه في الطريقة موضحا لهم طريق الحق بدون أي تماوت، ويبرئ نفسه أمام الله تعالى من هذه الحالة التي وجد بعض أصحابه وتلامذته أنفسهم فيها.

وفي حديث أبي سلمة لم يكن أصحاب سيدنا محمد ﷺ متحزقين ولا متماوتين يقال تماوت الرجل إذا أظهر من نفسه التخافت والتضاعف من العبادة والزهد والصوم" [2].

لنا بعد الحديث عن أئمة إصلاخح الخطاب الصوفي من الداخل أن نلج للحديث عن أئمة الإصلاح الصوفي من الخارج لتحقيق التوازن في مسيرة الإصلاح الصوفي على مر تاريخ التصوف العريق.

---

[1] – ميزان التفاوت بين التواضع والتماوت/ الشيخ إبراهيم صالح الحسيني/ ص 10/ الطبعة الثانية 2003 م.

[2] – المبارك بن محمد الجزري/ النهاية في غريب الأثر / تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي / المكتبة العلمية / بيروت 1979 / ج 3 / ص 370 .

المبحث الثاني:— أبرز أئمة الإصلاح الصوفي من الخارج.

تمثل مسيرة الإصلاح الصوفي من الخارج تراثا ضخما وغزيرا من الناحية الكمية والنوعية، بقدر تعدد قراءات الواقفين عليه، تقويما وانتقادا وإشادة ببعض جوانب العطاء فيه، مع شيء من التحفظ عما يبدر من بعض المنتمين إليه مما لا تعبر عن صفائه ونقائه.

ويمثل الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية، يمثلان أبرز من قدم تصورا أكثر تفصيلا عن المنهج في نقد التصوف من الخارج، وذلك من خلال النظر إلى مراحل التصوف، وإلى المصطلح وإلى رجالات التصوف، نجد ذلك مبثوثا في شتى مؤلفاتهما عن التصوف، ورغم حملتهما على ما دخل التصوف من انحرافات فكرية وعقائدية وخصوصا على أيدي أصحاب الحلول والاتحاد، وانحرافات سلوكية على أيدي الجهلة والأدعياء والمرتزقة؛ فقد أنصفوا التصوف السني، وأشادوا برجاله الربانيين المخلصين، وكان لهم في ذلك نتاج خصب يتمثل في مجلّدين من مجموع فتاوى ابن تيمية، وفي عدد من مؤلفات ابن القيم الجوزية كان أشهرها– مدارج السالكين– شرح مقامات إياك نعبد وإياك نستعين – في ثلاثة مجلدات" [1].

إلا أن ابن الجوزي لكونه تقدمهما من الناحية التاريخية ولكونه على إلمام غير يسير بقضايا الصوفية الذين عاشر بعضهم فقد كتب عنهم جملة مؤلفات يظهر على بعضها الشدة في الانتقاد ككتابه الموسوم بـ(تلبيس إبليس) وعلى بعضها الآخر الحيدة بل الإشادة ببعض رجالات الصوفية ككتابه (صفوة الصفوة) ومن ثم فإنه لا مناص من إيراده في طليعة نقاد التصوف من الخارج .

1– التصوف بين الإفراط والتفريط/ محمد عبد الله كامل/24/مرجع سابق. وينظر: أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة/د. يوسف القرضاوي/98/ مؤسسة الرسالة، بيروت/ط13/1412هـ 1992م .

أولا: (ابن الجوزي) (508 - 597 هـ = 1114 - 1201 م)

هو: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج: علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف، مولده ووفاته ببغداد، ونسبته إلى (مشرعة الجوز) من محالها، له نحو ثلاث مئة مصنف، منها:

1 -تلقيح فهوم أهل الآثار، في مختصر السير والاخبار – ط.

2 -لأذكياء وأخبارهم – ط.

3 -مناقب عمر بن عبد العزيز – ط

4 -روح الارواح – ط.

5 -شذور العقود في تاريخ العهود – خ.

6 و (المدهش في المواعظ وغرائب الاخبار. ط.

7 -المقيم المقعد في دقائق العربية خ .

8 -صولة العقل على الهوى في الاخلاق - خ .

9 -الناسخ والمنسوخ – خ.

10 -تلبيس إبليس – ط.

11 -فنون الافنان في عيون علوم القرآن – ط.

12 – و صفوة الصفوة– ط "[1].

وقائمة مؤلفاته تطول لو أطلقنا على القلم العنان، إلا أننا نكتفي بذكر هذه القائمة لصلتها بالموضوع المدروس .

مشروعه الإصلاحي:

وابن الجوزي قد سبق ابن تيمية إلى نقد التصوف وتقويمه، وإن كان أقل منه ثروة في العمل النقدي للتصوف، ففي سياق نقده للصوفية يعرض لتجافي بعض الصوفية العلم، واكتفائهم بالعمل دونه، فقال ما نصه" كان أصل تلبيسه عليهم أنه صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا

---

[1] – ينظر: وفيات الاعيان 1: 279 والبداية والنهاية 13: 28 ومفتاح السعادة 1: 207 وذيل الروضتين 21 والأعلام للزركلي/ج3/ص317.

في الظلمات . فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا في الجملة فرفضوا مايصلح أبدانهم، وشبهوا المال بالعقارب, ونسوا أنه خلق للمصالح وبالغوا في الحمل على النفوس حتى أنه كان فيهم من لا يضطجع وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنهم على غير الجادة . وفيهم من كان لقلة علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة وهو لا يدري"[1].

ويتدرج ليصف الأطوار التي مرت بالصوفية حتى انحرفت بهم في الغلو في الزهد فيقول" ثم جاء أقوام فتكلموا لهم في الجوع والفقر والوسواس والخطرات وصنفوا في ذلك مثل الحارث المحاسبي . وجاء آخرون فهذبوا مذهب التصوف وأفردوه بصفات ميزوه بها من الاختصاص بالمرقعة والسماع والوجد والرقص والتصفيق وتميزوا بزيادة النظافة والطهارة . ثم مازال الأمر ينمى والأشياخ يضعون لهم أوضاعا ويتكلمون بواقعاتهم . ويتفق بعدهم عن العلماء لا بل رؤيتهم ما هم فيه أوفى العلوم حتى سموه العلم الباطن وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر . ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة فادعى عشق الحق والهيمان فيه فكأنهم تخايلوا شخصا مستحسن الصورة فهاموا به . وهؤلاء بين الكفر والبدعة ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق . ففسدت عقائدهم . فمن هؤلاء من قال بالحلول ومنهم من قال بالإتحاد"[2] .

وينقل ابن الجوزي عن أبي حامد الغزالي أنه قال: ينبغي أن لا يشغل المريد نفسه بالتزويج , فإنه يشغله عن السلوك ويأنس بالزوجة , ومن أنس بغير الله شغل عن الله تعالى"[3].

ويستنبط إحسان إلهي ظهير من نصوص ابن الجوزي المستفيضة في نقد التصوف ليقرر حقيقة مؤداها أن التصوف إنما مأخذه من الرهبان ليدعم نظرة المستشرقين إلى التصوف، فقد قال" لقد بوب الصوفية في كتبهم أبوابا مستقلة في مدح العزوبة وذم التزويج , وهذا الأمر لا يحتاج إلى بيان أنه لم يأخذه المتصوفة

1 – تلبيس إبليس/ابن الجوزي/ص 156 إلى 160/ط دار القلم بيروت/ لبنان/د.س.ن.

2 – المرجع السابق/160 وما بعدا.

3 – المرجع السابق/صص 286 .

إلا من رهبان النصارى ونساك المسيحية الذين ألزموا أنفسهم التبتل، خلافا لفطرة الله التي فطر الناس عليها، وعلى ذلك قال نولدكة ونيكلسون وماسينيون إن التصوف الإسلامي أخذ لبسة الصوف من الرهبان النصارى"[1] .

وزاد نيكلسون أشياء في مقالاته العديدة التي نشرت في دوائر المعارف وجمعت بعضها باسم (الدراسات في التصوف الإسلامي وتاريخه) منها ما قاله تحت عنوان : الزهد في الإسلام :

" كان عرب الجاهلية على حظ قليل من التفكير الديني , وكان تفكيرهم في هذه الناحية مضطرباً وغامضاً . وقد شغلهم انهماكهم في متع الحياة ومتاعبها عن التفكير في حياة أخروية , ولم يخطر ببالهم أن يعدوا أنفسهم لحياة روحية وراء حدود القبر . وقد غرست المسيحية – لا الكنيسة المسيحية , بل المسيحية غير التقليدية وغير المنظمة – بذور الزهد في بلاد العرب قبل البعثة المحمدية , وظل أثرها يعمل عمله في تطور الزهد في الإمبراطورية الإسلامية في عصورها الأولى . ونحن نعلم أن المسيحية كانت منتشرة قبل الإسلام بين قبائل شمالي الجزيرة العربية , وأن كثيراً من العرب كانوا على شيء من العلم – مهما كان قليلا وسطحيا – بعقائد الديانة المسيحية وطقوسها . بل إن الإشارات التي وردت في الشعر الجاهلي عن رهبان المسيحيين لتدل على أن عرب البادية كانوا يجلون هؤلاء الرهبان ويعظمونهم , وكانوا يهتدون بأنوارهم المنبعثة من صوامعهم في ظلام الليل وهم يسيرون في الصحراء فضرب هؤلاء الرهبان وغيرهم من الزهاد الهائمين على وجوههم , مثلا للعرب الوثنيين في الزهد , وحركوا في نفوس بعضهم , وهم المعروفون بالحنفاء , ميلاً إلى النفور من الأوثان ورفض عبادتها . فدان هؤلاء بعقيدة التوحيد , واصطنع بعضهم الزهد ومجاهدة النفس , ولبسوا الصوف وحرموا على أنفسهم بعض أنواع الطعام"[2].

لقد نسي إحسان أن مجموعة من أئمة الإسلام لا يصنفون ضمن دائرة الصوفية لكنهم آثروا العزوبة على الزواج، بل يصنفون ضمن دائرة نقاد الصوفية

---

1 – التَّصَوُّف المنْشَأ وَالمَصَادِر/إحسان إلهي ظهير/ص60/مصدر سابق.

2 – دراسات في التصوف الإسلامي وتاريخه/نيكلسون/ ص 42/تر: أبي العلاء العفيفي.

بالأحرى، وأبرز هؤلاء: الإمام النووي والإمام ابن تيمية وغيرهما كثير ممن انقطع إلى العبادة أو التأليف والتعليم.

ثانيا: الإمام ابن تيمية الحراني.

ابن تيمية (661 - 728 هـ = 1263 - 1328 م)

هو: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: الامام، شيخ الاسلام،ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر،وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الاسكندرية.

ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة 712 هـ، واعتقل بها سنة 720 وأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلا بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته، كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين، آية في التفسير والاصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان، وفي الدرر الكامنة أنه ناظر العلماء واستدل وبرع في العلم والتفسير"[1].

مؤلفاته:

أما تصانيفه ففي الدرر أنها ربما تزيد على أربعة آلاف كراسة، وفي فوات الوفيات أنها تبلغ ثلاث مئة مجلد، منها:

1 -الجوامع – ط) في السياسة الالهية والآيات النبوية، ويسمى (السياسة الشرعية.
2 -الفتاوى – ط خمس مجلدات.
3 -الإيمان – ط.
4 -الجمع بين النقل والعقل – خ.

[1] – ينظر: الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية/عمر بن علي بن موسى البزار أبو حفص/تح: زهير الشاويش /المكتب الإسلامي/بيروت/ط 1400/3هـ

5 –منهاج السنة – ط.

6 –الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان – ط.

7 –الواسطة بين الحق والخلق – ط.

8 –الصارم المسلول على شاتم الرسول – ط.

9 –مجموع رسائل – ط) فيه 29 رسالة "[1].

مشروعه الإصلاحي:

إن ابن تيمية فيما يتصّل بالخطاب الصوفي قد ظُلم من ناحيتين، من ناحية الصوفية ومن السلفية المعاصرة التي تقدّمه للناس بأنه العدو الألدّ للصوفية من غير وقوف يسير على كثير من مؤلفاته، وحتى مواقفه وصلاته مع معاصريه من كبار الصوفية؛ أما الصوفية فبحكم بعض مواقفه الإصلاحية والنقدية للخطاب الصوفي المنحرف، لذلك تجد بعضهم إذا ذكر اسم ابن تيمية يتداعى إلى ذهنهم مباشرة أنه الرافض والمكفّر والمبدّع للصوفية عامة"2.

والحق أن الإمام ابن تيمية يبدو للواقف على مؤلفاته، ومواقفه مع التصوف يدرك أنه بعد أن تتبع أصل الكلمة، يذكر ما آل إليه أمر الصوفية والتصوف، وكيف تشعبت الصوفية وتنوعت وصارت أصنافا متنوعة، ومن ثم يذكر الفروق بين كل واحد من تلك الأصناف، ومدى قربها وبعدها من الدين الصحيح، ولذلك تجده يقسم الصوفية إلى ثلاثة أصناف .

1- صوفية الحقائق 2- وصوفية الأرزاق 3- وصوفية الرسم .

إذن...، فالأزمة في الخطاب الصوفي عنده أزمة مصطلح، وهو ما تنبأنا له ووقف عنده كثير من الباحثين، لذلك يضبط كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة بضابط خاص يتدرج وفق الآتي :

أما صوفية الحقائق: فهم الذين يرون الصوفي من صفا من الكدر، ويشترط فيهم ثلاثة شروط .

---

[1] – الأعلام للزركلي/1/ص144.

2 – ينظر: مجلة التجديد/الإمام ابن تيمية والتصوف/عبد الرحمن عمر اسبينداري/202/س7/ع13/1423هـ2003م.

1- العدالة الشرعية بحيث يؤدون الفرائض ويجتنبون المحارم .
2- التأدب بآداب أهل الطريق، وهي الآداب الشرعية في غالب الأوقات، وأما الآداب البدعية الوضعية فلا يلتفت لها .
3- أن لا يكون أحدهم متمسكا بفضول الدنيا، وأما من كان جماعا للمال، أو كان غير متخلق بالأخلاق المحمودة، ولا يتأدب بالآداب الشرعية، أو كان فاسقا فإنه لا يستحق ذلك " وأما صوفية الأرزاق فهم الذين وقفت عليهم الوقوف* كالخانقات فلا يشترط في هؤلاء أن يكون الواحد منهم من أهل الحقائق، وأما صوفية الرسم، فهم الذين يقتصرون على النسبة، فهمهم في اللباس والآداب الوضعية ونحو ذلك، فهؤلاء في الصوفية بمنزلة الذين يقتصرون على زيّ أهل العلم، وأهل الجهاد ونوع ما من أقوالهم، بحيث يظن الجاهل حقيقة أمرهم أنه منهم، وليس منهم "[1] .

وقد تبين لنا من تصنيف ابن تيمية للصوفية أنه لا ينظر إليهم نظرة واحدة ، ولا يحكم عليهم بحكم عام "[2] بخلاف ما تقدمه السلفية التي ترفع شعار الإمام دائما على أنها المبشرة بمنهجه السلفي الفذّ، وبخلاف ما تفهمه الصوفية في أنه المؤسّس لمنهج تكفيرهم وتبديعهم بإطلاق .

ثالثا: الإمام ابن قيم الجوزية. (691 – 751 هـ = 1292 – 1350 م)

هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين: من أركان الاصلاح الاسلامي، وأحد كبار العلماء، مولده ووفاته في دمشق.

تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شئ من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه، وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب بسببه، وطيف به على جمل مضروبا

*- سموا بصوفية الأرزاق لأنهم يعتمدون في أرزاقهم على الناس ينظر: المرجع السابق/202.
1- يراجع: الفتاوى الكبرى/ابن تيمية/مج11/9-20 .
2- ينظر :مجلة التجديد/المرجع السابق/202.

بالعصى، وأطلق بعد موت ابن تيمية، وكان حسن الخلق محبوبا عند الناس، أغري بحب الكتب، فجمع منها عددا عظيما، وكتب بخطه الحسن شيئا كثيرا"[1]..

مؤلفاته:

وألف تصانيف كثيرة منها:

1 إعلام الموقعين – ط.

2 الطرق الحكمية في السياسة الشرعية – ط.

3 شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل – ط).

4 كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء – خ.

5 أحكام أهل الذمة – ط) جزآن.

6 مدارج السالكين – ط) ثلاثة مجلدات.

7 الوابل الصيب من الكلم الطيب – ط.

8 الروح – ط.

9 الفوائد – ط.

10 – روضة المحبين – ط.

11 – حادي الارواح إلى بلاد الافراح – ط.

12 – إغاثة اللهفان – ط.

13 – اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية – ط.

14 – الجواب الكافي – ط) ويسمى (الداء والدواء.

15 – التبيان في أقسام القرآن – ط.

16 – طريق الهجرتين – ط.

17 – عدة الصابرين – ط.

18 – و (هداية الحيارى – ط "[2].

---

1 – الأعلام للزركلي/ج6/ص56.

[2] – شذرات الذهب 6: 168 والنجوم الزاهرة 10: 249.

مشروعه الإصلاحي:

يعد ابن القيم ممن نقد التصوف نقدا منصفا قال ما له وما عليه، وأشاد بفضل أئمته وكان يفرق بين محققي الصوفية، وأدعياء الصوفية، نجد ذلك من خلال مجموع كتبه خاصة كتبه التي أخذت طابعا صوفيا مثل: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، وإعلام الموقعين عن رب العالمين،ومفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، وها أنا ذا أنقل جملة من مواقفه الإصلاحية للتصوف، وإشاداته بأئمة التصوف.

ومن مواقفه الإصلاحية كذلك أنه رد على أولئك المتصوفة الذين يرون أنهم يستغنون بما يرد لهم من الإلهامات والخواطر عن الشريعة فيقولون حدثني قلبي عن ربي فيرد عليهم في الفصل الذي أطلق عليه(فصل ومن كيده : أنه يحسن إلى أرباب التخلي والزهد والرياضة العمل بها جسهم وواقعهم دون تحكيم أمر الشارع ويقولون : القلب إذا كان محفوظا مع الله كانت هواجسه وخواطره معصومة من الخطأ وهذا من أبلغ كيد العدو فيهم، فإن الخواطر والهواجس ثلاثة أنواع: رحمانية وشيطانية ونفسانية كالرؤيا فلو بلغ العبد من الزهد والعبادة ما بلغ فمعه شيطانه ونفسه لا يفارقانه إلى الموت والشيطان يجري منه مجرى الدم والعصمة إنما هي للرسل صلوات الله وسلامه عليهم الذين هم وسائط بين الله عز و جل وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه ووعده ووعيده ومن عداهم يصيب ويخطىء وليس بحجة على الخلق"[1]

ويستدل على ذلك بمجموعة من مواقف الصحابة من الشرع وأنهم يحكمونه على آرائهم ولا يحيدون عنه قيد أنملة بقوله" وقد كان سيد المحدثين الملهمين : عمر بن الخطاب ﵁ يقول الشيء فيرده عليه من هو دونه فيتبين له الخطأ فيرجع إليه وكان يعرض هواجسه وخواطره على الكتاب والسنة ولا يلتفت إليها ولا يحكم بها ولا يعمل بها وهؤلاء الجهال يرى أحدهم أدنى شيء فيحكم هواجسه وخواطره على الكتاب والسنة ولا يلتفت إليهما ويقول : حدثني قلبي عن ربي ونحن أخذنا عن الحي الذي لا يموت وأنتم أخذتم عن الوسائط ونحن أخذنا بالحقائق وأنتم اتبعتم

[1] – إغاثة اللهفان ابن قيم الجوزية/تح: محمد حامد الفقي دار المعرفة/ص125/بيروت/ط2/ 1395هـ – 1975م

الرسوم وأمثال ذلك من الكلام الذي هو كفر وإلحاد وغاية صاحبه أن يكون جاهلا يعذر بجهله حتى قيل لبعض هؤلاء : لا تذهب فتسمع الحديث من عبدالرزاق فقال : ما يصنع بالسماع من عبدالرزاق من يسمع من الملك الخلاق"[1].

وهذا غاية الجهل فإن الذي سمع من الملك الخلاق موسى بن عمران كليم الرحمن وأما هذا وأمثاله فلم يحصل لهم السماع من بعض ورثة الرسول وهو يدعي أنه يسمع الخطاب من مرسله فيستغني به عن ظاهر العلم ولعل الذي يخاطبهم هو الشيطان أو نفسه الجاهلة أو هما مجتمعين ومنفردين، ومن ظن أنه يستغني عما جاء به الرسول بما يلقى في قلبه من الخواطر والهواجس فهو من أعظم الناس كفرا وكذلك إن ظن أنه يكتفي بهذا تارة وبهذا ارة فما يلقي في القلوب لا عبرة به ولا التفات إليه إن لم يعرض على ما جاء به الرسول ويشهد له بالموافقة وإلا فهو من إلقاء النفس والشيطان، وقد سئل عبدالله بن مسعود عن مسألة المفوضة شهرا فقال بعد الشهر : أقول فيها برأيي فإن يكن صوابا فمن الله وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان والله برىء منه ورسوله وكتب كاتب لعمر ﷺ بين يديه : هذا ما أرى الله عمر فقال : لا امحه واكتب : هذا ما رأى عمر، وقال عمر ﷺأيضا : أيها الناس اتهموا الرأي على الدين فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ لرددته، واتهام الصحابة لآرائهم كثير مشهور وهم أبر الأمة قلوبا وأعمقها علما وأبعدها من الشيطان فكانوا أتبع الأمة للسنة وأشدهم اتهاما لآرائهم وهؤلاء ضد ذلك"[2].

ثم يسرد جملة من أقوال أئمة التصوف أنفسهم ليدعم بها نقده لتلك الظواهر التي لا تستقيم أمام الشرع فيقول" وأهل الاستقامة منهم سلكوا على الجادة ولم يلتفتوا إلى شيء من الخواطر والهواجس والإلهامات حتى يقوم عليها شاهدان .

قال الجنيد : قال أبو سليمان الداراني : ربما يقع في قلبي النكتة من نكت القوم أياما فلا أقبلها إلا بشاهدين عدلين من الكتاب والسنة .

---

[1] –المصدر نفسه/ص261.

[2] – المصدر نفسه/ص127.

وقال أبو يزيد : لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يتربع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا : كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود.
وقال أيضا : من ترك قراءة القرآن ولزوم الجماعات وحضور الجنائز وعيادة المرضى وادعى بهذا الشأن فهو مدع .

وقال سري السقطى : من ادعى باطن علم ينقضه ظاهر حكم فهو غالط

وقال الجنيد : مذهبنا هذا مقيد بالأصول بالكتاب والسنة فمن لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ويتفقه لا يقتدى به .

وقال أبو بكر الدقاق : من ضيع حدود الأمر والنهي في الظاهر حرم مشاهدة القلب في الباطن .

وقال أبو الحسين النوري من رأيته يدعي مع الله حالة تخرجه عن حد العلم الشرعي فلا تقربه ومن رأيته يدعي حالة لا يشهد لها حفظ ظاهره فاتهمه على دينه .

وقال الجريري : أمرنا هذا كله مجموع على فصل واحد : أن تلزم قلبك المراقبة ويكون العلم على ظاهرك قائما.

وقال أبو حفص الكبير الشان : من لم يزن أحواله وأفعاله بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا تعدوه في ديوان الرجال .

وما أحسن ما قال أبو أحمد الشيرازي : كان الصوفية يسخرون من الشيطان والآن الشيطان يسخر منهم .

ونظير هذا ما قاله بعض أهل العلم : كان الشيطان فيما مضى يهب من الناس واليوم الرجل الذي يهب من الشيطان"[1].

ونجد لهذه النصوص نظيرا من خلال كتابه (بدائع الفوئد) فقد عزى نشأة الشطحات الصوفية إلى مثل هذه الواردات التي تهيمن على أحد هؤلاء المتصوفة فيحكم فيها حاله على حقيقة العلم، فقال" ومن هنا نشأت الشطحات الصوفية التي مصدرها عن قوة الوارد وضعف التمييز فحكم صاحبها فيها الحال على العلم وجعل الحكم له وعزل علمه من البين وحكم المحفوظون فيها حاكم العلم على سلطان

[1] -المصدر نفسه/ص128 وما بعدها.

الحال وعلموا أن كل حال لا يكون العلم حاكما عليه فإنه لا ينبغي أن يغتر به ولا يسكن إليه إلا كما يساكن المغلوب المقهور لما يرد عليه مما يعجز عن دفعه وهذه حال الكمل من القوم الذين جمعوا بين نور العلم وأحوال من المعاملة فلم تطفيء عواصف أحوالهم نور علمهم ولم يقصر بهم علمهم عن الترقي إلى ما وراءه من مقامات الإيمان والإحسان فهؤلاء حكام على الطائفتين، ومن عداهم فمحجوب بعلم لا نفوذ له فيه أو مغرور بحال لا علم له بصحيحه من فاسده والله تعالى المسؤول من فضله إنه قريب مجيب فالكامل من يحكم العلم على الحال فيتصرف في حاله بعلمه ويجعل العلم بمنزلة النور الذي يميز به الصحيح من الفاسد لا من يقدح في العلم بالحال ويجعل الحال معيارا عليه وميزانا فما وافق حاله من العلم قبله وما خالفه رده ونفاه فهذا أصل الضلال في هذا الباب بل الواجب تحكيم العلم والرجوع إلى حكمه وبهذا أوصى العارفون من شيوخ الطريق كلهم وحرضوا على العلم أعظم تحريض لعلمهم بما في الحال المجرد عنه من الغوائل والمهالك"[1].

ثم تحدث عن المداخل التي يلج منها الشيطان إلى أصناف العبّاد ونبه على مخاطرها بقوله" قول إمام الصوفية في وقته الإمام العارف أبو عبد الله محمد بن عثمان المكي رحمه الله تعالى قال في كتابه آداب المريدين والتعرف لأحوال العبادة في باب ما يجيء به الشياطين للتائبين من الوسوسة وأما الوجه الثالث الذي يأتي به الناس إذا هم امتنعوا عليه واعتصموا بالله فإنه يوسوس لهم في أمر الخالق ليفسد عليهم أصول التوحيد وذكر كلاما طويلا إلى أن قال فهذا من أعظم ما يوسوس به في التوحيد بالتشكيك أو في صفات الرب بالتشبيه والتمثيل أو بالجحد لها والتعطيل وأن يدخل عليهم مقاييس عظمة الرب بقدر عقولهم فيهلكوا أو يضعضع أركانهم إلا أن يلجأوا في ذلك إلى العلم وتحقيق المعرفة بالله عز و جل من حيث أخبر عن نفسه ووصف به نفسه ووصفه به "[2].

ثم تحدث عن أقسام التفسير وأثبت شرعية التفسير الإشاري الذي امتاز به الصوفية عن غيرهم وذلك حيث قال" وتفسير الناس يحاور على ثلاثة أصول :

---

1 بدائع الفوائد/ابن قيم الجوزية /مكتبة نزار مصطفى الباز/مكة المكرمة/تح: هشام عبد العزيز عطا وآخرون/1416هـ – 1996م.

2 – اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية/ ابن قيم الجوزية/ص173دار الكتب العلمية/بيروت/1404هـ 1984م.

تفسير على اللفظ وهو الذي ينجو إليه المتأخرون وتفسيره على المعنى وهو الذي يذكره السلف وتفسير على الإشارة والقياس وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم وهذا لابأس به بأربعة شرائط : أن لا يناقض معنى الآية وأن يكون معنى صحيحا في نفسه وأن يكون في اللفظ إشعار به وأن يكون نبيه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطا حسنا"[1].

وقد أشاد ابن قيم بزهد الصوفية وبعبوديتهم لخالقهم، وذلك حين شرح تقسيم الشيخ الأنصاري لأصناف الزهاد والعباد، وال>ي جعل فقر الصوفية وزهدهم في الدنيا قمة العبادة والزهادة من بين سائر العبادات ، فقال: قال شيخ الإسلام الأنصاري" الفقر اسم للبراءة من رؤية الملكة وهو على ثلاث درجات الدرجة الأولى فقر الزهاد وهو نفض اليدين من الدنيا ضبطا أو طلبا، وإسكات اللسان عنها ذما أو مدحا، والسلامة منها طلبا أو تركا، وهذا هو الفقر الذي تكلموا في شرفه. الدرجة الثانية الرجوع إلى السبق بمطالعة الفضل، وهو يورث الخلاص من رؤية الأعمال ويقطع شهود الأحوال ويمحص من أدناس مطالعة المقامات، والدرجة الثالثة صحة الاضطرار والوقوع في يد التقطع الوحداني والاحتباس في بيداء قيد التجريد وهذا فقر الصوفية"[2].

" فقوله الفقر اسم للبراءة من رؤية الملكة يعني أن الفقير هو الذي يجرد رؤية الملك لمالكه الحق فيرى نفسه مملوكة لله لا يرى نفسه مالكا بوجه من الوجوه ويرى أعماله مستحقة عليه بمقتضى كونه مملوكا عبدا مستعملا فيما أمره به سيده فنفسه مملوكة وأعماله مستحقة بموجب العبودية فليس مالكا لنفسه ولا لشيء من ذراته ولا لشيء من أعماله بل كل ذلك مملوك عليه مستحق عليه كرجل اشترى عبدا بخالص ماله ثم علمه بعض الصنائع فلما تعلمها قال له إعمل وأد إلي فليس لك في نفسك ولا في كسبك شيء فلو حصل بيد هذا العبد من الأموال والأسباب ما حصل لم ير له فيها شيئا بل يراه كالوديعة في يده وأنها أموال أستاذه وخزائنه

---

1 – المصدر نفسه/ص49.

2 –طريق الهجرتين وباب السعادتين /ابن قيم الجوزية/تح: عمر بن محمود أبو عمر /ج1/ص28 وما بعدها/دار ابن القيم/الدمام/السعودية/ط 1414/2هـ – 1994م.

ونعمه بيد عبده مستودعا متصرفا فيها لسيده لا لنفسه كما قال عبدالله ورسوله وخيرته من خلقه والله إني لا أعطي أحدا ولا أمنع أحدا وإنما أنا قاسم أضع حيث أمرت فهو متصرف في تلك الخزائن بالأمر المحض تصرف العبد المحض الذي وظيفته تنفيذ أوامر سيده"[1].

ثم يشرح في موضع آخر لوازم هذا الفقر الذي للصوفية بقوله" وهذا فقر الصوفية هذه الدرجة فوق الدرجتين السابقتين عند أرباب السلوك وهي الغاية التي شمروا إليها وحاموا حولها فإن الفقر الأول فقر عن الأعراض الدنيوية والفقر الثاني فقر عن رؤية المقامات والأحوال وهذا الفقر الثالث فقر عن ملاحظة الموجود الساتر للعبد عن مشاهدة الوجود فيبقى الوجود الحادث في قبضة الحق سبحانه كالهباء المنثور في الهواء يتقلب بتقليبه إياه ويسير في شاهد العبد كما هو في الخارج فتمحو رؤية التوحيد من العبد شواهد استبداده واستقلاله بأمر من الأمور ولو في النفس واللمحة والطرفة والهمة والخاطر والوسوسة إلا بإرادة المريد الحق سبحانه وتدبيره وتقديره ومشيئته فيبقى العبد كالكرة الملقاة بين صولجانات القضاء والقدر تقلبها كيف شاءت بصحة شهادة قيومية من له الخلق والأمر"[2].

إننا بهذا نتبين موقف ابن القيم من التصوف، في أنه يفرق بين التصوف الحق، وبين الدجل والشعوذة، وبين أئمة الصوفية وأدعياء التصوف، وهو نظيرموقف شيخه ابن تيمية، وهذه محطة لالتقاء الخطاب الصوفي والخطاب السلفي يجب أن تؤصّل في مناهجنا الدراسية، تأسيسا للحوار البينيّ المثمر بين هذين الخطابين، فإذا كان تصور أعلام السلفية عن التصوف في هذا المستوى من الإنصاف؛ فإن من الإجحاف في حق جماعة وقفت نفسها للسلوك إلى الله من غير قراءة متأنية ترتب الإقناع، وتوصل إلى اليقين بما يحقق الحكم على مناهج التصوف العرفانية والسلوكية .

ويعلق صاحب كتاب موقف أئمة الحركة السلفية من التصوف والصوفية، مبينا أزمة الفرقة الموجودة بين هذين الخطابين بقوله" وهكذا نسمع بين حين وآخر

---

[1] – المصدر السابق/ص30.

[2] – المصدر السابق/ص51.

من ينادي بأن التصوف باطل، وأن الصوفية طائفة زائفة لا علاقة لها بالإسلام، بل إنهم أعداء للدين، وأن أصلهم من اليونان أو بوذية الهند... وهذا كله من الترهات وهذا كله أيضا مع الأسف باسم السلفية المسكينة، مع أن الواقع بخلاف ذلك، فإن الصوفية عند أئمة الحركة السلفية وسادتهم طائفة إسلامية مثل بقية الطوائف الإسلامية الأخرى كالمحدثين والفقهاء والمتكلمين...فيهم المصيب والمخطئ، والصالح والطالح؛ ولكن إذا أطلق اللفظ فإنه يراد به دائما الصالح والمصيب منهم، فمثلا لو قلنا المحدثون، فالمراد بهم عند الجميع؛ المحدثون الذين حفظوا على الأمة أحاديث رسولﷺ وخدموها، ولا يراد بالكلمة مطلقا أولئك الدجالون الوضاعون، وهكذا هو الحال في الفقهاء والمتكلمين والمجاهدين وغيرهم من طوائف المسلمين، وهكذا يجب أن يكون الحال في الصوفية، فعندما يقال الصوفية فحتما يكون المراد منهم الفضيل بن عياض ومعروف الكرخي وأبو سليمان الداراني...، ولا يراد بالصوفية البتة أولئك الدجالون المخرفون المخالفون للكتاب والسنة الدخلاء على التصوف وقطاع الطرق على الله والدار الآخرة "[1].

بهذا الضبط لمنطلقات التصوف ومفارقاته؛ يمكن إعادة قراءة التصوف قراءة فيها شيء من الإنصاف لمدرسة تعتبر أكثر مدارس الفكر الإسلامي تعرضا لزخرفة القول والطعن المقصود وغير المقصود؛ بغية بلورة نظرة متزنة بعيدة عن الانفعال والمجاملة ، تنصف المظلوم ولا تجاري الظالم، لتبرز ملامح هذه المدرسة في نقائها وصفائها تصلح مادة مهمة للدعوة والإصلاح، والحوار الإسلامي مع الآخر الذي لم نعدم له أمثلة رائعة قدّمها أئمة التصوف – تاريخا وواقعا.

1- موقف أئمة الحركة السلفية من التصوف والصوفية/عبد الحفيظ بن ملك عبد الحق المكي/ص8 وما بعدها/دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع/القاهرة/1409هـ1988م.

الباب الثانـي:

الخطاب الصوفي في شمالي نيجيريا عطاؤه ومشكلاتـه .

الفصل الأول:

أبرز الطرق الصوفية في نيجيريا.

الفصل الثانـي:

عطاءات الصوفية في شتى المجالات .

الفصل الثالث:

مشكلات الطرق الصوفية في نيجيريا.

الفصل الرابع:

إصلاح الخطاب الصوفي بين الواقع والمتوقع.

مدخل:

يتضمن الخطاب الصوفي في ثناياه العديد من العطاء في المجالات التربوية والعلمية والجهادية ما هو جدير بالإشادة، لدرجة قال أحد الباحثين عنه:" لهؤلاء الصوفيين جهود ملموسة في نشر الإسلام، ونفوذ محسوسة في إقامة الدول والممالك الإسلامية، ولم تقم دولة المرابطين إلا بفضل النزعة الصوفية، ولولاها لما استطاع عبد الله بن ياسين أن يؤسس دولة المرابطين، ولما اقتدر أسكيا الحاج على إقامة دولة السنغاي والسير في موكب الإسلام، ولما تسنى للشيخ عثمان بن فوديو أن يجدد قوة الإسلام في نيجيريا، ولما ساغ للمهدي محمد بن عبد الله أن يتغلب على الجيش الإنجليزي الذي يقوده (غوردون) في السودان الغربي، ولما نجح الحاج عمر الفوتي في مقاومة الاستعمار الفرنسي نحو ربع قرن في فوتا، ولما تمكن السنوسيون من مقاومة الاستعمار الفرنسي والإيطالي في ليبيا..،"[1].

كما أنه يتضمن مجموعة من المشكلات النوعية والكمية – داخليا وخارجيا- ، لدرجة قال فيه الإلوري نفسه بعد سرده لكل تلك المكتسبات الصوفية" وإن كانت الصوفية قد خرجت عن مقصدها الأول، وتسربت إليها البدع والأفكار الأجنبية، فلقد أدت خدمتها الجليلة للدعوة الإسلامية"[2].

وإذا كان هذا الإطلاق يصدق على الخطاب الصوفي في أنحاء العالم بأسره، فإنه في نيجيريا يمثل أبرز ما في هذه المعاني على مستوى العطاء والمشكلات، وهو واقع جعلها تكون أدعى وأجدر بالبحث عن سبل لإصلاح هذا الخطاب، ودراسة جهود المصلحين دراسة مقارنة بين الواقع والمتوقع من تلك الجهود، وهذا ما سيتتبعه هذا المبحث .

[1]- الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو/الإلوري/ص14 وما بعدها/مصدر سابق.

[2]- المصدر نفسه/ص42.

الفصل الأول:

أبرز الطرق الصوفية في نيجيريا.

- المبحث الأول: الطريقة القادرية تاريخها وانتشارها.
- المبحث الثاني: الطريقة التجانية تاريخها وانتشارها.
- المبحث الثالث: الطريقة المهدية تاريخها وانتشارها.
- المبحث الرابع: الطريقة العروسية تاريخها وانتشارها.

الطرق الصوفية متعددة ومختلفة، ولكنها على تعددها واختلافها تتّحد في الهدف والغاية، كما يقول الصوفية أنفسهم، وهي: أن الصوفي إذا سلك ما أشار عليه شيخه ظفر بالوصول إلى الله"[1]. أما في نيجيريا فإن تاريخ الطرق الصوفية يرجع إلى عصور متقدمة من تاريخ الدعوة الإسلامية فيها، ذلك لأن أعلام الدعوة الإسلامية في نيجيريا ليسوا إلا من السادة الصوفية المنتمين إلى إحدى تلك الطرق المنتشرة في نيجيريا يقول الحسيني" كانت نيجيريا البلد الإسلامي الكبير في القارة السوداء المعروف بعراقة إسلامه وأغلبية سكانه، والذي قاد الجهاد فيه رجال من أئمة التصوف والتزكية، وأئمة من أئمة الفقه الإسلامي"[2].

والطريقة القادرية تصنَّف بأنها الأعرق في هذا المضمار من خلال مرحلتين أساسيتين بعد تلقيها عن مؤسسها عبد القادر الجيلاني، المرحلة الأولى نهض بها الغوث أبومدين في المغرب العربي، والمرحلة الثانية نهض بها الشيخ محمد عبد الكريم المغيلي صحبة أحد تلاميذه هو: سيدي عمر الكنتي، تلي الطريقة القادرية في العراقة لا الانتشار الطريقة التجانية التي اكتسحت كل الوجود الإسلامي النيجيري، ثم المهدية فالعروسية، وسيأتي الحديث عنها تباعا حسب عراقتها على النحو الآتي.

[1]– الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها/الشيخ فريد الدين آيدن/ص74/د.د.ن.

[2]– التكفير أخطر بدعة تهدد السلام والوحدة بين المسلمين/إبراهيم صالح الحسيني/ص أ.

المبحث الأول: الطريقة القادرية في نيجيريا تاريخها وانتشارها.

تُصنَّف الطريقة القادرية في نيجيريا بأنها أعرق الطرق الصوفية في نيجيريا وإن لم تكن الأكثر شيوعا، والملاحظ أن أحد الباحثين النيجيريين في الشأن الصوفي، وهو شيخ عثمان كبرا صاحب كتاب (الشعر الصوفي في نيجيريا) ذهب إلى أن الطريقة القادرية هي الأكثر انتشارا في نيجيريا، إلا أن الواقع يبين للواقف على الخطاب الصوفي النيجيري أن التجانية هي من يستحق هذا الإطلاق، على أن مجموعة من الباحثين لا ينحون هذا النحو الذي ذهب إليه عثمان كبر، أما الأسبقية فأمر مُسلم به عند كل مهتم بالواقع الصوفي الطرقي في نيجيريا، كما لا يشك أحد في إسهامها التاريخي في نشر الإسلام فيها.

يقول الحسيني:" الطريقة القادرية من أنشط الطرق الصوفية في نشر الدين الإسلامي في غرب أفريقيا، وأتباعها كانوا ينشرون الإسلام عن طريق التجارة والتعليم، ونحن نجد التجار غالبا هناك من مريدي الطريقة القادرية"[1].

إذا كان هذا هو موقع الطريقة القادرية في نشر الإسلام، فإن منهجية البحث تفرض علينا الوقوف على مؤسس الطريقة قبل متابعة البحث عن أسبقية القادرية في نيجيريا، وذلك على النحو الآتي.

أولا:- الطريقة القادرية ومؤسسها.

مؤسسها:

هو: الشيخ عبد القادر الجيلاني بن أبي صالح موسى بن جنكي دوست حق بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى الحزن بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب من فاطمة الزهراء بنت النبي محمد ﷺ، مؤسس الطريقة القادرية من كبار الزهاد والمتصوفين، ولد في جيلان وراء طبرستان، سنة 471هـ . 1078م وانتقل إلى بغداد شابا سنة 488هـ، فاتصل بشيوخ

---

[1]- التكفير/الحسيني/ص138.

العلم والتصوف، وبرع في أساليب الوعظ وتفقه وسمع الحديث وقرأ الأدب واشتهر، وتصدر للتدريس والإفتاء في بغداد سنة 528هـ، وتوفي بها سنة 561هـ 1166 م ".[1]

مؤلفاته:

له مؤلفات عدة نذكر منها:

1- الغنية لطالب طريق الحق.

2-الفتح الرباني والفيض الرحماني..

3-فتوح الغيب.

4-الفيوضات الربانية.

ثانيا:- تاريخ الطريقة القادرية في نيجيريا.

يقول الباحث عبد الله عبد الرزاق إبراهيم في كتابه (أضواء على الطرق الصوفية في القارة الأفريقية)"... كانت الطريقة القادرية أول طريقة منظمة دخلت مراكش من خلال العالم المغربي المراكشي المشهور: أبي مدين الغوث منذ 1198م الذي قابل مؤسس الطريقة الشيخ عبد القادر الجيلاني في بغداد بعد أداء كل منهما فريضة الحج"[2].

إلا أن الانطلاقة الثانية للطريقة القادرية في المنطقة عموما كانت بجهود الشيخ المغيلي صحبة أحد تلامذته وهو: سيد أحمد البكاء الكنتي، الذي جاب المنطقة مرافقا لشيخه المغيلي في رحلات دعوية لا تنقطع قادته إلى المشرق والمغرب، ثم بعد أن تولى مشيخة الطريقة القادرية بعد وفاة شيخه المغيلي؛ انطلق يجوب هذا النطاق الجغرافي داعيا إلى مبادئ الدين الحنيف، ومربيا الأجيال على مبادئ طريقته القادرية "[3].

[1]- ينظر: الأعلام /الزركلي/ج3/ص47/دار العلم للملايين/ط2002/15م. وينظر: النسبة إلى المواضع والبلدان/عبدالله الطيب بن عبدالله الحميري/ص219/د.د.ن.

[2]- أضواء على الطرق الصوفية في القارة الأفريقية/عبد الله عبد الرزاق إبراهيم/ص 5/القاهرة/1987م.

3- المصدر نفسه.

لا نشك في أنه ظل هناك منذ ذلك الوقت، بل وقبله وجود للطريقة القادرية في المغرب الأقصى بدليل النص التاريخي الذي أورده عبد الرزاق السابق، إلا أن القول الذي لا يعدم الحق في مجمله، إن تاريخ الطريقة القادرية في نيجيريا يرجع إلى محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، ويكاد يتفق كل من كتب عن تاريخ الصوفية في نيجيريا على ذلك"[1].

فهو من تولى نشرها في معظم بلاد السودان الغربي، ثم تلميذه سيدي أحمد البكاء الكنتي ثم الشيخ محمد فاضل بن مامين وابنه الشيخ ماء العينين، ثم الشيخ المختار الكنتي، وعلى أيدي هؤلاء الرجال الكنتيين انتشرت الطريقة في بلاد السودان الغربي، وهاجروا من (توات) إلى بعض مدن أفريقيا في سبيل نشر تعاليم الطريقة القادرية"[2].

وكان من حظ الطريقة القادرية انجذاب الملوك إليها قديما وحديثا، ويتأكد هذا الكلام بما قاله علي أوعدي في مقال له بعنوان (تاريخ الزاوية القادرية بالمغرب) إن الوجود القادري في بلاد المغرب الأقصى تعزز ونما مع مرور الأيام وتلاحُق الأحداث، وتعاظم بصورة مطَّردة حتى دخلت الطريقة القادرية الكنتية في القصر الملكي نفسه في عهد الملوك العلويين الكرام في القرن التاسع عشر الميلادي، ويبدو أن ذلك كان بفضل المجهود الدعوي المتميز الذي بذله الشيخ سيد الكنتي الفهري (1730-1811م"[3]. والذي كان عهده الميمون من أزهى العهود التي عرفتها القادرية في المنطقة، فقد أثمرت جهود الشيخ المختار الكنتي انتشار الزوايا الكنتية في القطر المغربي كله.

يقول الإلوري في سرد المراحل التي مرت بها الطريقة القادرية حتى استقر بها الوضع في نيجيريا" أول من نشرها بالمغرب العربي هو الشيخ أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي الذي اجتمع بالشيخ عبد القادر الجيلاني على جبل عرفة عام

1- كالشيخ الإلوري في كتابة (تاريخ الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي) وعثمان كبرا في كتاب (الشعر الصوفي في نيجيريا)

[2]- الشعر الصوفي في نيجيريا/شيخ عثمان كبر/ص88/النهار للطباعة والنشر والتوزيع/د.د.ن.

2- تاريخ الزاوية القادرية بالمغرب/علي أوعدي/2007م.

حجه، وخلع عليه الخلعة الصوفية، ولما رجع إلى المغرب نشر بها العلم والطريقة إلى أن توفي سنة 594هـ"[1].

وأول من نشرها ببلاد السودان الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ثم سيدي أحمد البكاء الكنتي بالقرن الخامس عشر الميلادي، ثم الشيخ محمد فاضل بن مامين وابنه ماء العينين والشيخ سعد أبيه، ثم انتشرت القادرية على يد الشيخ المختار الكنتي، ثم الشيخ عثمان بن فوديو، وله في الطريقة أشعار ومؤلفات منها: السلاسل الذهبية، والسلاسل القادرية، وتبشير الأمة الأحمدية بفضائل الطريقة القادرية، ولابنه السلطان محمحد بللو كتاب: مفتاح السداد، وللوزير غطاطو بن ليم في ذلك كتاب سماه المواهب الربانية في تحقيق الطريقة القادرية"[2].

ويواصل الإلوري ليصل إلى المرحلة التي استقرت عليها القادرية في دار القادرية الموجودة حاليا في مدينة كانو والتي تولت زعامة القادرية في نيجيريا، بل يعلق البعض عليها زعامة القادرية في أفريقيا بأسرها، فيقول:" واشتدت عناية أهل كانو بإحياء آثار القادرية من مطلع القرن الماضي، وأول من نشرها هناك مالم كبر الذي أخذ عن أحمد البكاء الكنتي ثم الشيخ يحيى الصرصوري الطرابلسي، ثم الشيخ محمد المحمود المغربي، ثم الشيخ سعد الغدامسي البليلي الفندكي، وهو أول من بنى الزاوية القادرية في كانو، ثم الشيخ أبوبكر الفندكي الكنوي، ثم الشيخ آدم العطار نمعجي الفلكي، ثم صديقنا الشيخ محمد ناصر الكبري الذي انتهت إليه رئاسة القادرية اليوم في ديار نيجيريا"[3].

إذا كان هذا هو تاريخ الطريقة القادرة في نيجيريا، فما هو ياتُرى تاريخ الطريقة التجانية ومدى انتشارها في نيجيريا؟

---

[1]- الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو/الإلوري/ص43.

[2]- المصدر نفسه.

[3]- المصدر نفسه/ص44.

المبحث الثاني:- الطريقة التجانية تاريخها وانتشارها.

أولا:- الطريقة التجانية ومؤسسها.

مؤسسها.

هو: أبو العباس أحمد بن محمد الملقب بابن عمر لشدته في دينه بن المختار بن أحمد بن محمد بن سالم بن أبي العيد بن سالم بن أحمد الملقب بالعلواني بن أحمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد الجبار بن إدريس بن إدريس بن إسحق بن علي زين العابدين بن أحمد بن محمد النفس الزكية بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من السيدة فاطمة الزهراء سيدة نساء أهل الجنة بنت رسول الله ﷺ"[1].

ولد الشيخ أحمد التجاني بين أبوين صالحين، كان ماضي العزم في أموره كلها، تفقه على مذهب الإمام مالك، وكان عالما بالأصول، رحل لفاس فدرس فيها شيئا على الشيخ الدقاق، والشيخ الجمال، والسلجماني، ولقي الشيخ الطيب الوزاني والشيخ أحمد الصقلي وغيرهم من صلحاء الصوفية ورجالات الطريقة الشاذلية"[2].

رحل إلى أداء فريضة الحج سنة 1186هـ فمر بتونس وعاد إلى فاس ثم رحل إلى بلدة (توات) ثم عاد إلى فاس فأقام بها طوال حياته ﷺ، توفي ليلة الاثنين الخامس عشر من شوال سنة 1230 هـ، فيكون قد عاش ثمانين سنة، لأنه ولد سنة 1150هـ"[3].

ثانيا: أبرز كتب التجانية.

لم أقف على مؤلف للشيخ أحمد التجاني مؤسس الطريقة، غير جواهر المعاني من فيض أبي العباس التجاني لمؤلفه علي حرازم بن العربي برادة الفاسي

---

[1]- أحزاب وأوراد/محمد الحافظ التجاني/ص20/الزاوية التجانية الكبرى/القاهرة/مصر/2006م.

[2]- ينظر: الشيخ سيدي أحمد التجاني منهجيته في التفسير والفتوى والتربية/عبد الرحمن طال/ص7/1419هـ1999م.

3- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى/أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري/تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري/ج3/ص129/دار الكتاب/1418هـ/ 1997م.

الذي أملاه عليه الشيخ بنفسه، كما قال الشيخ أحمد سكيرج أنه قرأ بخط الشيخ أحمد التجاني على هامش النسخة المخطوطة التي كتبها علي حرازم العبارة الآتية (***كل ما في هذا الكتاب فهو من إملائنا على محبنا سيدي علي حرازم***"[1].

الكتاب الثاني من كتب الطريقة: " الجامع " للشيخ محمد بن المشري، وهو من قدماء أصحاب الشيخ أحمد التجاني.

الكتاب الثالث: الإفادة الأحمدية للطيب السفياني .

الكتاب الرابع: كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، للشيخ أحمد سكيرج فقد جمع فيه صحابة الشيخ التجاني ومناقبهم.

الكتاب الخامس: كتاب البغية، شرح المنية وهي الأرجوزة التي ألفها الشيخ العربي بن السائح، وثمة كتب أخرى كثيرة لا أحب الإطالة بذكرها، غير أن كتاب رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم " لمؤلفه عمر بن سعيد الفوتي يصنّف على أنه الأكثر شهرة وشمولية، لأن مؤلفه أحسن ترتيبه ووضع له فهرسا وافيا يسهل الأخذ منه وهو عند جميع التجانيين ثقة فيما ينقل لا يتطرق الشك إليه "[2].

ثالثا: تاريخ الطريقة التجانية في نيجيريا وانتشارها.

أما تاريخ الطريقة التجانية في نيجيريا فيرجع إلى رحلة الحاج عمر سعيد الفوتي صاحب كتاب الرماح السابق الذكر إلى الحج، في القرن التاسع عشر، حينما قام السيخ عمر الفوتي بالإقامة في سكتو، أثناء عودته من مكة، حيث مكث فيها سبع سنوات، وتزوج من ابنة سلطان سكتو محمد بللو، وقد عمل على نشرها في جميع أنحاء سكتو، " وساعده على نشرها السلطان محمد بللو بن الشيخ عثمان فوديو حتى أشيع أن الشيخ محمد بللو انتسب إلى التجانية، ولقد زار نيجيريا سنة 1948م الحفيد الرابع للشيخ أحمد التجاني السيد بن عمر، ولقي الحفاوة البالغة لدى المسلمين عموما والتجانيين خصوصا"[3].

1- رحلة إلى درعة بالمغرب/تقي الدين الهلالي/ص25/د.د.ن.

[2]- المصدر نفسه/ص25 وما بعدها.

[3]- المصدر نفسه.

على أن التطور المهم في سياق تاريخ الطريقة في نيجيريا هو مقابلة الشيخ إبراهيم إنياس لأمير كانو أثناء موسم الحج الذي أقنعه بأنه الخليفة الروحي للشيخ أحمد التجاني مؤسس الطريقة التجانية، وعندما زار الشيخ إبراهيم إنياس كانو انتشرت الطريقة التجانية بشكل واسع، حيث يقدر علي بن محمد الدخيل الله صاحب كتاب (التجانية) في عام 1401هـ 1981م عدد التجانيين في نيجيريا وحدها بما يزيد على عشرة ملايين نسمة"[1].

وجدير بالذكر أن مولود فال: وهو ثاني مقدم في سند الشيخ عمر سعيد الفوتي للطريقة التجانية، كان قد قام بعدة أسفار إلى بلاد ما وراء نهر السنغال لنشر الطريقة التجانية لأول مرة في بلاد التكرور، مما يعني أن إشعاع الطريقة التجانية كان قد وصل إلى جزء من بلاد السودان الغربي قبل المجهود الذي سيبذله الحاج عمر الفوتي لنشر تعاليم الطريقة على نطاق واسع في أفريقيا جنوب الصحراء، وهذا يدل على أن الطريقة التجانية لم تكن مجهولة في فزان وأهير وبلاد هوسا ومنحنى نهر النيجر على امتداد تمبكتو وماسينا حتى فوتا جالو والسنغال قبل أن تنتشر على أكبر نطاق وبشكل كثيف على يد الحاج عمر الفوتي اطلاقا من ثلاثينات القرن التاسع عشر وربما قبل ذلك. وخلال ما تقدم ندرك أن سند الشيخ عمر سعيد الفوتي قبل رحيله للحج كان على النحو الآتي:

1- الشيخ أحمد التجاني.

2- محمد الحافظ الشنقيطي.

3- مولود فال.

4- عبد الكريم الناقل.

5- عمر سعيد الفوتي.

لكنه بعد وصوله الحجاز التقى الخليفة محمد الغالي خليفة الشيخ أحمد التجاني بمكة، وتم هذا اللقاء بينهما بعد صلاة العصر في مقام إبراهيم عليه السلام، فجدد الأخذ عنه ولقَّنه الأذكار اللازمة ونظمه في سلك الطريقة، ومن ثم

[1]- التجانية/علي بن محمد الدخيل الله/دار طيبة/الرياض/1401هـ 1981م.

علا سنده الطرقي بأخذه عن الخليفة المباشر للشيخ أحمد التجاني، فصار سنده بعد هذا اللقاء على النحو الآتي:

1- الشيخ أحمد التجاني.

2- الخليفة محمد الغالي.

3- عمر بن سعيد الفوتي"[1].

وقد كان في الترتيب الخامس في السند السابق.

قفل الشيخ عمر الفوتي بعد فراغه من مناسك الحج عن طريق فزان جنوبي غرب ليبيا ومنها إلى برنو خلال سنة 1831 وقيل 1833م ولعله الأرجح، وأقام هناك مدة من الزمن سمحت له بعقد لقاءات مع عدد كبير من الفقهاء والصوفية وطلاب العلم، وتمكن خلالها من التعريف بنفسه ونشر طريقته على نطاق واسع، مما أقلق الكثير من الصوفية القادريين"[2].

وذهب في إطار فكره الإصلاحي إلى حد انتقاد بعض ممارسات العلماء المحليين، وأدى به إلى العزوف عن الصلاة في المساجد معهم، وتكوين جماعة من المسلمين تابعة له، فكانت أخباره تصل بدقة إلى الأمين الكانمي سلطان برنو، إلا أن ما هيّج الشيخ الكانمي للنقمة من الشيخ عمر الفوتي هو: انخراط أحد أفراد الأسرة الحاكمة في الطريقة التجانية واعتباره الشيخ عمر شخصية تدعو إلى التجديد والإصلاح، ونظرا لما يمكن أن يشكله مثل هذا التحول من خطر على نظام الحكم نفسه؛ أمر الأمين الكانمي بإصدار أوامر بتقليص أنشطة ضيفه أولا ثم لجأ إلى محاولة اغتياله فيما بعد، وهو ما جعل الشيخ عمر يعجل بالرحيل عن البلاد...

إلا أن ثمة من ينفي صورة العداء بين الشيخ الفوتي والأمين الكانمي بما تقدمه مصادر أخرى تفيد بأن الكانمي ربط علاقات ودّ مع الشيخ الفوتي كما تشهد على ذلك الهدايا الثمينة التي قدمها له قبيل رحيله، وضمنها امرأة اسمها (مارياتو) صارت زوجة له حيث انجبت له من الأولاد (مكي وعجيبو)"[3].

---

[1]- التجانية/الدخيل الله/ص373.

[2]- المصدر نفسه/ص374.

[3]- المصدر السابق/ص375.

غير أنه يمكن التوفيق بين موقفي الود والعداء هذين من منظور أن الكانمي عندما علم بقرار الشيخ عمر بالرحيل عن البلاد وسعيا وراء تحسين صورته المعتمة أمامه، لجأ إلى مجاملته بإغداق العطاء عليه في وقت تأكد فيه من حلول وقت استراحة البلاد من خطره، ومن ثم اتجه إلى بلاد الهوسا حيث مقر الخلافة.

يقول الحسيني عن رحيل الشيخ الفوتي عن برنو ووصوله إلى بلاد هوسا" إن الشيخ عمر الفوتي عاد إلى برنو سنة 1833م، ثم ذهب إلى بلاد هوسا وأخذ يعظ الناس ويدعو إلى عقيدة السلف بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن"[1].

وعند وصول الشيخ عمر الفوتي بلاد هوسا اجتمع بأمير المؤمنين محمد بيلّو كما اجتمع ببعض علماء البلاد وكبرائها، ثم انتقل إلى بلدة (غوندو) إلى الجنوب من سكتو للقيام بزيارة وُدٍّ وصداقة للامير عبد الله بن فوديو عم الأمير محمد بللو، فاستأنف الشيخ عمر الفوتي سفره انطلاقا من كاتسينا بأقصى شمالي نيجيريا المتاخمة للحدود مع بلاد النيجر، ويمكن الاستدلال بهذا الواقع على تاريخ رسوخ الطريقة التجانية في بلاد برنو وبلاد هوسا على حد سواء، وهذه الرقعة تغطي جميع شمالي نيجيريا (موضوع البحث)، وذلك بما ثبت في المصادر التي أرّخت للطريقة التجانية منذ نهاية الثلث الأول من القرن الثامن عشر الميلادي وتحديدا سنة 1833م.

"وذلك عندما جاء الشيخ عمر الفوتي إلى برنو بعد عودته من الحجاز، ونزل ضيفا على الإمام محمد جلمامي والد القاضي جعفر بمدينة كوكاوا، وقد مكث بها سنة كاملة يناظر فيها العلماء والأمراء إلى أن سلموا له الأمر وأخذوا منه الطريقة التجانية وقدم بعضهم فيها كوالد الشيخ أبي بكر المسكين"[2].

ومنذ ذلك الحين لم تعدم برنو مربيا روحيا على نهج الطريقة التجانية، وفي عام 1929م قدم إليها الشيخ محمد إدريس المشهور بالحاج باب المقدم الذي يعتبر لعلماء برنو وشيوخها من بداية الأربعينيات إلى مطلع الستينيات أبا روحيا، حيث

---

[1]- التكفير/الحسيني/ص136.

[2]- ينظر: الثقافة الإسلامية في برنو/مرتضى أبو الفتح/رسالة ماجستير/ص64 وما بعدها.

أخذ منه الكثير الطريقة التجانية، كما أخذوا منه ثقافتهم العربية والإسلامية، وممن تربى على يديه الشيخ محمد البشير المرتوي (1906- 1987م، والشيخ عبد السلام بن حسن المرتوي المتوفى 1991م، والشيخ معلم عربي الفقيه، والشيخ التجاني الكانمي، وغير هؤلاء كثير"[1].

إلا أن أكثر هؤلاء جميعا نفوذا كما يرى الإلوري هو الشيخ أحمد التجاني بن عثمان البربري في مدينة كانو، والشيخ أبوبكر عتيق والشيخ ثاني كافنغا وكثير ممن لا يتسع المجال لذكرهم"[2].

ولئن كان الإلوري قد تحدث عمن برز في عصره من شيوخ التجانية، فإن النفوذ إنما يُعزا بعده لأعلام عايش بعضهم هؤلاء الذين ذكرهم الإلوري من أمثال: الشيخ أحمد بن علي أبي الفتح، والشيخ طاهر عثمان بوثي، والشيخ إبراهيم محمد الصالح الحسيني وكثير ما هم، حيث لم يقتصر نفوذهم على أتباع الطريقة في نيجيريا فحسب، بل تعداه ليشمل دولا مجاورة كالكاميرون وتشاد وأفريقيا الوسطى والسودان والنيجر، وحتى جزء من العالم العربي شمالي أفريقيا.

---

[1]- المصدر السابق/ص74 وما بعدها.

[2]- الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو/الإلوري/ص45.

المبحث الثالث:- الطريقة المهدية تاريخها وانتشارها.

تعد الطريقة المهدية واحدة من الحركات الثورية التي ظهرت في العالم العربي والإسلامي مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلاديين، وهي ذات مضمون ديني وسياسي ذات طابع طرقي، تأسست في السودان ثم أخذت شكل التوسع عبر دار فور ووداي ومملكة برنو حتى وصلت مدينة كانو النيجيرية حيث وجدت لها من الأنصار ما يأتي الحديث عنهم ضمن هذا المبحث.

أولا:- الطريقة المهدية ومؤسسها.

هو: محمد أحمد المهدي بن عبد الله، ولد سنة (1260- 1302هـ) (1845-1885م) في جزيرة لبب جنوبي مدينة دنقلة، حفظ القرآن وهو صغير ونشأ نشأة دينية متتلمذا على الشيخ محمود الشنقيطي، سالكا الطريقة السمانية القادرية الصوفية متلقيا عن شيخها محمد شريف نور الدائم. فارق المهدي شيخه لما لاحظه عليه من التهاون في بعض الأمور الدينية، وانتقل إلى الشيخ القرشي ودْ الزين في الجزيرة، وجدد البيعة على يديه، ويلاحظ أن شيخه الأول والأخير من أشهر مشايخ الطرق الصوفية آنذاك، ومن ثم استقر في جزيرة (أبا) حيث يقيم أهله، والتزم أحد الكهوف مستغرقا في التأمل والتفكير"[1].

وقد بدأ محمد المهدى فى تكوين نواة جماعة الأنصار، عندما عاد من الحج وهاجر إلى جزيرة آبا (فى النيل الأبيض) ومناداته بنفسه مهديا وخليفة الرسول الله ﷺ، وإعلانه أنه يقوم بحركة لتجديد الإسلام وتحرير بلاده من الترك والإنجليز فبايعته القبائل فى كردفان، ودارفور، وبحر الغزال، وشرق السودان"[2].

وفي عام 1297هـ 1880م توفي شيخه القرشي فصار المهدي خليفة من بعده، حيث توافد عليه المبايعون مجددين الولاء للطريقة في شخصه، وفي عام

1- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة/الندوة العالمية للشباب الإسلامي/ج1/ص79/إشراف ومراجعة مانع بن حماد الجهني/ دار الندوة العالمية/د.س.ن.

[2]- تاريخ السودان الحديث/ضرار صالح ضرار/ص114/ مكتبة الحياة/بيروت/1968م.

1298هـ 1881م أصدر فتواه بإعلان الجهاد ضد الكفار والمستعمرين الإنجليز، وأخذ يعمل على بسط نفوذه في جميع أنحاء غربي السودان"[1].

عاد المهدي للاعتكاف في غاره بجزيرة (أبا) فمكث مدة أربعين يوما، وفي غرة شعبان عام 1298هـ 1881م أعلن للفقهاء والمشايخ والأعيان أنه المهدي المنتظر الذي سيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وظلما، وبعد وفاة محمد المهدى فى رمضان سنة 1302هـ، دب الخلاف بين خلفائه الأربعة الذين اختارهم قبل وفاته، ولكن نجح عبد الله بن محمد التّعايشى الذى لقبه المهدى بالأمين الصديق أبى بكر، فى تزعمه للأنصار وذلك لأنه كان يقود أقوى فرق الأنصار، وهم من البقارة والجعليين والدناقلة وهؤلاء كانوا يكوّنون القوة العسكرية للأنصارفى عصر– التعايشة ، أما الأعمال الإدارية والمالية فكانت تقوم بها جماعة من الدنقلاوية من أهل بيت محمد أحمد المهدى ويلقبون بالأشراف. وقد تزعم الأنصار بعد استعادة السودان، عبد الرحمن المهدى بن محمد المهدى1232هـ 1884م، الذى كان زعيما لحزب الأمة السودانى، ثم خلفه نجله السيد صديق المهدى1249هـ 1911م الذى كان أيضا زعيما روحيا"[2].

وفي 9 من رمضان 1302هـ 22 يونيو 1885م توفي المهدي بعد أن أسس أركان دولته الوليدة، ودفن في المكان الذي قبض فيه...، وجدير بالذكر أن هذه الدولة لم تدم طويلا ففي عام 1896م قضى اللورد (كتشنر) الذي كان سردارا لمصر على هذه الدولة، ونسف قبة المهدي ونبش قبره وبعث بجمجمته إلى المتحف البريطاني انتقاما لمقتل (غوردون) الذي قتله جيش المهدي في الخرطوم وجز رأسه وبعث به إلى المهدي"[3].

ورغم ما يظهر على هذا الفكر من حيدة عن جادة الحق في ادعاء المهدية التي حددت ملامح شخصيتها ومكان ظهورها ونسب صاحبها ودلالات ورودها بالآثار الصحيحة عن النبي ﷺ، إلا أن الرجل ادعاها وصار له أتباع يحملون

---

[1]– يراجع: تاريخ المهدية/عمر عبد الرزاق النقر/ص80/مطبوعات قسم التاريخ/جامعة الخرطوم/1982م.

[2]–أطلس تاريخ الإسلام/حسين مؤنس/ الزهراء للإعلام العربى/القاهرة/ 1987م.

[3]– تاريخ المهدية/عمر عبد الزراق النقر/ص80.

التبشير به رغم قصر عمره وانحسار نشاط أدائه الدعوي والجهادي، ولا مناص من وجود من يناوئه على هذا المقام ويدعيه حتى من خلال أتباع طريقته لأنه انطلق من أساس باطل، وما قام على باطل فهو باطل.

ثانيا:- تاريخ الطريقة المهدية في نيجيريا.

شقت الطريقة المهدية طريقها إلى نيجريا على ركب المغامر السوداني رابح بن فضل الله عام 1893م، فصدقته القبائل التي تغلب عليها في حروبه، فانتشرت الطريقة في برنو وأدماوا، إلى أن التحق أحد أحفاد الشيخ عثمان بن فوديو بهذه الطريقة وهو: حياة الدين بن سعيد بن محمد بللو بن عثمان بن فوديو الذي كان يقيم في أدماوا آنذاك، فسُرّ رابح بن فضل الله بذلك سرورا عظيما حتى أطلق عليه لقب أمير المؤمنين وزوجه ابنته، ولكن لم يلبث حياة الدين أن اغتنم فرصة انشغال رابح بالحرب ضد الفرنسيين ورفع راية الجهاد وأعلن أنه المهدي المنتظر، وبعد أن قتل الفرنسيون رابحا قام ابنه فضل الله مقامه وحارب حياة الدين وشتت شمله وقتله، ولكنه لم يلبث هو الآخر أن قتله الفرنسيون"[1].

وبدأ نفوذ المهدية يتدهور في نيجيريا نتيجة قتل زعيمهم حياة الدين، وما لبث أن ظهرت مرة أخرى مع زعامة سعيد الدين بن حياة الدين، وحاول إحياء الطريقة المهدية وتبعه خلق كثير معظمهم من الفلانيين، (والدغاوا) و(الصالحاوا)"[2] وهي بطون قبائل من الهوسا تنتسب إلى كل من (صالح) و(دَغَوْ) ولما رأت قوات الاستعمار الإنجليزي استفحال أمر سعيد بن حياة الدين وكانت على دراية بموقف مؤسس الطريقة المهدية وخلفائه من بعده من الاستعمار، ألقت القبض عليه وأبقته رهينة الاعتقال عام 1923م بقيادة (ح. بالمر)"[3].

[1]- الثقافة العربية في نيجيريا/علي أبوبكر/ص207.

[2]- مقابلة مع حفيدة الشيخ سعيد بن حياة الدين أسماء غربه سعيد بن حياة الدين، رئيسة قسم التاريخ بجامعة بايرو، بمكتبها الكائن في رحاب الجامعة. يوم الثلاثاء 2010/12/7م.

[3] -A Biography study of shaykh sa id b hayat 18887-1978 and the british policy toward the mohd iyyn in northern Nigeria(1900-n1960) volume one, asm,u garba sa id, august 1992. a tesis submitted for the ph.D history Department, bayero university kano. Pg. 307- 332.

ثم نفته إلى مدينة (بُيا) بالكاميرون وعاش هنالك اثنتين وعشرين عاما ما بين عامي 1924- 1946م، ثم سمحت له الحكومة بالعودة إلى شمالي نيجيريا وأقيم في مدينة كانو بشرط ألا يغادرها بحال، وذلك ما بين عامي 1946- 1959م"[1].

ولقد انتشرت الطريقة المهدية بجهود الشيخ سعيد بن حياة الدين كما أخبرت بذلك حفيدته الدكتورة أسماء غربه بن سعيد بن حياة الدين من مدينة كانو إلى كل من جغاوا وكاتسينا وزنفرا وغسو وغيرها، وأصبح للطريقة زوايا في تلك الولايات، وتوفي الشيخ سعيد في أول يوم من يناير 1978م، وخلف وراءه مريديه وأبناءه وكبيرهم الحاج غرب خليفته، وما تزال شعائر الطريقة وآثارها قائمة إلى اليوم في شمالي نيجيريا"[2].

---

[1]- المصدر السابق/ص447 وما بعدها.

[2]- مقابلة مع حفيدة الشيخ سعيد بن حياة الدين أسماء غربه سعيد بن حياة الدين، رئيسة قسم التاريخ بجامعة بايرو، بمكتبها الكائن في رحاب الجامعة. يوم الثلاثاء 2010/12/7م.

المبحث الرابع:– الطريقة العروسية تاريخها وانتشارها.

أولا:– الطريقة العروسية ومؤسسها.

مؤسسها.

هو: عبد السلام الاسمر الفيتوري، (880 – 981 هـ) (1475 – 1573 م)، ويعد من علماء ودعاة الإسلام في القرن العاشر الهجري ودعاته في ليبيا، فهو من فقهاء المالكية وعالم في العقيدة، وقد وصف الكاتبون عنه بأنه" من أبرز مشايخ التربية والسلوك على منهج أئمة التصوف، تضمن منهجه الدعوي والإصلاحي الاهتمام بمختلف طبقات المجتمع، ولم ينحصر في الطبقة المتعلمة، وهو ما جعله قائدا روحيا وبمثابة حجر الزاوية لرسوخ الإسلام في المغرب الإسلامي، وبعد مضي خمسة قرون على وفاته فإن أثره لا يزال واضحا ومؤثرا على الصعيدين العلمي والاجتماعي، وقد كان مقر طريقته بمدينة زليطن بليبيا، وفيها مقامه"[1].

شيوخه.

أما شيوخه فقد ذكر في كتابه" الأنوار السنية اتصالاته بالشيخ الشهير العارف أبي العباس أحمد بن عروس دفين تونس، والذي سارت عليه شهرة الطريقة العروسية.

أخذ الشيخ عبد السلام الأسمر عن عبد الواحد بن محمد الدكالي عن فتح الله بن أبي راس القيرواني عن أحمد بن عبد الله الرشيد الساحلي عن أبي راوي الفحل عن الشيخ أحمد بن عروس، وهو عن الشيخ فتح الله العجمي عن الشيخ ياقوت العرشي عن المرسي عن الشاذلي بأسانيده المذكورة "[2].

ثانيا:– انتشار الطريقة العروسية في نيجيريا.

انتشرت الطريقة العروسية في ليبيا والقيروان ومصر، وفي تمبكتو وغيرها من بلاد أفريقيا ما وراء الصحراء، ولقد شقت طريقها إلى نيجيريا على ركب الجالية

---

[1]– ينظر: ثورة يحيى بن يحيى السويدي/محمد الأسطى/مجلة البحوث التاريخية/ص141 وما بعدها/السنة الرابعة/العدد الأول

[2]– فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات/عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني/تح: إحسان عباس/دار الغرب الإسلامي/بيروت/ط1982/2م.

الليبية الوافدة إلى نيجيريا، ولا يستبعد أن يكون وصولها في حياة الشيخ عبد السلام الأسمر على يد الشيخ فتح الله أبي راس القيرواني الذي مات بمملكة برنو"[1].

وبما أن نيجيريا في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي لم تأخذ شكلها الجغرافي المعهود حاليا، إلا أن مملكة برنو التي هي جزء من نيجيريا الحالية حكمت هذه المنطقة المترامية الأطراف منذ عهد سحيق، ولم يأت القرن الحادي عشر على هذه المملكة إلا وقد بلغت أوج ازدهارها، لذلك يصدق إطلاق نيجيريا على هذه المنطقة التي استقر فيها الشيخ أبو راس شيخ سيدي عبد السلام الأسمر. فقد ورد في كتاب (تنقيح الأزهار في مناقب سيدي عبد السلام الأسمر) في معرض حديثه عن ترجمة بعض مشايخ الشيخ الأسمر قوله" ومنهم سيدي فتح الله أبو راس القيرواني من المشايخ الصوفية ذي رفعة قوية، كان مفتيا بالقيروان، ويفتي على مذهب الإمام مالك والإمام أبي حنيفة ويتكلم في اثني عشر علما...، ومناقبه جمعها شيخنا الدوكالي في نحو العشرة كراريس، ومات ببرنو من بلاد السودان وقبره فيها يزار "[2].

وقوله: "مات ببرنو من بلاد السودان وقبره فيها يزار" دلالة واضحة على إقامته بهذه البلاد النيجيرية، ونزعته الصوفية لا شك أنها تدفعه لنشر طريقته في ربوع البلاد؛ وفي نظر الشيخ محمد الناصر كبر أنه هو الشيخ الذي يعرف ببنسرن دالا(BUNSURUN DALA) حي في مدينة كانو، وكان قبره مشهورا بجانب جبل دالا الشرقي، وقد أمر الشيخ الناصر كبر ببناء قبة عليه"[3].

ويتابع كبرا الحديث ليؤكد أن كنو تقع ضمن نطاق مملكة برنو في العهد السابق بقوله" وأما كلمة برنو في تاريخنا النيجيري القديم فإنها اسم أطلق على الدولة الإسلامية الواسعة الأطراف، ويعزز رأيه هذا بقول لآدم عبد الله الإلوري في معرض حديثه عن مملكة برنو" قامت أول دولتهم (أي البرنو) منذ القرن الخامس

---

[1]- الشعر الصوفي في نيجيريا/كبرا/ص110.

2- تنقيح الأزهار في مناقب سيدي عبد السلام الأسمر/الشيخ محمد بن عمر مخلوف/ص240/نقلا عن الشعر الصوفي في نجيريا/ص111. -

[3]- المصدر نفسه/الصفحة نفسها.

الهجري، واكتسحت بلاد الهوسا جنوبا، كما امتدت إلى حدود (فَوْر وسِنَّار) حتى حدود مصر شمالا، واتصلت بحدود كبي وصحراء ليبيا غربا"[1].

وعلق كبر على قول الإلوري هذا بقوله:" ونستنتج من الكلام السابق أن مدينة كانو كانت في القرون السابقة تحت سيطرة مملكة برنو، وبالتالي فإن قبر الشيخ بوراس من المحتمل أن يكون في مدينة كانو"[2].

إن صيغة التمريض التي اختتم بها استنتاجه هذا هي الأصدق تعبيرا عن كونه لم يستند على حقائق تاريخية، فإن مدينة كانو لم تخضع لسيطرة مملكة برنو على مرِّ التاريخ، وإنما حصلت بين مملكة برنو ومدينة كانو مناوشات حربية وحاصرت قوات الأمين الكانمي مدينة كانو، وطال الحصار ثم قفلت قوات الكانمي راجعة .

بدليل قول الحسيني الذي أرخ لمملكة برنو في سجل بعنوان(تاريخ الإسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم برنو) "وعندما تسلم الأمين الكانمي الملك بصورة علنية وجه اهتمامه أولا إلى قتال الفلانيين لإخراجها من بلاد برنو، حيث كون جيشا يضم عددا من أفراد القبائل المختلفة من العرب والكانمبو والبرنو وغيرهم...، وبعد تصفيته للفلانيين من البلاد قام بعدة غزوات في بلاد الهوسا وما جاورها، وقصده بتلك الحروب هو إرجاع جميع الاقاليم التي كانت خاضعة لحكم برنو السابق، فغزا كانو وكتاغم وهطيجيا وجوميل ونغرو، ولما غزا حصن كانو جرى بينه وبين أهلها قتال عنيف دام عدة أسابيع ولم تحصل فيه للأمين نتيجة، فقد استعان أهل كانو ببعض معاهديهم على الدفاع الوطني مما جعل الأمين يضطر إلى التراجع إلى بلاده من غير أن يقضي مراده من أعدائه أهل كانو"[3].

إن هذا النص يؤكد على أن مملكة برنو لم تمتد يوما لتستغرق رقعة كانو، فبينهما مد وجزر حتى على المناطق المتاخمة لحدودها المعهودة، أمثال (بوثي) و(كتاغم) و(لافيا) وغيرها. والحرب بين الفلاني والبرنو سجال حتى على هذه

---

[1]– الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو/الإلوري/ص29.

[2]– الشعرالصوفي في نيجيريا/كبر/ص111.

[3]تاريخ الإسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم برنو/الحسيني/ص123.

المناطق الواقعة أساسا ضمن رقعة برنو، فكيف بالأخ كبرا ينطلق من نص الإلوري الذي لم يجزم هو ذاته بخضوع كانو لبرنو، وإنما بيّن أن برنو امتدت جنوبا حيث ممالك هوسا، ولم تكن (بوثي) و(كتاغم) و(لافيا) إلا واقعة جنوبي مملكة برنو، فإذا ثبت وجود قبر الشيخ أبي راس في مملكة كانو فذلك له، ولكن لا يستدل بهذه النصوص التي لم تعبر ظواهرها عن وقوع كانم ضمن رقعة مملكة برنو.

ومهما يكن من أمر فإن أول مقدم للطريقة العروسية في مدينة كانو هو الشيخ علي بشير من الجالية الليبية المستوطنة في مدينة كانو، وأول زاوية عرفت في المدينة كانت في محلة (شاظاري) وكان الليبيون يجتمعون فيها للذكر ثم انضم إليهم غيرهم من المواطنين، وبعد أن غادر الشيخ علي بشير نيجيريا خلفه السيد محمد، وهو أيضا من الجالية الليبية وكان يسوس أمر الزاوية بمساعدة نقباء الكنويين، وبعد أن توفي السيد محمد عام 1976م أصبح المعلم محمد الثاني (سركن تكروا) مقدما بـ"شاظاري" يساعده عدد من النقباء"[1].

ولقد تفرع عن هذه الزاوية زوايا عدة داخل مدينة كانو وخارجها منها: زاوية مالم لادن، و(ثطامير قُدا) و(مكُورَاري)، و(قَوْفَرْ دَوَانَوْ) وغيرها"[2].

ولقد توسعت الطريقة العروسية في كانو وغيرها من ولايات ميدغري بفضل بعض المخلصين من أتباعها أمثال الحاج أحمد ميثُرَاري وأبنائه، وقد كان ثريا متحمسا لنشرها فقام بطباعة كتاب في الطريقة العروسية عنوانه (الأوراد السنية في الطريقة السلامية المشهورة بالعروسية) لتقديم أوراد الطريقة بين المريد وغيره ممن يؤمَل في التحاقه بالطريقة، وقد لوحظ تلاقٍ بين الطريقة العروسية والقادرية في كثير من الطقوس والشعائر العبادية مثل ضرب الدفوف (البنديري) وإنشاد القصائد في حلقات الذكر، حتى لا يكاد غير المنتسب لإحدى الطريقتين يميز بين القادري والعروسي، لشدة التواصل بينهما.

---

[1]– الشعر الصرفي في نيجيريا/ص112.

[2]– مقابلة مع الأستاذ غربه أحمد سوداوا في بيته يوم 1996/11/9م.

الفصل الثاني:
عطاءات الصوفية في شتى المجالات الحضارية.

المبحث الأول: عطاءات القادرية في التربية الروحية.

المبحث الثاني: عطاءات القادرية في التعليم والتأليف.

المبحث الثالث: عطاءات التجانية في التربية الروحية.

المبحث الرابع: عطاءات التجانية في التعليم والتأليف.

التربية الروحية عند الصوفية لا تعني سوى ضبط النفس والتحكم بها بحيث لا يجده الله تعالى حيث نهاه، ولا يفقده حيث أمره، ولا يظهر منه ما يغضب الله تعالى، فالتربية بهذا المفهوم لا تعني الانسلاخ من المجتمع والهروب من دنيا الناس، فالذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم، ولأن الإسلام لا يضحي بمصالح العباد في الدنيا من أجل الفوز بالآخرة، ولا يعرف الخصام بين المعاش والمعاد ولا بين الروح والجسد، بل الخصام مفتعل وضعه القاصرون في فهم الدين، والإسلام من كل ذلك بريء"[1].

ومن هنا جاءت أسس الطرق الصوفية كلها تلتزم بضرورة البعد عن الغفلة والشرود إلى اليقظة والالتزام، ومن مرض النفس والقلب إلى صحتهما، وهو علم عملي قائم بذاته يحتاجه كل مسلم، لأن ثمة فرقا بين الإيمان العقلي النظري وبين الإيمان الشعوري الذوقي، ولذلك وضعت الطرق الصوفية له أسسا عملية من أجل تحقيق الغاية المرجوة منه، وهذا ما سنتناوله في ثنايا هذا المبحث.

---

[1]- هذا ديننا/محمد الغزالي/ص48/دار الكتب/الجزائر/1988م.

المبحث الأول:- عطاءات القادرية في التربية الروحية .

أولا:- أسس الطريقة القادرية في التربية الروحية.

وضع الشيخ عبد القادر الجيلاني لطريقته أسسا ذكرها في كتابه (الغنية) وسردها في عشر أسس عملية فقال" إن أهل المجاهدة جربوها لأنفسهم فإذا أقامها المريد وأحكمها فإنه واصل إلى المنازل الشريفة إن شاء الله .

أولها:- ألا يحلف العبد بالله عز وجل صادقا أو كاذبا عامدا أو ساهيا، لأنه إذ أحكم ذلك من نفسه وعود لسانه رفعه ذلك أن يترك الحلف ساهيا أو عامدا، فإذا اعتاد ذلك فتح الله له بابا من أنواره يعرف منفعة ذلك في نفسه"[1].

وعندما نناقش هذا الأساس على ضوء الكتاب والسنة نجده يتخذ من التورع من السقوط في الحلف حالة الكذب، ففي القرآن الكريم قوله تعالى ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ﴾ [2] وقوله تعلى ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ ﴾ [3] وصح في الحديث قوله ﷺ" لا تحلفوا بالله فمن حَلَفَ بالله فلْيصدقْ وَمَنْ حَلَفَ على يمين فَرأَى غيْرَها خيراً منها فليعمل الذى هو خير وليكفر عن يمينه"[4].

والثانية: أن يجتنب الكذب هازلا وجادا، لأنه إذ فعل ذلك وأحكمه من نفسه واعتاد لسانه شرح الله به صدره، وصفى به عمله، حتى لا يعرف الكذب وإذا سمعه من غيره عاب عليه وعيره به في نفسه...

أن هذا الأساس التربوي نجده مبثوثا في القرآن والسنة، فما أكثر الآيات الواردة في ذم الكذب قال تعالى ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾[5] ﴿ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [6] وفي

---

[1]- الغنية لطالب طريق الحق عز وجل/الشيخ عبد القادر الجيلاني/ص592/د.د.ن/1427هـ 2006م.

[2]- سورة القلم: الآية 10.

[3]- سورة البقرة : الآية: 224.

4- أخرجه عبد الرزاق عن ابن سيرين مرسلاً/الجامع الكبير/السيوطي/495/8/رقم (16034).

[5]- سورة آل عمران/الآية: 61.

6- سورة النور/الآية: 8.

الحديث عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ" آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ"[1] .

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النبي ﷺ قَالَ:" أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ"[2] .

الثالثة: أن يحذر أن يعد أحدا شيا فيخلفه إياه وهو لا يقدر عليه إلا من عذر بيِّن، فإنه أقوى لأمره وأقصد لطريقته، لأن الخلف من الكذب، فإذا فعل ذلك فتح الله عليه باب السخاء ودرجة الحياء وأعطي مودة في الصادقين، ورفعة عند الله جل ثناؤه"[3].

ولهذا الأساس وجود في الكتاب والسنة، فمن القرآن قوله تعالى ﴿ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً ﴾[4] ومن السنة الحديث السابق في عدِّ آيات المنافق، فقد ذكر من ضمن تلك الآيات " إذا وعد أخلف" .

الرابعة: يجتنب أن يلعن شيئا من الخلق، أو يؤذي ذرة فما فوقها، لأنها من أخلاق الأبرار والصادقين وله عاقبة حسنة في حفظ الله إياه في الدنيا، مع ما يدخر له عند الله من الدرجات ويستنقذه من مصارع الهلكة ويسلمه من الخلق، ويرزقه رحمة العباد والقرب منه عز وجل"[5]...

ويقول الله تعالى في شأن الإيذاء ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً ﴾[6] وفي السنة أن النبي ﷺ قال" إِنَّ اللَّعَّانِينَ لاَ يَكُونُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُفَعَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ »[7]. وفي كنز العمال عن أبي موسى أن النبي ﷺ قال" إن استطعت أن لا تلعن شيئا فافعل، فإن اللعنة إذا خرجت من صاحبها فكان الملعون لها أهلا أصابته، فإن لم يكن لها أهلا وكان اللاّعن لها

---

[1]- صحيح البخارى/باب علامة المنافق/ج1/ص67/الحديث رقم(2210)

[2]- صحيح البخارى/باب علامة المنافق/ج1/ص68/الحديث رقم (2211)

3- الغنية/صـ592.

4- سورة الإسراء/من الآية: 34

[5]- الغنية/ص593.

6- سورة الأحزاب: الآية: 58

7- أخرجه البيهقي في السنن الكبرى/باب بيان مكارم الأخلاق/ج2/ص483/الحديث رقم (21312)

أهلا رجعت عليه، وإن لم يكن لها أهلا أصابت يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا، فإن استطعت أن لا تلعن شيئا أبدا فافعل" [1].

الخامسة: يجتنب أن يدعو على أحد من الخلق وإن ظلمه فلا يقطعه بلسانه ولا يكافئه بفعاله ويحتمل ذلك لله تبارك وتعالى، فإن هذه الخصال ترفع صاحبها في الدرجات العلا"[2].

ونجد لهذا الأساس سندا من السنة فقد ورد في مصنف ابن أبي شيبة قال حدثنا محمد بن بشر قال حدثنا إسماعيل عن قيس قال : شهدت عبد الله بن مسعود جاء يتقاضى سعدا دراهم أسلفها إياه من بيت المال ، فقال : رد هذا المال ، فقال سعد: أظنك لاقيا شرا، قال: رد هذا المال، قال: فقال سعد: هل أنت إلا ابن مسعود عبد من هذيل، قال: فقال عبد الله: هل أنت إلا ابن حمنة، قال: فقال ابن أخي سعد: أجد أنكما لصاحبا رسول الله ﷺ، ينظر الناس إليكما، فرفع سعد يديه يقول: اللهم رب السموات والارض، فقال ابن مسعود: ويحك ، قل قولا لا تلعن، قال: فقال سعد: أما والله أن لولا مخافة الله لدعوت عليك دعوة لا تخطئك، قال: فانصرف عبد الله كما هو"[3]. وقوله ﷺ « أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ »[4]. وكل الآيات التي تدعو إلى التحلي بالصبر ما هي إلا عمدة لهذا الأساس التربوي.

السادسة: ألا يقطع الشهادة على أحد من أهل القبلة بشرك، ولا كفر، ولا نفاق، فإنه أقرب للرحمة وأعلى في الدرجة وهي تمام السنة وأبعد عن الدخول في علم الله تعالى...

وهو تطبيق عملي لما جاء في السنة عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال:"إذا كَفَّرَ الرجلُ أخاه فقد بَاءَ بها أحدُهما"[5].

1- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال/ علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري/تح: بكري حياني وصفوة السقا/ج3/ص617/مؤسسة الرسالة/د.ن/ط5/1401هـ/1981م الحديث رقم(8192)

2- المصدر السابق/ص592 وما بعدها.

3- مصنف ابن أبي شيبة/ج7/ص255/الحديث رقم (42)

4- سنن أبي داود/ج3/ص313/الحديث رقم (3536)

5- أخرجه مسلم في صحيحه/ كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر/ج1/ص79 /الحديث رقم (60) .

السابعة: يجتنب النظر والهم بشيء من المعاصي ظاهرا وباطنا ويكف عنها جوارحه، فإن ذلك من أسرع الأعمال ثوابا للقلب والجوارح في عاجل الدنيا مع ما يدخر الله تعالى له من خير الأخرة...

وفي القرآن آيات نصت على وصايا عشر كلها تؤكد حفظ الجوارح عن محارم الله، والكف عن المعاصي ما ظهر منها وما بطن ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [1] إلى قول تعالى ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[2]

الثامنة: يجتنب أن يجعل على أحد من الخلق منه مؤنة صغيرة ولا كبيرة، بل يرفع مؤنته عن الخلق أجمعين، فإن ذلك تمام عزة العابدين وشرف المتقين، وبه يقوى على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويكون الخلق كلهم عنده بمنزلة واحدة، فإن كان كذلك نقله الله تعالى إلى الغنى واليقين والثقة به عز وجل"[3]...

التاسعة: ينبغي له أن يقطع طمعه من الآدميين، لا يجعل في نفسه طمعا في شيء مما في أيدي الناس فإنه العز الأكبر، والغنى الخالص، والتوكل الشافي الصحيح، وهو باب من أبواب الثقة بالله عز وجل، وبه ينال الورع ويكمل نسكه وهو من علامات المنقطعين إلى الله تبارك وتعالى[4]...

ونجد لهذا الأساس سندا من القرآن في قوله تعالى ﴿لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[5] وقوله تعالى ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾[6].

---

[1]- الأنعام151.

2- الأنعام/153.

[3]- الغنبية/صد 593.

[4]- المصدر نفسه.

5- الحجر88

6- طه131

وهو عين الاستغناء الذي دعت إليه السنة في قوله ﷺ" مَنْ اسْتَغْنَى أَغْنَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ اسْتَعَفَّ أَعَفَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ اسْتَكْفَى كَفَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ"[1].

العاشرة: التواضع، لأن به يشيد محل العابد وتعلو درجته ويستكمل العز والرفعة عند الله تعالى وعند الخلق، ويقدر على ما يريد من أمر الدنيا والآخرة، وهذه الخصلة أصل الطاعات كلها وفرعها وكمالها، وبها يدرك العبد منازل الصالحين الراضين عن الله تعالى في الضراء والسراء"[2].

ويواصل الشيخ عبد القادر ليشرح حقيقة التواضع وفق ما ارتأه لتحقيق التربية الروحية للمريد القادري فيقول:" والتواضع هو ألا يلقى العبد أحدا من الناس إلا رآى له الفضل عليه، ويقول عسى أن يكون عند الله خيرا منه، إن كان صغيرا قال: هذا لم يعص الله وأنا قد عصيته، فلا شك أنه خير مني، وإن كان كبيرا قال: هذا عبد الله قبلي، وإن كان عالما قال: هذا أعطي ما لم أبلغ، ونال ما لم أنل، وعلم ما جهلت، وهو يعمل بعلم، وإن كان جاهلا قال: هذا عصى بجهل وأنا عصيته بعلم، وأنا لا أدري بم يختم له وبم يختم لي"[3].

وعندما نناقش قيمة التواضع على ضوء الكتاب والسنة فإننا لا شك نخرج برصيد كبير من النصوص المبثوثة في القرآن الكريم والسنة، فقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يخفض جناحه للمؤمنين فقال تعالى:" ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[4] وقال ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[5] وفي السنة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ دَرَجَةً رَفَعَهُ اللَّهُ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي عِلِّيِّينَ وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى اللَّهِ دَرَجَةً وَضَعَهُ اللَّهُ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ"[6].

هذه الأسس التي أرساها الشيخ عبد القادر كفيلة بتخريج الإنسان من مدرسة التربية الروحية على قدر كبير من الالتزام الديني عقيدة وشريعة وأخلاقا، وبرصيد من الوازع الديني كبير يحول بينه وبين الانسياب في أودية الانحلال الاجتماعي

1- سنن النسائي/ج8/ص395/الحديث رقم (2548)

2- الغنية/ص593.

3- المصدر السابق/ص593.

4- الحجر 88

5- الشعراء215

6- مسند أحمد بن حنبل/23/ص344/الحديث رقم (1299)

والخواء الروحي التي تاهت فيها كثير من المجتعات، خصوصا الشباب الذين لم يكونوا على قدر من التربية الإسلامية فأصيبوا بداء الانحطاط على كافة المستويات الأخلاقية والروحية.

وإذا كان هذا هو أساس التربية الذي وضعه الشيخ عبد القادر لمريدي الطريقة القادرية فما هو يا ترى الورد القادري الذي أريد للمريد القادري أن يلتزمه في ليله ونهاره وحضره وأسفاره حتى يدرك غاية الوصول التي ينشدها؟

ثانيا:- أوراد الطريقة القادرية.

جاء في الغنية ما نصه:" وأما أوراد النهار فخمسة.

أحدها: من وقت طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس.

والثاني: صلاة الضحى وما كان في معناها إلى الزوال.

والثالث: أربع ركعات بعد الزوال بقراءة حسنة وسلام واحد، وقيل إن أبوب السماء تفتح لها.

والرابع: ما بين الظهر والعصر.

والخامس: بعد العصر إلى الغروب"[1].

وأما الورد الأول من النهار فيستحب الجلوس من بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس، يذكر الله تعالى فيه إما بتلاوة القرآن أو التسبيح أو تفكير أو تعليم أو جلوس إلى عالم، وكذا بعد صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس لما أخبرنا الشيخ أبو نصر عن والده قال: أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد بن شاذان قال أخبرنا أبو علي إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الخطي قال: حدثنا محمد بن يعقوب قال: حدثنا هديبة بن خالد القيسي قال: حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن الشعبي عن أبي أمامة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: لأن أقعدن مع قوم أذكر الله تعالى من صلاة الفجر حتى تطلع الشمس أكبر وأهلل أحب إليّ من أن أعتق

---

[1]- الغنية/ص593 وما بعدها.

رقبتين، ولأن أذكر الله عز وجل من بعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس أكبر وأهلل أحب إلي من أن أعتق أربع رقاب من ولد إسماعيل"[1].

وأما الورد الثاني:- فصلاة الضحى، وهي صلاة الأوابين قال:" وهل يصح المداومة عليها أم لا؟ على وجهين عند أصحابنا، والأصل في ذلك ما حدثنا به أبو النصر عن والده بإسناده عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: صلاة الضحى صلاة الأوابين"[2].

وقد جاء في الفتوحات الإلهية لا بن عجيبة ما يلخص لنا الخطوات التي يمر بها المريد في التربية والآفاق المعرفية التي تفتحها الأوراد أمام السالك فقال:"

إذ للمريد عندهم حـدود ... ... لأجلها قيـــــــــل له مريـد
فعندها رُدّ إلى الأوراد ... ... كالصمت والصوم مع السُّهاد
وعاملوه بالمعامـــلات ... ... إذ علمـــوا مختلف العـلات
ولم يحيلوه على الحقيقة ... ... إذ لم يكن مستوفي الطريقة
لكن أحالوه على الأعمال ... ... لأجل ما فيها من النـــوال
حتى إذا أحكم علم الظاهرْ ...... وأبصروا القبول فيه ظاهرْ
ألقوا إليه من صفات النفس ... ما كان فيها قبل ذا من لَبْس
وهي إذا أنكرتها فلتعرف ... ... إحدى وتسعين وقيل نيـف
فجرعوها أكؤس المـنون ... ... وهي تنـادي كيف تقتلـون
فعندما مالت إلى الـــزوال .... أُدخل في خلـــوة الاعتـزال
وقيل: قل على الدوام (الله) ... واحذر كطرف العين أن تنساه
فلم يزل مستعملاً للذكـــر ... فيصــمت اللسان وهو يجري
وقدر ما تجوهر اللســـان ... بالاسم يستثـــــبته الجنان
ثم جرى معناه في الفؤاد ... ...جريَ الغذا في جملة الأجساد
فعندها حاذى مِراة القلب ... ... لوحُ الغيوب وهو غير مخبي
فأدرك المعلوم والمجهولا ... ... حيث اقتضى لتركهـــا قبولا

1- سنن البيهقي الكبرى/ج8/ص79/الحديث رقم (15959)

2- مسند الإمام أحمد /ج2/ص265/مؤسسة قرطبة/القاهرة/الحديث رقم (7586)

حتى إذا جاء بطور القلب ... ...خوطب إذ ذاك بكل خطب

فقيل لو عرفتني بكوني ... . قيل إذن فاخلع نعال الكون

ثم فني عن رؤية العوالم ... ... ولم ير في الكون غير العالم

ثم انتهى لفلك الحقيقة ... .فقيل هذا غاية الطريقـــــة"[1].

هذه الأبيات لخَّصت ما يتعلق بالتربية الروحية من منازل يسلكها المريد الصوفي والقادري على وجه الخصوص، وواضح أنها تحقق صفاء القلب وترفعه عن رذائل الدنيا الزائلة وتجعله متعلقا بالله تعالى، وأن المتأمل فيها ليدرك أن لها مستندا من الشرع ومن واقع السنة النبوية المطهرة،وإذا كنا قد سردنا ورد الشيخ عثمان بن فوديو في الباب السابق، فإنا مطالبون هنا بذكر ورد الشيخ محمد الناصر كبرى لكونهما من أقطاب الطريقة القادرية لندرك مدى صبغة التجديد التي أضافها كل منهما في ورد الطريقة.

وإذا كانت هذه هي عطاءات القادرية في التربية الروحية فما هي ياترى عطاءاتهم في التعليم والتأليف؟

---

[1]– الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية/أحمد بن محمد بن عجيبة/ص:331 وما بعدها/دار المعرفة للطباعة والنشر/بيروت/لبنان/د. س.ن.

المبحث الثاني:– عطاءات الطريقة القادرية في التعليم والتأليف.

أسهم لفيف من أئمة القادرية بنشاط علمي وفكري نشرا للثقافة العربية والتربية الإسلامية، فأسسوا مراكز ومعاهد علمية أسهمت إسهاما عظيما في تأسيس منهج علمي مدروس، وتربية إسلامية دينية ورثتها الأجيال في أفريقيا وفي نيجيريا على وجه الخصوص، وبإمكاننا أن نقسم تلك الإسهامات إلى المعاهد العلمية، والزوايا التي استخدمت في تلقين العلوم الشرعية، والأوراد والأذكار الطرقية، وإلى الكتب والمؤلفات التي أبدعوها في شتى مجالات العلم، وإلى الشخصيات العلمية والدعوية التي خرجتها الطريقة القادرية، وذلك على النحو الآتي:

أولا: الإسهام العلمي للرعيل الأول من القادرية.

الأنموذج الأول: الإمام المغيلي.

من رجالات الطريقة الذين قدموا عملا علميا رائعا في نيجيريا والعالم الإسلامي الإمام المغيلي الذي ولد بمدينة توات جنوبي الجزائر، ودرس دروسه الأولى في زاوية توات، ثم انتقل إلى فاس لإتمام علومه الدينية، وقد اتصل بالأمير أسكيا الحاج سلطان مالي، وأكرمه وكان ذلك في بلدة قاوة المالية"[1].

وقد وصفه الزكلي بقوله: محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني: مفسر، فقيه، من أهل تلمسان. اشتهر بمناوأته لليهود وهدمه كنائسهم في توات (بقرب تلمسان) ورحل إلى السودان وبلاد التكرور، لنشر أحكام الشرع وقواعده. وتوفي في توات.

مؤلفات.

له كتب، منها

1 – البدر المنير في علوم التفسير.

2 – رسالته المسماة تاج الدين ط،

3 – أحكام أهل الذمة خ.

---

[1]– دور الطريقة القادرية في رفع مستوى اللغة العربية والتربية الإسلامية في غربي أفريقيا/ قريب الله كبر/ص10/د.د.ن.

4 - شرح مختصر خليل في فقه المالكية.
5 - مفتاح النظرفي علم الحديث.
6 - منح الوهاب .
7 - منظومة في المنطق وله شرح عليها سماه" مناح الأحباب من منح الوهاب. خ. في دار الكتب.
8 - وله نظم منه قصيدة عارض بها البردة
9 - مصباح الأرواح في أصول الفلاح"1.

فقد كان المغيلي أنموذجا من نماذج الإسهام العلمي جيث سكن نيجيريا وخلف بها ذريته في حي شريفي المعروفة بمدينة كانو، لذا يعده الكانويون واحدا منهم، فقد كان من كبار الأعلام الذين حظيت بهم البلاد، حيث كان الشيخ عثمان بن فوديو محبا له وتأثر به في كثير من الأمور، فقد كان يستشهد بكتبه، ويعتمد عليها في الإجابة عن بعض الأسئلة الواردة إليه، فتجده يقول: سئل شيخنا عن كذا وكذا ثم يسرد الجواب، فهذا نوع من أنواع الاحترام والأمانة العلمية، حيث إن الشيخ يضيف نفسه إليه كمن استمع منه أو أخذ عنه، وذلك لغزارة علمه حتى احتل ثقة الشيخ عثمان بن فوديو مع ما له من علم ومعرفة"[2].

بل يظهر تأثر الشيخ بالمغيلي في كثير من كتبه، لدرجة قال فيها بعض الباحثين "إن ثمة كتبا من مؤلفات الشيخ لو حذف منها نقولات المغيلي لما بقي منها سوى فصل واحد، كما في كتاب (سراج الإخوان في أهم ما يحتاج إليه أهل الزمان)"[3].

"فكان بحق أكبر داعية إسلامي عرفه الغرب الأفريقي خلال القرن التاسع وبداية العاشر الهجري. فبعد رحيله من تلمسان وإقامته في توات التي كان له فيها قصته المشهورة مع اليهود الذين استولوا على الموارد الاقتصادية، واستعلوا على المسلمين، وأفسدوا الأخلاق والذمم، قام هذا الداعية الكبير برحلته الطويلة إلى

---

[1]- ينظر: الأعلام/الزركلي/ج7/ص217.
[2]- دور الطريقة القادرية في رفع مستوى اللغة العربية والتربية الإسلامية/كبرص12.
[3]- الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا/آدم عبد الله الألوري/ص. 34/ مصر، 1974م.

مناطق السودان الغربي، وظل مشتغلاً بالدعوة والوعظ والتدريس والقضاء والفُتْيا وبَذل النصح لأمرائها وأولي الأمر فيها. وطاف بعدد من عواصمها وأقاليمها فزار كانوا وكَشنَة في شمال نيجيريا، (أو جاو) (الواقعة في مالي حالياً) وتَكَدَّة من منطقة أهير (التابعة للنيجر حالياً)، وغيرها من البلاد الواقعة بين نهري السنغال والنيجر"1. ويقول بول مارتي:" ونحن نعلم حسبما هو متداول من معلومات أن الإسلام دخل إلى بلاد الجرما والبلاد المجاورة إلى تساوة (Tessaoua)، وزندر (Zinder) بواسطة الشريف الكبير محمد بن عبد الكريم المغيلي، أو بالأحرى بواسطة تلاميذه المباشرين في القرن الخامس عشر«، إلى أن يقول: »لقد هبط المغيلي مع نهر النيجر إلى ناحية ساي (Saye) وأرسل بعثات من قبله إلى بلاد جرما جندا (Djermagenda)، وربما إلى الشرق أيضا"2.

وقد استُقبلتْ وفادة المغيلي إلى هذه المناطق بحفاوة بالغة، وقربه أمراؤها وملوكها وجعلوا منه مستشارهم الخاص ومرجعهم الفقهي الأعلى، وكتب لهم رسائل ووصايا وفتاوى في أمور الحكم والدولة والسياسة الشرعية، منها: مجموعة في أمور الإمارة وسياسة الدولة التي ألفها لأمير كانوا محمد ابن يعقوب المعروف بَرمْفا، وهي التي طبعت بعنوان "تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين. وقد سلك فيها مسلك أسلافه من علماء المسلمين الذين ألفوا كتباً في نصح الملوك، وإرشاد السلاطين مثل أبي بكر الطرطوشي في "سراج الملوك"، والماوردي في الكتاب المنسوب إليه باسم: "نصيحة الملوك"، وكتابه المشهور "الأحكام السلطانية"، والغزالي في كتابه "التبر المسبوك في نصيحة الملوك"، وابن الأزرق الأندلسي في: "بدائع السلك في طبائع الملك"، والحميدي في "الذهب المسبوك في وعظ الملوك" وغيرها مما هو معروف؛ ثم كتب للأمير رَمْفَا محمد بن يعقوب لأمير كانو وصية أخرى في ما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام"3.

1- مجلة التاريخ العربي/ملامح من التأثير المغربيّ في الحركة الإصلاحية للشيخ المجدّد عثمان بن فُودي/عبد العلي االودغيري/العدد 4201/1هـ .

2- Paul Marty, L'Islam et les tribus dans la colonie du Niger, p. 342

3- ترجمها ريشار بلمر (R. Palmer) إلى الأنجليزية سنة 1914 م، ثم نشرها الألوري في كتابه "الإسلام في نيجيريا"، وضمنت أيضاً في كتاب "ضياء السياسات" لعبد الله بن فودي الذي نشره د. أحمد كاني سنة 1988م.

ثم مكث مدة عند السلطان محمد بن أبي بكر التوري المعروف بالحاج أسكيا أمير مملكة سنغاي، وألف له أجوبة عن أسئلة كثيرة وجهها إليه، وهي المجموعة التي عرفت باسم: "أسئلة أسكيا وأجوبة المغيلي"[1].

فكانت بمثابة الحجة الشرعية الدامغة التي استعملها أسكيا في توطيد دعائم ملكه ومواجهة خصومه.

وكان المغيلي بجانب ثقافته الدينية الواسعة وقيامه بأمور الوعظ والإرشاد، ومعرفته بأمور السياسة الشرعية صوفياً على الطريقة القادرية. وكثير من الباحثين يعتقدون أنه كان له دور كبير في نشر هذه الطريقة بالسودان الغربي"2. بل منهم من كان يعتقد أن المغيلي هو أول من نشر الطريقة بالسودان"[3].

ومهما يكن من أمر المغيلي، فإن المتفق عليه بين جميع الدارسين الذين تناولوا شخصية المغيلي من القدامى والمحدثين ومن العرب والغربيين، هو أن الرجل كان له تأثير قوي وملموس ظل صداه يتردد بعده قروناً طويلة. وهذا ما يلخصه الشيخ الأمين محمد عوض الله بقوله:" ونستطيع أن نؤكد من النصوص السابقة، أن الدور الذي قام به العالم الجليل المغيلي لا يدانيه أي دور قام به عالم مغربي في السودان الغربي. فقد ترك أثراً إسلامياً كبيراً، وقام بتصحيح مفاهيم كثيرة كانت مغلوطة في أذهان العامة والسلاطين"[4].

ويقول شيخو أحمد سعيد غلادنثي متحدثاً عن زيارة المغيلي لمدينته:"ولقد كان لهذه الزيارة التي قام بها المغيلي إلى كانو صدى كبير، ونتائج عظيمة تركت أثراً واضحاً لا في كانو فحسب، ولكن في ولايات الهوسا جميعاً، لأن انتشار الإسلام في كانو أدى إلى انتشاره في الولايات الأخرى من نيجريا. ومن ذلك الوقت

---

[1]– نشرها عبد القادر زبابدية سنة 1974 م بالجزائر وترجمت إلى الفرنسية والإنجليزية.

[2]– ينظر النصوص الخاصة بذلك في كتاب بول مارتي عن: كنتة الشرقيون، تعريب محمد محمود ولد ودادي، دمشق، 1985م.

[3]– ينظر: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو/آدم الألوري/ ص. 43.

[4]– العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغي/ الشيخ الأمين محمد عوض الله/جدة/ ص. 1970/192م.

نستطيع أن نقول إن ولاية كانو أصبحت ولاية إسلامية حقاً، وبدأت بعدئذ تلعب دوراً هائلاً في خدمة الثقافة الإسلامية في الولايات الأخرى"[1].

وحين حاول المرحوم الشيخ آدم الألوري أن يؤرخ لحركة الأدب واللغة العربيين في نيجيريا في كتابه الذي سماه: "مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية"، لم يجد محيداً عن الاعتراف بتأثير المغيلي في هذه الناحية أيضاً، ودوره في ترقية العلوم العربية والثقافة الإسلامية، مما جعله يقسم عصور الأدب العربي في نيجيريا منذ قيام هذا الأدب فيها إلى العصر الحاضر، إلى خمسة أدوار رتبها على النحو الآتي:

1 . العصر البرناوي (عصر ظهور الإسلام في نيجيريا، من القرن الخامس إلى السابع الهجري) .

2 . العصر الونغري (من القرن السابع إلى القرن التاسع) .

3 . عصر المغيلي (من القرن التاسع إلى القرن الحادي عشر الهجري) .

4 . العصر الفلاني (يبدأ بظهور ابن فودي وقيام دولته إلى سقوطها في بداية القرن الحالي).

5 . العصر الإنجليزي (في القرن العشرين) "[2].

ثم يجعل من نص بعض فتاوى المغيلي الواردة في أجوبته لأسئلة أسكيا، أنموذجا لأسلوب الكتابة العربية في هذا العصر الأدبي الذي سماه بالعصر المغيلي.

وأخيراً يختم الألوري في كتابه المشار إليه شهادته في حق المغيلي بالقول:" قد استفادت البلاد منه كثيراً، وآثاره كثيرة في ميادين عديدة واضحة ملموسة لكل صغير وكبير، في الحكم والسياسة والعلم والأدب... ولقد تعلم منه الكثيرون، والكثيرون من علماء هذه البلاد؛ واتصل بسلاطين كانو وكَشِنَة وأكذر وتَكَدَّ؛ ووضع

---

[1]– حركة اللغة العربية وآدابها بنيجيريا/الدكتور غلادنثي/ص. 42. ويذكر هذا المؤلف أن أحفاد المغيلي في كانو ما يزالون إلى اليوم يحضرون مجلس أمير كانو، ويكونون في حاشيته.

[2]– مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية، ط 2، 1992، /دون ذكر المكان/ص. 17 . 19.

لهم وصايا سياسية على القواعد الشرعية، وهي محفوظة في الدوائر الحكومية ومعمول بها في الأوساط الرسمية"[1].

وسيطول بنا الحديث لو أرسلنا لقلمنا العنان في تتبع الشهادات الكثيرة التي أدلى بها المؤرخون والدارسون من الأفارقة والعرب الغربيين في حق هذه الشخصية وتأثيرها البالغ الأهمية. وقد كتبت حوله رسائل وأطروحات وكتب ومقالات بمختلف اللغات. فلنكتف بإحالة القارئ إليها.

ولقد ظل تأثير المغيلي هذا الذي تحدثنا عنه محفوظاً في ذاكرة الأجيال من أبناء السودان الغربيّ عموماً ونيجيريا على الخصوص، وظلت أعماله وآثاره المكتوبة والروايات الشفهية المنقولة عنه يحفظها العلماء ويتداولها أهل الإصلاح والسياسة ورجال الدعوة جيلاً بعد آخر، إلى أن وصلت مرحلة قيام الحركة التي قادها عثمان بن فودي، فاستثمرتها أحسن استثمار، واعتمدت عليها أشد الاعتماد، حتى إننا لا نكاد نجد مؤلفاً من مؤلفات الشيخ عثمان أو غيره من منظري حركته والقائمين بدعوته والمؤرخين لها، يخلو من الإشارة للمغيلي والنقل عنه والرجوع إلى وصاياه وفتاواه ورسائله، والاحتجاج بأقواله وآرائه في تدعيم دعوتهم وإسناد الأفكار التي تضمنتها حركتهم الجهادية والإصلاحية والدعوية، ولا سيما أن هذه الحركة قد واجهت كثيراً من الخصوم لا من العوام فقط، ولكن من بعض العلماء والأمراء أيضاً"[2].

وقامت في وجهها حملات من التشكيك في العديد من القضايا الدينية والدنيوية. فكانت فتاوى المغيلي وكتاباته بما لها في نفوس الجميع من الإجلال والإكبار هي الحجة الدامغة من بين الحجج التي اتكأ عليها ابن فودي وأنصاره"[3].

---

[1]- المصدر السابق/ص18.

[2]- نذكر منها تلك المناظرات والمناقشات والمطارحات السياسية والدينية التي دارت بين ابن فودي ورجال دعوته، وبين الأمير محمد الأمين الكانمي، والتي أوردها محمد بلو في "إنفاق الميسور" وغيره.

[3]- لم يكن ابن فودي ورجال دعوته هم وحدهم الذين يستندون إلى كتابات المغيلي ووصاياه في إسناد آرائهم وتدعيم مذهبهم، بل كان كثير من رجال الدعوة والسياسة أيضاً يفعلون مثل ذلك. ومن الأمثلة عليه كتاب "تيسير الفتاح في الدب عن أهل الصلاح" الذي ألفه محمد أكنا السوقي (نسبة إلى كل السوق من بلاد الطوارق والواقعة حالياً ضمن بلاد مالي)، ثم الكُنْهاني في 121 صفحة كبيرة. فقد ألفه صاحبه في الرد على رجل عاب عليه وعلى قومه أنهم ساكنوا الكفار ولم يهاجروا، محتجّاً بنصوص للمغيلي من أجوبته لأسكيا ومن رسالته المسماة "مصباح الأرواح"، فكان المؤلف يتتبع عبارات المغيلي ويحللها ويشرحها ويرد على خصمه بما فهمه منها، والكتاب مخطوط بالنيجر.

وإذا كان المغيلي قد ألف كتباً عديدة في مسائل من العلوم مختلفة كالفقه والحديث والتفسير والتوحيد والوعظ والمنطق والبلاغة واللغة والأدب والسياسة الشرعية وأنظمة الحكم"[1]. فإن أربعة من هذه الآثار العلمية هي التي استأثرت أكثر من غيرها باهتمام منظري الدعوة الفُودية، وهي تلك الرسائل الثلاث التي ألفها خلال إقامته بالسودان الغربي استجابة لطلب سلطاني كانو وسنغاي، بالإضافة إلى رسالته الرابعة التي كان قد ألفها في نازلة يهود توات، وعرفت في بعض المصادر باسم: "تأليف فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار، وفي بعضها باسم: "مصباح الأرواح في أصول الفلاح، وهكذا، فإننا إذا عدنا مثلاً إلى كتاب: "سراج الإخوان في أهم ما يحتاج إليه في هذا الزمان"[2]. لعثمان بن فودي، فسنجد أنه قد قسمه إلى عشرة فصول قصيرة اعتمد فيها المؤلف اعتماداً كلياً على المغيلي، على أن تأثير المغيلي في الشيخ عثمان لا يمكن حصره في مجرد النقول الكثيرة التي نجدها تتردد في جل كتاباته، بل لقد تجاوز ذلك إلى الاقتداء بسيرته وطريقته في ردع البدع ومنهجه في الدعوة، وإلى العمل بآرائه والاقتداء بأفكاره واستعمالها في تدعيم مواقفه، وكثيرٌ من الفصول والرسائل التي كتبها الشيخ عثمان ما هو إلا تكرار أو شرح، أو تلخيص، أو تعليق، أو إعادة إنتاج لأفكار المغيلي، وكتاباته وترداد لمقولاته وآرائه .

إذا أضفنا إلى كل ما سبق قوله عن صوفية المغيلي وريادته في نشر الطريقة القادرية بالسودان جنوب الصحراء، اتصال سند الشيخ عثمان بسند المغيلي الذي سبق أن أوردناه، أدركنا القيمة العلمية والروحية للشيخ المغيلي وعرفنا ما كان عليه ابن فودي من اتباع لهذه الطريقة حتى أصبح له وردٌ خاص به، وله في ذلك كتابات منها رسالته عن "السلاسل القادرية"[3]. وقصائد في التوسل بالشيخ الجيلاني"[4]. وتوفي الإمام المغيلي سنة **909 هـ – 1503** م.

[1]– وصل عدد مؤلفاته حسب مقالة "دائرة المعارف الإسلامية" إلى 26 عنواناً، وتجاوزت الثلاثين عند بعض الباحثين.

[2]– مطبوع بطريقة التصوير في نيجيريا.

[3]– مطبوع بطريقة التصوير في نيجيريا.

[4]– منها القصيدة الرائية التي كتبها بالفلانية ثم عربها أخوه عبد الله، وضمنها كتابه "تزيين الورقات"، وختم كل بيت منها باسم عبد القادر، وقد سبق إيرادها كاملة في الباب الأول من هذه الأطروحة.

الأنموذج الثاني: الشيخ عثمان بن فوديو .

هو: عثمان بن محمد فودي"[1] بن عثمان بن صالح بن هارون بن أحمد بن ثنب بن ماسران بن أيوب بن أبي بكر بن موسى جكلو خرج أجداده من (فوتوتو) في جمهورية غينيا، ولد الشيخ في مرتَ وهي قرية من قرى النيجر سنة 1119هـ الموافق 1756م، ثم انتقلت أسرته إلى (طغل) فنشأ فيها "[2].

لايشك أحد في انتساب الشيخ عثمان بن فودي وأخوه عبد الله بل جميع أسرته للطريقة القادرية، فقد دلت أشعاره وإجازاته وبعض المصطلحات التي يستخدمها على انتمائه الصوفي القادري، وقد أورد ابنه محمد بللو ورده الذي أخذه عنه المريدون والسالكون، وأخذه هو: أي محمد بللو عن شيخه القاضي العدل محمد العافية"[3].

ومن ثم يستحسن بنا قبل مواصلة إسهامه الجهادي سرد بعض أشعاره التي تؤكد انتماءه الصوفي، فقد قال في بعض تلك الأشعار متوسلا ومتحدثا بنعمة الله عليه:

نحمد الله وقتنا وقت إحيا * ء السبيل لسيد المرسلــين

نحمد الله وقتنا وقت نصر * وقت خذلان جملة الكافرين

نحمد الله وقتنا وقت عز * وقت فرح لجملة المسلمين

نحمد الله حزبنا حزب عبد * القادر الغوث سيد العارفين"[4].

إن هذه الأبيات كافية في الرد على أولئك الذين يرون أن المجدد عثمان بن فوديو منتم للتيار الوهابي، بموجب موقفه الصارم من محاربة البدع وترسيخ السنة، يقول الشيخ إبراهيم صالح للردعلى مثل هذه المزاعم" إن هذا وأمثاله كله مما لم يقم على صحته شيء حتى الآن، ثم إن الشيخ عثمان لم يشر في جميع كتبه إلى الوهابية، ولا إلى آراء الوهابيين، وأما إنكاره للبدع والمحدثات فأغلب الظن أنه تأثر

---

[1] – كلمة "فودي" تعني الفقيه باللغة الفُلاَّنية، وقد ضبطها الشيخ عبد الله بن فودي (أخو عثمان) في فهرسته المسماة "إيداع النسوخ" فقال: "ولقبه فُودي (بفاء مضمومة ضمة إشمام، وبعد الواو دال مهملة مضمومة وبعدها ياء ممالة). وقد رأيت هذا الضبط موجوداً على عدد من عناوين كتب الشيخ عثمان على هذا النحو "فودي"

[2] –ينظر: إنفاق الميسور/محمد بللو/تح: بهيجة الشاذلي/ص58/معهد الدراسات الأفريقية/الرباط/1996م.

[3] – المصدر السابق/ص223,

[4] – نصيحة أهل الزمان/عثمان بن فوديو/ص7 وما بعدها/طبع على نفقة الحاج محمد طن أغى/ظامير يرو سكتو/نيجيريا.

فيه بمؤلفات المغيلي التلمساني، وبمؤلفات ابن الحاج الفاسي صاحب المدخل، وبمؤلفات الشيخ أحمد بن زروق وغيرهم من المالكية الذين ساروا لأقصى الغايات في الحض على السنة والتحذير من البدع. "[1].

ثم إن الأوراد التي كان يأخذها عنه المريدون ما هي إلا نسخة من أوراد الطريقة القادرية، مع إدخال عنصر التجديد في تلك الطريقة لكونه مجددا، فلم يكن يستعمل البندير الذي يستعمله أتباع القادرية، وقد قال ابنه محمد بللو تحت عنوان (ورد الشيخ) " وهذا ورده الذي يأخذه عنه المريدون والسالكون، قد أخذته عن شيخي القاضي العدل محمد العافية، ولقنني كما لقنه الشيخ المختار، وأجازه ثم أجازني هو فيه، وفي أحزاب الشيخ كلها، وما منعني من سردها ههنا إلا خوف التطويل، ولم تزل بركات هذا الشيخ ترد علينا والحمدلله"[2].

غير أنني عثرت على ذات الورد في كتيب مخطوط لـ" محمد بللو بن أبي بكر القوراوي السكتي بعنوان" ورد القادرية الفودوية العثمانية" وهو: الحمد لله رب العالمين عشرة، أستغفر الله العلي العظيم عشرة، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله سيدنا محمد وسلم عشرة، وقال بعد هذا" وهذا الورد وجده الشيخ عثمان مكتوبا في ضلعه الأيمن وأذن في نشره حين جذب إلى حضرة القدس حيث رأى النبيﷺ والصحابة والشيخ عبد القادر، وبشره بأن من تمسك به تكفل الله بكل ما أهمه في الدنيا والأخرة"[3].

إذا كان هذا هو ورد الشيخ عثمان بن فوديو فما هو يا ترى سنده الطرقي لهذه الطريقة؟

وإليك سند الشيخ عثمان بن فوديو المتصل إلى الشيخ المغيلي، والذي أورده في ختام كتابه (كتاب تعليم الإخوان بالأمور التي كفرنا بها ملوك السودان) فقال ما نصه" ونريد أيضاً أن نختم هذا الكتاب بذكر سندنا المتصل إليه . رضي الله تعالى عنه . الذي جاءنا من سيدي محمد المختار بن أبي بكر الكُنْتي الأموي، وهو سند

[1] – تاريخ الإسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم برنو/إبراهيم صالح الحسيني/ص112–113/مرجع سابق.؟

[2] إنفاق الميسور/محمد بللو/223/دد.ن/دس.ن.

[3] – فضائل القادرية– مجموع من كتب الشيخ عثمان ومحمد بللو/ جمعه محمد بلو بن أبي بكر القورادوي/ص5/د.د.ن.

ورد السلسلة القادرية، أجازني به الشيخ العالم نوح، وهو عن شيخه سيدي محمد المختار المذكور، وهو عن شيخه سيدي الشريف علي بن أحمد، وهو عن شيخه سيدي أبي النقاب السيد الأمير لُقِّب به لكونه يتلثَّم، وهو عن شيخه أخيه سيدي أحمد، وهو عن شيخه سيدي علي بن أحمد، وهو عن شيخه أبيه سيدي أحمد، وهو عن شيخه الرقاد، وهو عن شيخه أحمد الفيرم، وهو عن شيخه عمر بن سيدي أحمد البكاء، وهو عن شيخه سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي رضي الله تعالى عنه، وقدّر اتصالنا به الاتصال الحسن في البرزخ وفي الآخرة كما قدَّر اتصالنا به في الدنيا الاتصال المعنويّ الذي هو هذا السند"[1].

وإذا كان هذا هو سند الشيخ الطرقي فما هو سنده العلمي؟

أما سند الشيخ عثمان العلمي فنجده ضمن كتاب (إيداع النسوخ من أخذت عنه من الشيوخ) لأخيه عبد الله بن فوديو الذي سرد سند الشيخ العلمي على هذا النحو" وقرأ الشيخ القرآن من أبيه وأخذ العشرينيات ونحوها من شيخه عثمان المعروف ببدو الكبوي، وأخذ الإعراب وجميع علم النحو من الخلاصة وغيرها من شيخنا عبد الرحمن بن حمّدا، وقرأ المختصر على عمنا وخالنا عثمان المعروف ببدور ابن الأمين بن عثمان بن حمّ بن عال، وقد صاحبه الشيخ نحو سنتين وتطبع بطباعه في التقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...، ثم سار الشيخ عثمان لطلب العلم إلى شيخنا جبريل وصاحبه نحو سنة يتعلم منه حتى بلغ معه قرية أقدس فرجعه الشيخ جبريل إلى أبيه وسار هو إلى الحج لكون أبيه لم يأذن له في الحج"[2].

رغم هذه الصلة القوية بالطريقة القادرية وضلوعه في العلم لم ينتحل الشيخ أية دعوة خاصة على الطريقة الفاطمية أو المهدوية، بل استمر بالدعوة إلى المنابع الأصيلة للفكر الإسلامي بل إنه خاض مجموعة من النقاشات مع أنصاره خاصة يدعوهم فيها إلى عدم نسبة الصفة المهدية إليه وإلى حركته. فقد كانت حركته تعبيرا

[1]– الكتاب مخطوط مصور بالمركز الأفريقي بالجامعة الإسلامية بالنيجر.

[2] – إيداع النسوخ من أخذت عنه من الشيوخ/عبد الله بن فوديو/ص6/د.د.ن.

عن تطور الظروف المحلية التي استشعرت إمكانية النهوض والتطور نتيجة احتكاكها وتعرفها على الدعوة الإسلامية بصورتها الصحيحة، وبالتالي لم يعرف عنها الانتماء إلى أي من الاتجاهات التي كان يضج بها المجتمع الإسلامي .

ويجدر بنا أن نورد بعضا من مؤلفات الشيخ عثمان منها:

1. سراج الإخوان في أهم ما يحتاج إليه في هذا الزمان.
2. تنبيه الإخوان على أحوال أرض السودان.
3. مسائل مهمة يحتاج إلى معرفتها أهل السودان.
4. وثيقة الإخوان لتبين دليلات وجوب اتباع الكتاب والسنة والإجماع.
5. نجم الإخوان يهتدون به بإذن الله في أمور الزمان.
6. بيان وجوب الهجرة على العباد.
7. صيحة أهل الزمان.
8. مصباح الزمان.
9. حصن الأفهام من جيوش الأوهام.
10. كتاب تعليم الإخوان بالأمور التي كفرنا بها ملوك السودان.
11. إحياء السنة وإخماد البدعة.
12. حكم خروج النسوان .

ومما يستحق ذكره هنا أن الشيخ قام بتوزيع ألوية إلى بعض القواد لكي يذهبوا بها إلى مناطقهم المختلفة لدعوة جماعتهم إلى دين الله ومن بين هؤلاء القواد"

1 -الشيخ العالم إسحاق بعث إلى منطقة دورا.

2 -المجاهد الأمير يعقوب: إلى منطقة بوثي.

3 -مودبو العالم الزاهد المسمى آدم إلى منطقة أدماوا.

4 -العالم محمد: إلى منطقة نفي.

5 -العالم مويجو: إلى منطقة كبي.

6 -العالم التقي العارف أبو حامد: إلى منطقة زمفرا.

7 -الحاج عمر دلاجي: إلى منطقة كاتسينا.

8 -العالم محمد منغ إلى منطقة مِسَوْ.

9 -العالم محمد بوب يرو: إلى منطقة غومبي.

10 -العالم موسى: إلى منطقة زكزك.

11 -الشيخ سليمان: إلى منطقة كنو.

12 -الشيخ إبراهيم المعروف ب "زاكي: إلى منطقة كتاغم.

13 -مالم علي: إلى منطقة إلورن.

14 -محمد والي: جمعاري"[1].

راعى الشيخ في بعث هؤلاء القواد الكفاءة العلمية والقوة العقلية والبدنية لتحقيق مهمة التمكين للإسلام في تلك المناطق التي بعثوا إليها،

[1] – إنفاق الميسور/محمد بللو/ص209 وما بعدها/مرجع سابق..

ولاشك أنه نجح في هذا الاختيار أيما نجاح، حيث استطاع هؤلاء القادة من بسط نفوذهم لإرساء دعائم الإسلام، ولا زال أبناؤهم وأحفادهم من يتولى الزعامة الدينية التقليدية في تلك المناطق.

وفي عام 1812م اقتصر دور الشيخ على التأليف والوعظ والإرشاد بعد أن قسم الإمبراطورية إلى قسمين: قسم شرقي تحت إشراف ابنه محمد بللو، ووالآخر غربي تحت إشراف أخيه عبد الله بن فوديو،وكرس الشيخ الجزء الباقي من حياته في التأمل والدراستفي سيفاوا، sifawa حتى وافاه الأجل المحتوم في عام 1817م بعد أن أرسى دعائم دولة إسلامية استقرت فيها الخلافة، وحكم أبناؤه من بعده مدة قرن حتى سقوط الخلافة على أيدي البريطانيين في عام 1903م.[1].

الأنموذج الثالث: الشيخ عبد الله بن فوديو.

هو: عبد الله بن محمد بن عثمان بن صالح بن هارون بن محمد جب بن أحمد بن ثنب بن ماسران بن أيوب بن أبي بكر بن موسى جكلو. شقيق المجدد عثمان بن فوديو، كان الشيخ عبد الله بن فوديو من طلائع السادة القادرية الذين قدموا نماذج حية للعطاء العلمي في شمالي نيجيريا، صاحب الحصن الحصين في علم التصريف، ذلك الكتاب الذي نال مكانة شامخة من مجالس العلم في بلاد هوسا، وتظهر فيه ثروة الشيخ اللغوية والعلمية ومواهبه الشعرية، حيث مزج متن اللامية بشرحها الجامع للأمثال وبمواد مختار الصحاح والقاموس المحيط والمصباح المنير وغير ذلك في منظوم واحد من ألف واثنين وعشرين بيتا، وقد قال عنه محقق كتاب (ضوء المصلي) في مقدمة تحقيقه واصفا براعته في استهلالات متنوعة من كتبه القيمة، وكان قد استهل كتابه السابق الذكر بقول:"

الحمد لله الذي لا ينسى * ذكّر من شا ومن شا أنسى.

قال" في عجز البيت ما يسميه علماء البلاغة ببراعة الاستهلال، وهي أن يذكر المتكلم ما يشعر بمقصوده، وهو أسلوب من مميزات صاحب الكتاب رحمه

---

[1] – المسلمون والاستعمار الأوربي لأفر يقيا/د. عبد الله عبدالرزاق إبراهيم/ص37/سلسلة عالم المعرفة/الكويت/1990م.

الله في تأليفاته، ويمكن أن نستأنس ببعض كتبه التي سارت وفق هذا النسق، بما يأتي :

- ألفية الأصول: الحمد لله الذي قد أصلا * محمدا والخلق منه فصلا
- مصباح الراوي: الحمد لله الذي قد نورا * في شرعه بنور سيد الورى
- الحصن الرصين: الحمد لله الذي تعرفا * إلى عباده بما تصرفا
- فتح اللطيف في علمي العروض والقوافي:

أحمد من قد أنزل الكتابا * يرشدنا وسبب الأسباب

- كفاية العوام في البيوع: الحمد لله الذي أحلا * بيعا لنا يسبب الوصولا
- مفتاح التفسير: الحمد لله الذي قد أنـــــزلا * على محمد كتابا شملا
- مفتاح التحثيث في علم المنطق:

الحمد لله على البيان * بالمنطق المبين للمعانـــي.

- البحر المحيط: الحمد لله على تسهيل * فتح الأعادي المغني النبيل.

ولم يقتصر الشيخ عبد الله بن فوديو على هذا الأسلوب في النظم بل حتى في النثر، ففي مقدمته على كتاب ضياء الحكام ورد استهلاله بـ" الحمد لله المنفرد بالحكم والتدبير، المستبد بالقضاء والتقدير"[1].

ولنا أن ندرج كتبه ضمن موضوعاتها على النحو الآتي:

مؤلفاته في الفقه

لقد تناول الشيخ عبد الله في مؤلفاته في الفقه بالشرح والتفصيل جميع الأحكام الشرعية من حيث أحكام الطهارة، من وضوء وغسل وتيمم، والصلوات المفروضة، والنوافل، وقضاء الفوائت، وسجود السهو، والاعتكاف، وصلاة الجنائز؛ كما تحدث عن أحكام الزكاة النقدية والعينية، وصيام الفرض والنفل، والحج، والجهاد، كما تحدث عن أحكام النكاح والطلاق، وعن البيع، والشراء، والربا، والسرقة، والرشوة، والهدية، وعن الوصايا والمواريث، وعن النذور والحدود، وعن

[1] ينظر: مقدمة تحقيق كتاب ضوء المصلي/عبد الله بن فوديو/تح: أمين بخاري سكتو/ص8/ظامير يرو سكتو نيجيريا.

الردة عن الإسلام، كما تحدث عن وجوب شكر النعم والتأدب بالآداب الإسلامية، ومن أهم مؤلفاته في هذا الباب ما يأتي:

1. تعليم الراضي أسباب الاختصاص بموات الأراضي.
2. السبيل المعين على المرشد المعين على الضروري من علوم الدين.
3. ضوء المصلي.
4. ضياء الأنام في الحلال والحرام.
5. كفاية العوام في البيوع.
6. كفاية الطلاب في النكاح.
7. اللؤلؤ المصون في قواعد العيون.
8. النصيحة بتقريب ما يجب على كل مكلف.
9. ضياء الأمة في أدلة الأئمة.
10. كتاب الترغيب والترهيب.

مؤلفاته في الإدارة والسياسة الشرعية.

لقد تعددت مؤلفات الشيخ عبد الله في هذا الباب وتنوعت. وكان للخلاف الذي نشب بينه وبين أخيه الشيخ عثمان، وبينه وبين ابن أخيه محمد بل ابن الشيخ عثمان دور كبير في ذلك، حيث ألف حوالي عشرة كتب تتحدث جميعها عن إدارة الدولة الإسلامية والسياسية الشرعية المرعية في هذا الجانب. وتناولت مؤلفاته الإمامة وأحكامها، وآراء العلماء حولها، وولاية العهد، والإمارة، والوزارة وأنواعها، وكبار موظفي الدولة، والقضاة، وأهل الحسبة. كما تناولت الهجرة وأحكامها، والجهاد وفضله وإعداد العدة له، والرباط في سبيل الله، وكذلك التعليم، والعدل، وتنفيذ الأحكام الشرعية في الحدود، إلخ، ومن أهم مؤلفاته في هذا الباب ما يأتي:

1- سبيل السلامة في الإمامة .

2- ضياء الإمام في صلاح الأنام.

3- ضياء أهل الرشاد في أحكام الهجرة والجهاد.

4- ضياء الحكام فيما لهم وما عليهم من الأحكام.

5- ضياء الخلفاء ومن دونهم من الأقوياء والضعفاء.

6- ضياء السلطان وغيره من الإخوان.

7- ضياء السياسات وفتاوى النوازل مما هو من فروع الدين من المسائل.

8- ضياء المجاهدين حماة الدين الراشدين.

9- ضياء الولايات في الأمور الدنيوية والدينيات "[1].

مؤلفاته في الآداب الإسلامية والنصح والإرشاد.

لقد أولى الشيخ عبد الله جانب النصح والإرشاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومراعاة الآداب الإسلامية في السلوك، وتأدية العبادات الشرعية اهتماماً خاصاً. فتعددت مؤلفاته في هذه الجوانب وتنوعت، وشملت جميع جوانب حياة الفرد والجماعة. وتحدث في هذه المؤلفات عن آداب العبادات مثل: العلم، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج،وتلاوة القرآن الكريم، والذكر، والدعاء؛ وآداب العادات مثل: الأكل، والشرب، وإجابة الدعوة، والنكاح، والعشرة بين الزوجين، وصحبة الإخوان، ومتى تكون العزلة عن الناس، وآداب الزائر والمزار. كما تحدث فيها عن الزهد، والتواضع، والحث على فعل الخيرات مثل نوافل العبادات كصيام يوم عرفة، وقيام رمضان، وشكر النعمة، وكذلك كيفية معاشرة الناس ومعاملتهم ومخالطتهم، ومراعاة أوامر الله ونواهيه، وحقوق المسلم على المسلم، والجار على جاره، والصديق، والوالدين، والزوجين، والتحذير عن الغفلة عن الصلاة جماعة، وعدم الخشوع فيها،

والإخلال بأركانها وشروطها وواجباتها، وحث على طلب العلم وتعليم الآباء لأولادهم وأزواجهم وعبيدهم وإمائهم، والمبادرة إلى التوبة، ورد المظالم، واجتناب المحارم، ومجاهدة النفس، وحفظ الجوارح، والتفكير في الموت وما بعده، والدعاء، والذكر. كما تحدث عن الموت وأهوال يوم القيامة ونفخ الصور والمحشر والشفاعة والحساب والحوض والصراط والميزان والجنة والنار. كما تحدث عن النصيحة وبين

[1]- مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا/بشير عثمان أحمد/جامعة أحمدو بيللو/زاريا، نيجيريا/ص. 38.

أنها لله ولكتابه ولرسوله ولعامة الناس وخاصتهم، وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك.

ومن أهم مؤلفاته في هذا الباب ما يأتي:

1- آداب العبادات والعادات"[1].

2- آداب المعاشرة لطلب النجاة في الآخرة مما ذكره الغزالي في الإحياء.

3- إيضاح زاد المعاد بمراقبة الأوقات بالأوراد.

4- التبيان لحقوق الإخوان.

5- تعليم الأنام بتعظيم الله نبينا عليه الصلاة والسلام.

6- تهذيب الإنسان من خصال الشيطان.

7- جودة السعادة.

8- سبيل أهل الصلاح إلى الفلاح.

9- سبيل السنة الموصل إلى الجنة وجوار الله ذي المنة.

10- سبيل النجاة.

11- شفاء الناس من داء الغفلة والوسواس.

12- شكر الإحسان على منن المنان.

13- ضياء الاحتساب.

14- طريق الصالحين.

15- علامات المتبعين لسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم "[2].

16- فضائل الجهاد.

17- مصالح الإنسان المتعلقة بالأديان والأبدان.

18- كتاب المواعظ.

19- النصائح في أهم المصالح وهو الدين"[3].

20- النيات في الأعمال الدنيوية والدينيات"[4].

---

[1]- المرجع السابق، ص. 45.

[2]- مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا/بشير عثمان أحمد/جامعة أحمدو بيللو/زاريا، نيجيريا/ص 63.

[3] المرجع نفسه، ص. 66.

[4] المرجع نفسه، ص. 67.

21- ورد الأذكار والدعوات مما يقرأ في الصباح وسائر الأوقات"[1].

مؤلفات الشيخ عبد الله بن فوديو في التصوف.

من أهم مؤلفات الشيخ عبد الله في التصوف ما يأتي:

1. مِنَنُ المنان لمن أراد شعب الإيمان.
2. مطية الزاد إلى المعاد.
3. ضياء القواعد ونشر الفوائد لأهل المقاصد.
4. لباب المدخل في آداب أهل الدين والفضل.
5. قواعد الصلاح مع فوائد الفلاح.
6. تقريب في علم أهل الذوق.
7. بيان الأركان والشروط للطريقة الصوفية وتلقين الأسماء السبعة على طريق السادة الخلوتية.

مؤلفاته في اللغة العربية وآدابها.

1- البحر المحيط. وهو كتاب منظوم في علم النحو، بلغت أبياته أكثر من أربعة آلاف بيت.

2- الحصن الرصين. وهو كتاب منظوم في الصرف يحتوي على ألف بيت.

3- تلخيص الحصن الرصين. وهو كتاب منظوم لخص فيه كتابه السابق "الحصن الرصين.

4- لمع البرق. وهو كتاب مختصر منظوم في علم النحو.

5- تزيين الورقات بجمع بعض مالي من الأبيات. وهو كتاب جمع فيه الشيخ عبد الله بين فني النثر والنظم. وقد أورد فيه قرابة عشرين قصيدة قالها في مناسبات مختلفة، وشملت فن المدح، والرثاء، ووصف المعارك، والنصائح، والاستعطاف،

[1]- المرجع نفسه، ص. 71.

والتهنئة، والافتخار. وهو بالإضافة إلى ذلك يعد مصدراً هاماً لدراسة تاريخ حركة الجهاد التي قادها الشيخ عثمان بن فودي.

6- دالية الشيخ عبد الله في مدح النبيّ ﷺ، المسماة روض العاشق في مدح سيد العباد.

7- فتح اللطيف الوافي في علمي العروض والقوافي. وقد نظم فيه المؤلف علمي العروض والقوافي في حوالي ثلاثين ومئتي بيت .

8- النفحات البشرية شرح القصائد العشرية،وهو كتاب شرح فيه المؤلف القصائد العشرية للأديب أبي زيد عبد الرحمن الفازازي.

مؤلفاته في التاريخ والتراجم .

ومن أهم مؤلفاته في هذا الباب ما يأتي:

1- أخلاق المصطفى.

2- ضياء أولي الأمر والمجاهدين في سيرة النبي والخلفاء الراشدين.

3- ضياء المقتدين للخلفاء الراشدين.

4- تاريخ العلماء والصالحين .

5- مسألة أصل الفولانيين .

6- كتاب النسب.

7- موصوفة السودان.

8- إيداع النسوخ من أخذت عنه من الشيوخ.

مؤلفاته في الفلك والمنطق.

ومن أهم مؤلفات الشيخ عبد الله في هذا الباب:

1- تعريب ما أعجم الشيخ عثمان.

2- درع الكيئة في هيجاء علم الهيئة.

3- فتح البصير في علم التبصير.

4- مفتاح التحقق في غالب ما يحتاج إليه في المنطق.

إن هذا العطاء الثري في مستوى العناوين العلمية التي حفلت بها هذه المؤلفات في الموضوعات العلمية المختلفة، لدليل شاهد على المستوى العلمي الرفيع الذي بلغه الرعيل الأول من السادة القادرية،"[1].

وعلى نحو ما ذُكر سابقا في تأثر الشيخ عثمان بن فوديو بالمغيلي، في مؤلفاته فإن الشيخ عبد الله كذلك قد تأثر بالمغيلي وبابن الحاج صاحب المدخل لدرجة يمكن أن يقال فيه ما قد قيل في سابقه الشيخ عثمان بن فوديو وه: أنه لو حذف من بعض مؤلفاته ما نقله من ابن الحاج لما بقي من ذلك الكتاب شيء يذكر.

ولتقديم أمثلة لذلك يجدر أن أبدأ بالمغيلي لشدة تأثر عبد الله بن فوديو به، فقد قال أحد من كتب عنه" أما عبد الله بن فوديو الذي يعتبر بحق أكبر منظر ومؤرخ للدعوة الفودية، وأكبر عالم إسلامي عرفته بلاد نيجيريا وبلاد السودان الغربي، في القرن الثالث عشر الهجري، فضلاً عن تضلعه الكبير من اللغة العربية وعلومها وآدابها حتى لقبه بعضهم بـ »عربي الهوسا«، فلم يكن أقل تأثراً من أخيه عثمان بالإمام المغيلي، وكتاباته وآرائه؛ ولم يكن أقل منه اهتماماً بتراثه وحفظاً لآثاره. وإذ لا يمكن في مثل هذه العجالة تتبع سائر النقول الواردة في مؤلفات عبد الله بن فودي، فلا أقل من ذكر ثلاثة أمثلة للاستشهاد على ما نقول"[2]:

1- أما كتابه المسمى "ضياء السلطان وغيره من الإخوان"[3] فما سوى مجموع يتضمن أربع رسائل: اثنتان منهما للمغيلي، وهما:

. رسالته في أمور السلطنة.

. أجوبة المغيلي لأسئلة أسكيا.

واثنتان لأخيه عثمان، هما:

- سراج الإخوان في أهم ما يحتاج إليه في هذا الزمان"؛

---

[1]- دراسات في شعر الجهاد لدى عبدالله بن فوديو النيجيري/ص169 .

[2]- مجلة التاريخ العربي/ملامح من التأثير المغربيّ في الحركة الإصلاحية للشيخ المجدّد عثمان بن فُودي/عبد العلي االودغيري/العدد 4201/1/مرجع سابق.

[3]- مطبوع في نيجيريا بطريقة التصوير دون تاريخ.

. "مصباح أهل الزمان" وقد صدره بمقدمة قصيرة قال فيها: "جمعت فيه حاصل ما في أربعة كتب: كتابين لمفتي الزمان محمد بن عبد الكريم بن محمد التلمساني المغيلي، وكتابين لأمير المومنين شيخنا عثمان لنستضيء بما قالا في أمور الزمان، مع تفسير بعض المجملات من كلامهما وتنبيه على ما يخفى على الجهال من فحوى عبارتهما بحسب ما فهمته .

وأما كتابه "ضياء الحكام فيما لهم وعليهم من الأحكام"[1]. فقد خصص فصلاً منه لوصية المغيلي التي كتبها لأمير كانو مع شيء من الاختصار والتلخيص، وختم بالقول:" واعلم أن جميع ما ذكرته في هذا الفصل، فهو ملخص من كتاب محمد بن عبد الكريم التلمساني"[2].

وفي كتاب ثالث له بعنوان "ضياء السياسات وفتاوى النوازل"[3]. تجد نقولات عن المغيلي متفرقة هنا وهنالك، ويخصص مرة أخرى فصلاً منه لهذه الوصية نفسها التي كتبها محمد بن عبد الكريم المغيلي إلى أمير كانو، ويقدم لها بقوله:" فإذا فهمت ما قدمنا لم يشكل عليك رسالة المغيلي إلى سلطان كانو، ثم أتى على نص الرسالة"[4].

هذه أمثلة اقتصرنا عليها من نقول عبد الله بن فودي من المغيلي. وما على المستزيد إلا أن يرجع إلى سائر كتبه الأخرى، وهي بالعشرات ما بين مخطوط ومطبوع.

وبعد هذه الإطلالة السريعة على بعض مؤلفات الشيخ عبد الله بن فوديو وما فيها من قيم فنية وتنوع علمي، وما فيها من تأثير ببعض العلماء الذين دخلوا المنطقة، علينا أن نسرد مراكز الإشعاع العلمي التي أسسها السادة القادرية، لتخريج الكوادر الموثوقة لحمل الدعوة الإسلامية، وذلك وفق الآتي:

---

[1]– وهو مطبوع في دار العربية، بيروت دون تاريخ.

[2]– ضياء الحكام فيما لهم وعليهم من الأحكام/عبد الله بن فوديو/ص. 18/دار العربية/بيروت/د.س.ن.

[3]– حققه وقدم له ونشره د. أحمد كاني، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط 1، سنة 1988م.

4– يراجع: ضياء السياسات وفتاوى النوازل/عبد الله بن فويو/تح: أحمد كاني/ ص. 81/الزهراء للإعلام العربي/القاهرة/1988م. ،

مراكز الإشعاع العلمي للقادرية.

1- معهد الشيخ عثمان كان أكبر المعاهد الدينية الذي تفرعت منه عدة فروع لا في ولاية سكتو وحدها، بل في جميع أنحاء الامبراطورية، ولما توفي الشيخ عثمان قام ابنه محمد بللو خلفا له على هذا المعهد، وإن كانت الأمور السياسة قد أخذت معظم وقته، ولم تمكنه من القيام بمهمة التدريس كثيرا، وبوفاته عام 1837م ابتدأ نشاط المعهد يتضاءل، وسرعان ما نشط على يد ابنه علي الكبير"[1].

2- معهد الأستاذ الشيخ مصطفى صاحب الشيخ عثمان وكاتبه ومعدن أسراره، وقد كان تقيا وأستاذا متقنا وكعبة أمه طلاب العلم من جميع نواحي الامبراطورية وقد حمل الشعلة بعد وفاته ابنه الحسن الذي فاق أقرانه في العلمم والصلاح، وأّمه الطلاب كما أموا والده"[2].

3- معهد الشيخ إسحاق: وهو عالم متفنن وتولى التدريس بالمعهد ابنه عثمان الملقب بالشيخ، وهو كوالده في العلم والشهرة..

4- معهد الإمام مودي: كان صاحب هذا المعهد تلميذا للشيخ عبد الله بن فوديو، وتبحر في العلوم وأم معهده طلاب العلم خصوصا بعد وفاة أستاذه الشيخ عبد الله بن فوديو، وخلفه في التدريس بعد وفاته ابنه أحمد الذي كان عالما أيضا..

5- معهد محمد البخاري، وهو من طلبة الشيخ عبد الله بن فوديو المتفوقين، ولقد امتلأ هذا المعهد بالطلبة بعد وفاة الشيخ محمد البخاري، وخلفه في التدريس أبناؤه وأحفاده .

هذه بعض من معاهد سكتو و(غوندو) التي أنشئت في القرن التاسع عشر الميلادي، وقد أسست أمثال تلك المعاهد في مدن أخرى تابعة للامبراطوية العثمانية في نفس الوقت الذي تأسست فيه معاهد سكتو وغوندو، وأدت تلك المعاهد نفس الدور الذي لعبته تلك المعاهد التي سبق ذكرها، من أمثال كانو وكاتسينا وزاريا وغيرها"[3].

---

[1]- الثقافة الإسلامية في نيجيريا/علي أبوبكر/ص169 وما بعدها.

[2]- المصدر نفسه/ص216.

[3]- الشعر الصوفي في نيجيريا/كبر/ص36 وما بعدها.

وليس القصد من هذا السرد تتبع جميع الأعمال العلمية التي قام بها أتباع الطريقة القادرية وإنما القصد التأكيد على العطاء العلمي الوافر الذي قدموه في هذه البلاد في مجال تعليم الناس وتربيتهم تربية إسلامية بكل دلالاتها وأبعادها، وكان خريجوا هذه المعاهد قد تجلت لهم أعمال علمية كثيرة أثرت العلم والمعرفة في ربوع هذه البلاد .

ثانيا:- الإسهام المعاصر للسادة القادرية في الأداء العلمي .

تنطلق مسيرة الإسهام العلمي المعاصر للقادرية من النصف الأخير من القرن العشرين؛ لأن الذين تطرقنا بالحديث عنهم سابقا إنما كانوا من أعلام القرن التاسع عشر، ولأن الطريقة القادرية إنما تطورت ما بين القرنين (1825-1996م) تطورا ملموسا بظهور شخصيات بارزة نشطت في نشر الطريقة القادرية وتجديد آثارها"[1].

يذكرمن بين تلك الشخصيات:

1- الشيخ سعد بن أحمد البليلي الغدامسي، وهو عربي وفد إلى مدينة كانو من ليبيا في عهد أمير كانو علي (1894- 1903م) وأسس زاوية قادرية في حارة (الفندكي) حيث يجتمع فيها القادريون العرب وغيرهم للذكر، وقدم في حلقة ذكره ضرب الدفوف (البندير) وهو ما يسمى في عرف الصوفيين بالسماعة، وكان القادريون النيجيريون قبله لا يستعملون هذه الآلة في حلق ذكرهم، وقد عين الشيخ سعد بعضا من علماء كانو مقدمين للطريقة القادرية، أمثال الشيخ آدم العطار نمعج الفلكي وغيره ففتحت زوايا قادرية في مدينة كانو وغيرها على طراز زاويته"[2].

2- ومن بين تلك الشخصيات النشطة يرد اسم الشيخ محمد الناصر كبر الذي انتهت إليه الرئاسة القادرية في نيجيريا، ويعتبر بحق مجدد القادرية ومطورها في

[1]- المصدر السابق/ص92.

[2]- المصدر نفسه/ص93.

نيجيريا، وقد لعب دورا فعالا في دفع عجلتها إلى الأمام، ونظمها بتنظيمات شعائرية جديدة جعلت الطريقة مقبولة لدى جمهور المسلمين في نيجيريا"[1].

وهو: محمد الناصر بن الشيخ عمر الملقب بـ"مالم كبر" وهو ابن المختار بن الخليفة بن صالح بن علي بن داود بن (كبر فرم علو) أخو الإمام أسكيا محمد توري الأمير العادل المعروف وأمير المؤمنين في بلاد التكرور وهو صنهاجي حميري ينتهي هذا النسب إلى نبي الله هود عليه السلام، وهو حسني من قبل والدته وجابري من جهة جده كبرا"[2].

مؤلفاته:

له عدة مؤلفات نذكر منها الآتي:

1 - تفسير القرآن الكريم إلى لغة هوسا.
2 - البشرى الكبرى في شرح نظم الكبرى.
3 - فتح الجبار للدخول إلى الملك الواحد القهار.
4 - ألفية السيرة.
5 - العينان النضاختان في تاريخ نيجيريا وعقبتين الفاتحين.
6 - ديوان سبحات الأنوار من سحبات الأسرار.
7 - النفحات الناصرية في الطريقة القادرية.

---

[1]- JOHN PODEN: Religion and political culture in kano: London 1973,pg 158.

[2]- المرآة الصافية في بيان حقيقة التصوف وبعض رجاله ذوي المقامات العالية/قريب الله محمد الناصر كبر/ص153/مكتبة القادرية كانو/د.س.ن.

العمل التجديدي للشيخ محمد الناصر كبر في إطار القادرية.

لقد تحدث الكتاب والباحثون عن تجديده للطريقة القادرية؛ ومنهم من أفرد بحثا جامعيا بعنوان: إسهام الشيخ محمد الناصر لتقدم الطريقة القادرية في نيجيريا، وذلك لإسهامه الجاد في بعث الطريقة القادرية في مجالات شتى منها: مؤلفاته العديدة فيها نظما ونثرا، قاربت المئة ما بين العربية والهوساوية، ولا غرو في ذلك لأنه آلى على نفسه لينشرن أعلامها وليجلون كأسها لمن رامها، وقد قال في نظمه لمفتاح السداد للشيخ محمد بللو ما يدل على استعداده لخدمة هذه الطريقة ومؤسسها"

وبعد لما كان مفتاح السداد * أنفع ما ألف في هذه البلاد
في شأن سلطان أولي الديوان* مولاي عبد القادر الجيلان
للّوزذعي الهيكل الصمداني* بكّ الهمام العارف الرباني
حاولت أن أنظم غير أني* لم أك في النظم جزيل الفن
وما علي عتبة لأني * شغلت بالبندير والتغني
لكنني لي سادة من عزهم * أقدامهم فوق الجباه كلهم
إن لم أكن منهم فلي في حبهم *عز وجاه وجيه عزهم
فبهمُ أرجو كمال المدد * من ملك بر رؤوف صمد"[1].

ويُعزا نجاح الشيخ الناصر كبرا في نشر الطريقة القادرية ونشرها إلى أمور أبرزها:

1 – ثقافته الواسعة التي اكتسبها في وطنه وغيرها، فما بدأ دعوته إلا بعد أن وثق بنفسه وهيأها بكل سلاح ثقافي، وأحاط بكل العلوم التي تتعلق بدعوته وصار مستعدا للدفاع عن دعوته بلسان العلم.

2 – طبعه الشخصي: المتمثل في أخلاقه الفاضلة التي استطاع بها أن يلفت أنظار الناس إليه، وأن يستحوذ على حبهم وإجلالهم، وكل من خالطه يفهم ذلك بديهة.

[1]– سلالة الفتاح من منح الفتاح/محمد الناصر كبر/ص3/د.د.ن.

3 – رحلاته وأسفاره الكثيرة في بلاد العالم الإسلامي، وكان لهذه الرحلات أثر كبير في تكوين دعوته، فقد نقل من تلك البلاد التي زارها بعض وجوه النشاطات الدينية التي لم تكن معروفة لدى النيجيريين، فجذب بها عقولهم، إذ يذكر "جون فودن" أن رحلته إلى بغداد سنة 1953م كانت نقطة تحول في دعوته، إذ أنها كونت له صلة مباشرة مع المركز مع المركز الرئيس العالمي للقادرية في بغداد، واستطاع أن يلم إلماما واسعا بالطريقة القادرية، ثم قدمها من بعدُ للقادريين النيجيريين"[1].

4 – ومنها إنشاء بعض النشاط الصوفي غير المسبوق مثل: إقامة مولد القادرية للشيخ عبد القادر الجيلاني، والاحتفال به سنويا منذ 1373هـ، حيث يجتمع القادريون النيجيريون وغيرهم، ويستغرق ثلاثة أيام، ويخرج الشيخ الناصر كبر في موكب قادري يوم الثاني عشر من ربيع الثاني ومعه آلاف مؤلفة من القادريين حاملين الأعلام المرفوعة وضاربين البنادير المترنمة رافعين أصواتهم بالأذكار المتنوعة والأناشيد المختلفة، ويسير الموكب ببطء لا يكاد السائر فيه يقدم قدما من شدة الازدحام، إلى أن يصل الموكب إلى مزارات القادرية الكائنة في طريق مدينة كاتسينا حيث دفن جده الأعلى الشيخ مالم كبر"[2].

وقد عاصر جده هذا الشيخ عبد الله بن فوديو، وقد أدرجه ضمن الكمل من أولياء الله الذين يصنفهم الصوفية عادة بأنهم يختصون بشيء من التصرف في ملكوت الله، وتجد ذلك في كتابه سلالة المفتاح التي نظم بها كتاب مفتاح السداد للشيخ محمد بللو، يقول بعد سرد منظوم.

رجال هيبة غدت روحية ورجل الختم أخو الختمية
ملامتيون أولـــو الخفاء محدثون غيـــــب الأنبياء
رجال ماء منهم جدي عمر العارف الحبر الشهير بكبر
معاصر المجدد المصاحب أخاه عبد الله منه الشارب
مكث في المحيط يعبد الإله في غمرات الماء يعمر المياه"[3].

[1]– الشعر الصوفي/كبر/ص95.

[2]–المصدر نفسه/ص95.

[3]– سلالة المفتاح من منح الفتاح/الناصر كبر/ص45/مصدر سابق.

5 – ومن الأمور التي أسهمت في نجاح الشيخ ناصر كبر في تجديد الطريقة القادرية ونشرها في ربوع نيجيريا كثرة مؤلفاته حول الطريقة – نظما ونثرا- وخصوصا قصائده الكثيرة في لغة هوسا التي تحدث فيها عن فضائل القادرية ودافع عنها، وقد كان ينشد هذه القصائد في حلقات الذكر وفي المدارس الإسلامية.

6 – ويأتي تأييد الله تعالى له بطائفة من العلماء والأمراء ورجال الأعمال في ختام الأمور التي نشر الطريقة على نحو واسع، يذكر من بين أولئك العلماء: الشيخ يوسف عبد الله مكوراري، والشيخ محمد البشير محمد كبرا رحمه الله (شيخ الحلقة) فلقد كان تحت قيادة الأول آلاف المريدين القادريين في مدينة كانو وغيرها، ولا يوجد اليوم فيما نعرف معهد تقليدي يتزاحم عليه طلاب العلم في المدينة مثل ذلك المعهد، وأما الثاني رحمه الله فقد كان ركن الشيخ الأول في كل نشاطاته العلمية والقادرية"[1].

ومن أولئك العلماء يرد اسم الشيخ (أندا صلاتي) رحمه الله في مدينة إلوري، وكان متحمسا للطريقة القادرية، ومنذ أن تعرف على الشيخ الناصر كبر خلال زيارته لكانو، أصبح مساعدا ومؤيدا له في نشر الطريقة، وعلى وجه الخصوص في جميع ولايات غربي نيجيريا، وقد أسس في مدينة إلورن أول زاوية قادرية يجتمع الناس فيها للذكر وضرب الدفوف أثناءه، وكان ذلك عام 1936م"[2].

ثم تابع هذا الشيخ تأسيس زوايا أخرى في مدينة إلورن وغيرها من المدن المجاورة من أمثال: إبادان، ولاغوس، وأبيوكوتا، وغيرها، ولقد طاف أكثر بلاد يوروبا ونجح في نشر الطريقة القادرية وتأسيس زواياها، وتوفي رحمه الله تعالى سنة 1966م، ثم قام بعده خلفاؤه بمتابعة ما أسسه من الزوايا والمساجد والمدارس القادرية"[3]. .

ومنهم الشيخ عبد العزيز ألمبو (olombo) كان من خلفاء (أندا صلاتي) في بلاد يوروبا، ومن مريدي الشيخ الناصر كبر المخلصين، فقد قام على قدم

[1]– الشعر الصوفي في نيجيريا/كبرا/ص96.

[2]–ينظر: A.F Ahmad the impact of qadiriyya in Nigeria, pg. 218

ص97 – الشعر الصوفي في نيجيريا/كبر/ص97.

وساق في نشر الطريقة القادرية في بلاده، وأنشأ المساجد والمدارس القادرية، ويعتبر أنشط المقدمين القادريين في بلاد يوروبا بعد (أندا صلاتي)، وكان يرسل أولاده إلى الشيخ الناصر في كانو ليتعلموا أمور دينهم ويتثقفوا بالثقافة العرربية والإسلامية، ومنهم من قضى أكثر من ثلاثين سنة عند الشيخ الناصر، وتوفي الشيخ عبد العزيز سنة 1995م"[1].

وممن أيدوا الشيخ الناصر من الأمراء أمير كانو عبد الله بايرو وابنه أمير كانو محمد السنوسي رحمهما الله، وأمير المؤمنين في صكتو أبوبكر الثالث رحمه الله، ومن رجال الأعمال يرد اسم الحاج سنوسي طناتاتا في طليعة من أيد الشيخ الناصر.

هذه العوامل مجتمعة أيد الله بها الشيخ الناصر لنشر الطريقة وتجديدها حتى غدا رائدها في نيجيريا وأفريقيا، وصار عمله جديرا بالاعتبار حيث صارت مدينة كانو مركزا للقادرية.

أما إسهامه في التعليم النظامي الحديث" فيتبدى من خلال تأسيسه المعهد الديني الكائن في حارة غوالي بكانو، وذلك لما زار السودان فأعجبه ذلك النظام، واتخذ قراره بعد العودة أن يؤسس معهدا مماثلا رغم ما لقيه من إنكار من بعض علماء البلاد لما يرونه من مخالفة لمنهجهم التقليدي المتبع في التعليم، لكنه واصل عمله حرصا منه على مواكبة خريجي المعاهد الحديثة العالية، وبعدها كلية تراث الإسلام، وانتقل إلى جوار ربه متطلعا لإنشاء جامعة إسلامية بحتة، وذلك في شهر يولي 1996"[2].

ورد الشيخ محمد الناصر كبرا.

ولنا قبل سرد ورد الشيخ كبر أن نذكر سنده الواصل إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، وقد أورد سنده في كتابه الموسوم (النفحات الناصرية في الطريقة القاددرية)حيث قال" وأما سلاسلي وشجراتي إلى صلب سيدي الشيخ عبد القادر

[1]– المصدر نفسه.

[2]– دور الطريقة القادرية في رفع مستوى الثقافة والتربية الإسلامية في غربي أفريقيا/قربي الله الناصر كبر/ ص38/مرجع سابق.

قدس الله سره فكثيرة جدا، فإني أخذت هذه الطريقة عن مشايخ كثيرين منهم الشيخ سعد بن أحمد الغدامسي الكنوي القادري والشيخ آدم بن محمد الفلكي الكنوي والشيخ أبوبكر غدود ماسو الكنوي والشيخ الرباني أبو الحسن السمان حفيد العارف بالله السمان والعارف بالله سيدي الفاتح بن الشيخ قريب الله الخليفة في الطريقة السمانية في مدينة الرسول ﷺ "[1].

وفي سياق تلك السلاسل ترد سلسلة حفيد الشيخ عبد القادر الجيلاني التي بها يعلو سنده الذي يذكره على النحو الآتي:

ومنهم السيد إبراهيم سيف الدين الجيلاني نسبا وحسبا ومشربا أخذت منه هذه الطريقة أيام زيارتنا لجده الغوث الأعظم بمدينة بغداد وها أنا أسوق شجرة نسبه الديني والطيني للتبرك"[2].

وكان قد أورد سلسلة هذا الشيخ كاملة حتى انتهى بها إلى الحسن المثنى بن علي بن أبي طالب، غير أننا نأخذ ما ينسجم مع طبيعة البحث خوف الإطالة، وهو سند الشيخ ناصر المتصل بهذا الحفيد، حيث قال: فإن الرجل الحاج ناصر الدين بن محمد النيجيري قد جاء إلينا والتمس منا تلقين كلمة التوحيد فلقنته كما تلقنتها بالسند عن أبي وشيخي السيد الشيخ مصطفى القادري عن جده وشيخه السيد علي القادري عن أبيه وشيخه وشيخه السيد الشيخ أبي بكر عن أبيه وشيخه السيد الشيخ إسماعيل عن أبيه وشيخه السيد الشيخ عبد الوهاب عن أبيه وشيخه السيد الشيخ نور الدين عن أبيه وشيخه السيد الشيخ محمد درويش عن أبيه وشيخه السيد الشيخ حسام الدين عن أبيه وشيخه السيد الشيخ أبي بكر عن أبيه وشيخه السيد الشيخ يحيى عن أبيه وشيخه السيد الشيخ حسام الدين عن أبيه وشيخه السيد الشيخ نورالدين عن أبيه وشيخه السيد الشيخ ولي الدين عن أبيه وشيخه السيد الشيخ زين الدين عن أبيه وشيخه السيد الشيخ شرف الدين عن أبيه وشيخه السيد الشيخ شمس الدين عن أبيه وشيخه السيد الشيخ محمد الهتاك عن أبيه وشيخه السيد الشيخ عبد العزيز عن أبيه وشيخه السيد الشيخ قطب العارفين ومرشد السالكين الشيخ عبد

---

[1]- النفحات الناصرية في الطريقة القادرية/محمد الناصر كبر/ص7/مكتبة دار القادرية/كبر كانو/1415هـ 1994م.

[2]- المصدر نفسه/ص6.

القادر الجيلاني قدس الله سره..."[1]. ويواصل لينسب السند حتى الإمام علي كرم الله وجهه.

ثالثا: معطيات القادرية على المستوى الأدبي.

يمثل الأدب الصوفي لونا من ألوان الأدب الرفيع يحمل في طياته أسمى معاني السمو الروحي وخصائصه ، والشعر الصوفي نوع جديد قديم من أنواع الأدب الفني الذي عرفته المجتمعات الإسلامية في العصور المختلفة، وتعد البلاد الأفريقية منطقة خصبة للأدب الصوفي ومتنفّسا له، لقي فيها رواجا كبيرا غير مسبوق، لأن التصوف في القارة الأفريقية جزء أساسي من البنية الاجتماعية بل إنه أصبح محورا لحركاتها الإصلاحية ودعامة للجهاد الإسلامي فيها، وعلى ضوء هذه الحقيقة قامت الطرق الصوفية بدور ثقافي مهم لا يمكن تجاهله أو إنكاره، وفجرت مؤلفات أقطاب الصوفية ثروة معرفية تركت آثارا وانعكاسات فكرية أصبحت على امتداد العصور مصادر إشعاع معرفي متجدد، ومثلث روافد ثرية ملهمة للإبداع الشعري الرائع للمريدين والأتباع.

وتأتي نيجيريا بصفتها إحدى تجليات هذه الحركة الإبداعية الصوفية في مجال الأدب والإنتاج الفكري، نظرا لأن أكثر العلماء في القرنين التاسع عشر والعشرين ما هم إلا صوفية، وزخرت مؤلفاتهم وإبداعاتهم الشعرية بالعديد من القضايا التي عالجوا فيها أفكارا صوفية وتغنوا فيها بأذواق الصوفية وأحوالهم، وهناك حقيقة لابد من معرفتها وهي: أن النقد القديم استثنى التراث الصوفي من الدراسات الفنية ولا تزال هذه النظرة سائدة حتى الآن إلا في القليل النادر"[2].

ولا يمكن في هذه العجالة أن نعد أمثلة الشعر الصوفي القادري لضيق الإطار المعد للأدب الصوفي، غير أننا معنيون هنا بتقديم نماذج من الشعر القادري متمثلا في إنتاج القادرية نظرا لغزارة إنتاجهم الأدبي الذي يرجع أساسا لارتباط طقوس الأذكار لدى القادرية بأداء إنشاد ديني بطابع موسيقي، وهو ما وفر

---

[1]- المصدر السابق/ص7 وما بعدها.

[2]- المواقف والمخاطبات/محمد بن عبد الجبار النفري/تح: آرثر أربري/ص11/الهيئة المصرية للكتاب/1985م.

أرضية كبيرة لنشر قصائد وأشعار العلماء القادريين على أوسع نطاق، وأدى إلى تهييج مشاعرهم نحو الإبداع، لذا فإننا سنشير في سرد النماذج الأدبية لرجال القادرية وفق التسلسل الزمني منتقين أبرز تلك الإبداعات، لأن سرد جميع تلك المعطيات الأدبية أو حتى أكثرها أمر بعيد المنال، ولا يمكن الإحاطة به إلا من خلال سجل متخصص ككتاب (الشعر الصوفي في نيجيريا- دراسة موضوعية تحليلية لنماذج من الشعر الصوفي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، والذي تفرد لقراءة الإبداعات الأدبية لنماذج علماء القادرية. ومن ثم سيكون طرحنا لتلك الإنتاجات الأدبية بانتقاء نماذج منها وفق الآتي:

النموذج الأول:

يقول الشيخ عثمان بن فوديو في داليته المشهورة عن مشاعر الشوق لزيارة الرسولﷺ.

هل لي مسير نحو طيبة مسرعا * لأزور قبر الهاشمي محمد

لما فشا رياه في أكنافهـــــــا * وتكمش الحجاج نحو محمد

غودرت منهمل الدموع موبــــلا * شوقا إلى هذا النبي محـــمد

أقسمت بالرحمن ما لي مفصل * إلا حوى حب النبي محمـد

أحكي المصاب بشوقه لما عرى * مالي لذيذ العيش دون محمد

قد كدت شوقا أن أطير لقبـــــره * مـــا لي سرور دون زورة سيد

إن قيل لي ما ذا يشوقك في الورى * فأقول إني عاشق لمحـــــمـد

من عرش رب العالمين جنـــوده * ما في الورى مثل النبي محمد

الأنموذج الثاني: يقول الشيخ عبد الله بن فوديو في دعوة قومه من الفلاني" لما رأيت أكثر البلاد يأتي عوام أهلها وخواصهم ينتفعون بمواعظه ويتأدبون بآدابه ويدخلون في جماعته ولم أر ذلك في غالب قبيلتنا وهم أولى بذلك، نظمت قصيدة حائية سميتها (رسالة النصائح) وأرسلتها إليهم ليتأملوا ما فيها وليسارعوا إلى نصر دين الله تعالى وهي:

طربت فأشجاني الطيور الكوابح * وفرحني منها الغيوث الروائح

وخوفني أيضا ذياب بوارح * وأمني منــــــها الظباء السوانح
لقول النبي لا تزال جماعة*على الحق منــــا أو يجيء المقارح
ألا أبلغن عني لحيي رسالة * تعيها رجــــال أو نساء صوالح
لعالمهم أو طالب العلم رائم * لإظهار ديــــن الله فيه يناصح
أقول له قم وادع للدين دعوة * تجنبها عوام أو خواص حجاح
ولا تخش تكذيبا وإنكار جاحد* وهزء جهول ضل والحق صابح
وغيبة هماز وضغن مشاحن* يساعده من للعــــــوائد راكح
وبيَّن أن العوائد بهـــرجت * وســــــنتنا لا حت عليه لوائح
ولهو الشباب اليوم قد بار سوقه *وقامت على سوق الصلاح مدائح
وأهل الدنا اليوم انزوى ظل جاههم* وسنتنا لاحت عليها لوائح
ومنكر هذا الدين قد خف وزنه* ومظهره ميزانه اليوم راجح
وناصره قد صار في الناس عاليا* ومنكره للخاص والعام دانح
وأن إله العرش قد من منة * علينا ومن يشكر فذلك رابح
ومن كفر الإنعام واتبع الهوى ففي الدنيا بله القيامة طالح
فإن نحن آويناه ننصر قوله نفز ونحز نعماه والكل فالح
وإن قد أضعناه أفاد بغيرنا مصائب قوم عند قوم مصالح"[1].

وله قصيدة مسماها: "عُج" في مدح شيخه جبريل وهي قصيدة طويلة في أربعة وستين بيتاً دلّت على قدرة صاحبها اللغوية، وتضلعه من علومها كما هو معروف عنه، وهذا مطلعها.

عُجْ نحو أضواج(2)الأحبة من مَج(3)*واشرب من الأنشاج(4) ماء الزُّعْبج(5)
سُحَّ الدموعَ على منازلهم بهــــا * واشف الجنان من الهموم الدُمَّج(6)
قف عندها سَلْ مَنْ بها فعسى تُجب * حَوجاء(1) أو لوْجاء(2) تُرْضي مَنْ شُجِي(3)

---

[1]– تزيين الورقات/ص27.

[2]أضواج: ج ضَوْج، وهو منعطف الوادي.تزيين الورقات ص27 وما بعدها.

[3]– مَج: واد هنالك كان قد نزل فيه الشيخ جبريل.المصدر نفسه.

[4]– أنشاج: جمع نَشَج، وهو مجرى الماء. المصدر نفسه.

[5]– الزَّعْبج، كجعفر: الغيم الأبيض والرقيق والخفيف. المصدر نفسه.

6– لدُمَّج: المُدمجة، أي الداخلية. المصدر نفسه.

وقد مدحه في قصيدة أخرى بقوله:

جبريل من جَبَر الإله به لنا * ديناً حنيفاً مستقيم المنهج

وافى وحزبُ ضلالة في تَلْعة * والدين في وَهْد كشيء بَهْرج

فأزاح عنه حنادس الأعلاج * من عاداتهم وكساه حلة زبْرج

لم يخش في إظهار دين الله من * مستهزئ أو لائم مُتَمَجْمجِ"4.

النموذج الثالث:

يقول أمير المؤمنين محمد بيّلو في التوسل بالنبي ﷺ، وذلك حين مكنهم الله من هزيمة الطوارق من (غواندور) ورجعوا إلى بلادهم ظافرين:

أناديك يا مولاي في السر والجهر * بأسمائك الحسنى السنية كالدر

وبالمصطفى الهادي الرشيد محمد * وأصحابه والآل والتابع الغر

وبالأنبياء والرسل والملك والرضى * وبالأولياء الصالحين أولي الأمر

لتكفينا من سـوء وفتنــة * وترزقنا رزقا كفافا مدى العمر

إلهي ومولاي ترى ما العدا سعوا * وكادوا به فينا من الكيد والمكر

فكد يا إلهي كل من رام كيدنـا * وخذه إذا يبغى على قدر

فنصرا عزيزا يا إلهي لقومنا * فمنك نرجو الفوز باللطف والنصر

فلا تجعلنا فتنة للدين إنهم * عتوا واعتدوا بالظلم والفجر والكفر

أتمم لنا نورا أرادوا خموده * ولو كره الكـفار من ظلم النور

وأسق بلادا كان فيها مقامنا * ومن بركات الأرض أخرج على الفور

أغثنا أغثنا أنت مالك أمرنا * وعجل بيسر لا يعقب بالعسر

فقد مسنا ضر فضاقت فجاجنا * فمنك نبغي الكشف من ذلك الضر

ونسألك التأييد بالروح في الذي * نريد فمن أيدته قد باء بالخير

نعوذ بوجه الله من شر نفسنا * إذ المرء مطبوع على الشؤم والشر

1- حوجا: تأنيث أحوج، وهو المحتاج.

- 2لوجاء: يقال: مالي فيه حوجاء ولا لوجاء، أي حاجة؛ ولوجاء أيضاً: ملتوية.

3- شُجِي: أُحْزِنَ أو حَزِنَ. ينظر: تزيين الورقات/ص. 10.

4- تزيين الورقات/عبد الله بن فودي/ص. 12.

ومن شر وسواس رجيم مطرد* ومن سوء أقدار المهيمن في الأمر"[1].

الأنموذج الرابع: أما الشيخ الناصر كبر فتجد له في مدح النبي ﷺ أساليب نادرة، مثل قصيدته المهملة التي ليس فيها حرف منقوط، وقد نالت مكانة عالية بين أدباء عصره في نيجيريا، نقتطف منها ما يأتي:

أعلا سلام على الرسل أعلاما وأكرم الرسل أحلاما وإسلاما

محمد أحمد المحمود حامده مملىء الروح أسرارا وأحكاما

ما أرسل الله أعلى سرمدا أحدا كأحمد العلَم المعلوم أعلاما

أولى لكل علا، أدلى لكل ملا أحمى كلاما وأولى الدهم إكلاما"[2].

وله قصيدة أخرى كذلك في وصف حال الشوق في الحب الإلهي سماها "لوامع البرق" ومطلها.

قتيل الشوق يرحمه السلام * ويسقي غير مفسده الغمام

أشوق إليك يا رحمن شوقا * كما شاقتك سادتنا الكرام

عباد عنهم الرحمن راض* ولم يرددهمُ عنه الملام

يقومون الليالي في تناج * ليومهم بلا ملل صيام

فلا تلقاهم إلا وقوفا * على الأقدام أنحلها القيام

يحبون الإله وحق حقا * بشرع الحب أن يطوى المنام

شراب الشوق في الأحباب يزكو* طعام الذكر ذاك هو الطعام

ونور الشوق في الأحباب يزكو * ونار الشوق كان لها اضطرام

وتزكو وتزكو فيهم شيئا فشيئا * على التدريج يرتحل الظلام

وتوقد نار ذاك النور وقدا * فيحترق الحجاب المستدام

تظنهم من الأشواق جنوا * وما جنوا ولكن فيه هاموا

أساموا في الرياض وما أساموا * بها ولكن بجنتها أساموا

جنوا منها منها قطوفا دانيات * يوانع قد تعاورها انسجام

غذوا أرواحهم بلبان عشق * فهم في حجره أبدا نيام"[1].

---

[1]- إنفاق الميسور/محمد بللو/ص140.

[2]- دور الطريقة القادرية في رفع مستوى اللغة العربية والتربية الإسلامية/قريب الله كبر/ص21.

بعد هذا السرد سنقف على عطاءات الطريقة التجانية في التربية الروحية من خلال المبحث الآتي.

[1]- المصدر نفسه/ص22.

المبحث الثالث: عطاء التجانية في التربية الروحية.

كانت زوايا الصوفية بجانب كونها مدارس لتقلي المعرفة وإشاعتها عن طريق التأليف وإنشاء المعاهد الدينية، فهي كذلك مدارس لتزكية النفس وتطهيرها للعلو بها إلى مستوى الصفا القلبي والصفا الروحي، وهذه محطة تلتقي عليها كل الطرق الصوفية، ولقد وضعوا لذلك مناهج ملزمة يتعهد المريد بأدائها لوجه الله تعالى، وقد سبق بيانها بما يغني عن التكرار، إلا أننا هنا بحاجة إلى الوقوف على أسس التربية الروحية في الطريقة التجانية بعدما عرفنا أسسها في الطريقة القادرية.

أسس التربية الروحية للطريقة التجانية.

تتلخص أسس التربية لدى الطريقة التجانية في الآتي:

1-دوام المحافظة على الصلوات المفروضة في الجماعة إلا لعذر شرعي والجماعة عندنا سنة وقال بوجوبها طائفة من أهل العلم"[1].

ولا يخفى على كل مسلم موقع المحافظة على الصلاة في الشرع، فقد قال تعالى ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ ﴾[2] وفي السنة عن جرير بن عبد الله قال:" بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم"[3].

2- عدم الأمن من مكر الله تعالى، قال تعالى ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[4].

3- دوام محبة الشيخ التجاني إلى الممات بلا انقطاع، ومن حبه حب خليفته وطاعته في كل ما هو للشيخ على المريدين من الحقوق والواجبات"5.

4- ترك الزيارة بنية التبرك والاستمداد، وتجوز زيارة قبور الأنبياء والصحابة ﷺ وأما زيارة القبور للترحم والعبرة فمندوب شرعا. قال الشيخ محمد الحافظ المصري" وهي إما

1- النهج الحميد فيما يجب على المقدم والمريد/الحسيني/ص70/ مكتبة الجندي/القاهرة/د.س.ن.

2- سورة البقرة: الآية: 238

3- صحيح البخاري/باب البيعة على إقامة الصلاة/ ص195/الحديث رقم (501)

4- سورة الأعراف: الآية: 99

5- النهج الحميد/الحسيني/ص71.

زيارة بالجسد بأن يذهب إليهم سواء قصد الانتفاع بهم، بقلبه أو بقلبه ولسانه من غير ذهاب إليهم، فمما تتضمن الزيارة طلب الدعاء منهم وإهداؤهم ثواب العبادات من قرآن وصلوات وأذكار ونذر وصدقة ونحو ذلك مما تعوّد الناس فعله الناس فعله للأولياء لجلب نفع أو دفع ضرر"[1].

ففي السنة" عن أنس رضي الله عنه قال :" نهى رسول الله ﷺ فذكر لحوم الأضاحي والأوعية وزيارة القبور ثم ذكر إذنه فيها بطوله قال وكنت نهيتكم عن زيارة القبور ثم بدا لي فزوروها فإنها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة فزوروا ولا تقولوا هجرا"[2].

5-كون طالب الطريقة خاليا من أوراد المشايخ اللازمة لطريقهم، ولا يمنع الانتفاع بأذكارهم وأحزابهم الاختارية ولا يمنع الانتفاع بما ورد في السنة، لأن كل مسلم مأذون له بالإذن الشرعي العام"[3].

وفي هذا المعنى يقول الشيخ إبراهيم إنياس في روح الأدب.

واطلب مربيا خبيرا ناصحا*** كامل عرفان إماما صالحا

ملكه نفسك فلا تدبـــــــر*** وكن كميت دواما تخـــبر

ولا تخالفه ولو بان فساد *** د رأيه فكن دواما ذا اتساع

لا تلتفت لغيره في العالم*** وكن كما لو كان دون عالم

فليس للمريد غيرذا الولي*** مع الرسول ثم مولاه العلي"[4].

ويقول شارح روح الأدب في سياق شرحه لهذه الأبيات" أيها الأخ الكريم وفقني الله وإياك إذا أردت أن تسلك طريقة الرجال فلا تعجل وابحث بالسؤال والاستخارة والتوسل إلى الله أن يوفقك إلى باب صالح أي هو شيخ مربّ، وأن يكون ذا بصيرة بحال المريدين ذو قدم راسخ في الحقيقة، عليم بأدران القلوب وعلاجها، وأن يكون ناصحا لتلاميذه لا يرضى بهوى النفس، وأن تكون الدنيا عنده لا تساوي شيئا، وأن يكون إمام

[1]- فصل المقال فيما يرفع الإذن في الحال في طريقة القطب المكتوم سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه/محمد الحافظ المصري/27/القاهرة/1346هـ 1927م.

2- سنن البيهقي الكبرى/باب زيارة القبور /ج4/ص77/الحديث رقم(6990)

[3]- النهج الحميد/ص71.

[4] – روح الأدب لما حوى من حكم وأدب/إبراهيم إنياس الكولخي/ص2/د.د.ن.

في دينه، ومن لم يكن على هذه الصفة لا يجوز أن تلقي نفسك بين يديه، وعليك بالاستخارة مهما طالت المدة، والتأخير فيه خير "[1].

وقال الشيخ محمد الحافظ المصري:" فلا يصح إلا الانفراد بها إلى الممات، ومن كان له ورد أو طريقة فلا يلقن الطريقة التجانية إلا إذا ترك ورده وطريقته وانسلخ عنها ولا يعود إليها أبدا"[2].

7-صحة إذن ملقن الورد التجاني واتصال سنده بالشيخ التجاني ﷺ، ولا فرق بين من أخذ عنه ومن أخذ عن الآخذين عنه بإذن صحيح ...

8-مداومة قراءة الأوراد إلى الممات، قال الشيخ محمد الحافظ المصري في شرح هذا الشرط:" وهو رفض التقيد بالطريق فيجب على الإنسان الذي يريد الانتساب إليها أن يعزم عزما أكيدا لا يتخلله انقطاع على المداومة عليها بشروطها إلى الممات، فإن أورادها تصير فرضا بالتزامها ولا تعطى الطريقة إلا على هذا الشرط، فأورادها واجبة طول الحياة إلا لعذر صحيح، وهو المرض والحيض والنفاس"[3].

9-سلامة الاعتقاد ودوامه من يوم الأخذ إلى الممات.

10-السلامة من الانتقاد وكل فضل وارد في الطريقة مقيد بسلامة الاعتقاد والسلامة من الانتقاد، ومن الانتقاد تكذيبه ورد اجتهاداته وأقواله المنقولة إليك بواسطة أصحابه الذين صحبوه في حياته...

11-عدم صدور شيء من السب أو البغض أو العداوة في جانب الشيخ ﷺ، أو في جانب من انتسب إليه بنسب أو دين، كأهل طريقته وبخاصة خلفائه ومقدميهم"[4].

قال الشيخ محمد الحافظ المصري:" وصدور سب أو بغض أو عداوة في جانب الشيخ ﷺ أو إنكار المريد نسبته إلى الطريق حيث يمكنه إظهار تلك النسبة كأن سئل أأنت تجاني فقال: لا أو انتسب لغيرها من الطرق يعد رفضا للطريق"[5].

---

[1] جوهر الأدب في شرح روح الأدب/موسى سليمان التجاني/راجعه وقدم له: أحمد محمد الحافظ/د.د.ن/1411هـ 1991م.

[2]- فصل المقال/محمد الحافظ المصري/ص26.

[3]- فصل المقال فيما يرفع الإذن في الحال/المصري/صـ35.

[4]- النهج الحميد/الحسيني/ص72.

[5]- فصل المقال فيما يرفع الإذن في الحال/المصري/صـ35.

12-الاجتماع للوظيفة وذكر الجمعة إن كان ثمة تجانيون في الحي، ولا بد من الاجتماع إلا لعذر شرعي، ومن فاته ذكرها مع الجماعة مرتين فليس عليه شيء اتفاقا، واختلف فيمن تركها أو ذكر الجمعة ثلاث مرات متواليات فقيل يجدد وقيل ليس عليه شيء، ويستأنف وهو الراجح.

13-عدم قراءة جوهرة الكمال إلا بالطهارة المائية، وعلى المتيمم استبدالها بعشرين من صلاة الفاتح .

14-عدم مقاطعة الخلق عموما وإخوانه في الطريقة خصوصا، وقال الشيخ:" وترك المقاطعة مع جميع الخلق وآكد ذلك بينهم وبين الإخوان في الطريقة، وزوروا في الله وصلوا في الله وأطعموا في الله ما استطعتم في غير تعسير ولا كد"[1].

15-عدم التهاون بالورد بعد أخذه كتأخيره عن وقته لغير عذر، أو مانع فإنه من الموبقات.

16-بر الوالدين وطاعتهما وإحسان صحبتهما، ومن برهما استئذانهما بالدخول في الطريقة، والتماس دعائهما بالتوفيق له، ولذلك من الأثر الحميد ما لا يخفى على من نور الله بصيرته. قال تعالى﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إحسانا﴾[2]

17-امتثال المأمورات واجتناب المنهيات، فقد قال الشيخ ﷺ، في بعض رسائله في آخر الجواهر وشروطه المحافظة على الصلوات والأمور الشرعية، وقوله الأمور الشرعية كلمة جامعة لجميع الشروط، والامتثال والاجتناب أمر واجب على المسلم بأدلة الشرع، ومالطريقة إلا مرددة ومؤكدة فقط، فلا بد من التمسك بكتاب الله وسنة ورسوله ﷺ في كل حال وعلى كل حال...

18- إحسان العشرة مع الناس وإصلاح ذات بينه، وصلة رحمه، وعليه مصالحة من جرى بينهما التهاجر والتقاطع لموجب، وفيما يتعلق بإصلاح ذات البين ورد في السنة" عنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ

---

[1]- فصل المقال فيما يرفع الإذن في الحال/الحافظ/ص73.

[2]- سورة الإسراء من الآية: 23.

وَالصَّدَقَةِ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ لا أقول تحلق الشعر وإنما تحلق الدين"[1].

وفي حسن العشرة ورد في السنة" حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ حَدَّثَنِى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « لاَ تَبَاغَضُوا ، وَلاَ تَحَاسَدُوا ، وَلاَ تَدَابَرُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ » [2].

7 –قراءة البسملة في أول الصلاة والجهر بها في الجهرية"[3].

8 –الطمأنينة في الصلاة حتى تكون تامة الأركان والشروط والهيئات ولا يجوز نقرها نقر الديك، بقدر قول المسبح سبحان ربي العظيم ثلاثا، وإن طول فسبعا، والخشوع في القلب ثم يسري منه على الجوارح فتسكن وتخشع خشوع مراقبة ويقين...

9 – عدم التهاون بالوتر فمن فاته الشفع والوتر فاليقضه نهارا على قول الشيخ ﷺ.

10 –المحافظة على التهجد ولو بركعتين، وقد كان سيدنا ﷺ يرغب في ذلك غاية الترغيب وهو من آداب الصالحين أصحاب النيات والعزائم، قال تعالى ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً ﴾ [4] وهذا الشرط كمالي بالنسبة لغيره، إلا أنه مهم لأصله في القرآن والسنة، وليست نسبة هذه الشروط إلى الأحكام الشرعية الخمسة واحدة، بل بعضها ينتسب إلى الوجوب وبعضها إلى الندب وهكذا، ولا يخفى ردها إليها على اللبيب الحاذق"[5].

وما دمنا بصدد سرد شروط الطريقة وأسسها في التربية الروحية، فلنا أن نسرد شروط الورد، قبل الحديث عن الورد التيجاني .

1– سنن أبي داود/باب في إصلاح ذات البين/78/13/الحديث رقم (4273)

2– صحيح البخارى/باب ما ينهى عن التحاسد/ ص206/الحديث رقم (6065)

3– وقد ورد الخلاف حولها بين الفقها، ومرجعه أن من اعتبرها آية من الفاتحة ومن كل سورة أوجب قراءتها في الصلاة سرا وجهرا وهم الشافعية، ومن لا يراها كذلك لا يوجب قراءتها في الصلاة وهم المالكية وجوزوها في النوافل، ومن الفقهاء من يرى قراءتها سرا. فبما أن الموجبين لها ذهبوا إلى بطلان الصلاة لانتقاص الفاتحة بدونها، والذين لا يوجبون قراءتها جوزوها في النوافل، وجوزوا قراءتها سرا؛ فلا ضير إذن من قراءتها حتى يسلم المسلم من بطلان صلاته عند من يرى ذلك من الفقهاء، وقد استندوا في ذلك على أدلة وشواهد من النصوص.

4– سورة الإسراء: الآية/79.

5– النهج الحميد/الحسيني/ص70– 76.

شروط الورد التيجاني

وأما شروط الورد التيجاني فتأتي متدرجة على النحو الآتي:

1-الطهارة من الحدث الأصغر والأكبر بالماء أو بالتراب على الحد الشرعي.

2-الطهارة من الخبث جسدا، وثوبا، ومكانا.

3-ستر العورة على الحد المطلوب في الصلاة.

4-ترك الكلام ابتداء ودواما إلا لعذر، فلا يضر القليل كالكلمة والكلمتين أثناءه، وأما الوالدان فيجيبهما على قدر ما يطلبان، ويبني على ما تقدم له، وكذلك حكم الزوجة مع زوجها، وقالوا إن حكم الشيخ حكم الوالدين.

5-نية قراءة الورد، أو الوظيفة، أو ذكر الجمعة، وعليه تعيين الورد من صباح أو مساء، فمن ترك شرطا من هذه الشروط وجبت عليه الإعادة، ولا تكفي نية مطلق الذكر بل لابد من قصد الورد، أو الوظيفة، ولو تلفظ بالذي يريد الشروع فيه فواسع .

6-الجلوس لقراءة الورد والوظيفة إلا لعذر، ومن ثم فليقرأها ولو ماشيا بشرط أن يكون ما يمشي عليه طاهرا.

7-الجهر بقراءة الوظيفة وذكر هيللة الجمعة مع الجماعة ولا بد من الإسرار للمنفرد في جميع الأذكار.

8-ترتيل الأوراد وعدم الإسراع المخل ببعض الحروف وأما التمطيط والمد في غير موضعه أو اللحن الفاحش الذي يفسد معه المعنى فحرام.

9-السكون والهدوء من الابتداء إلى الانتهاء، وليس الاضطراب والرقص بجائز في طريقتنا التجانية.

10-استحضار معاني ألفاظ الذكر للقادر عليه، وإلا فليسمع نفسه، وليقيد فكره من الجولان في أمور الدنيا حتى يقوى نوره ويتم حضوره وذلك من أكمل الأحوال.

11-استحضار أنك جالس بين يدي القدوة والأفضل من ذلك استحضار أنك بين يدي رسول الله ﷺ وذلك لعجز البشر عن التحقيق بمقام الإحسان الذي يشاهد فيه

العبد ربه في عبادته كأنه يراه لقوله ﷺ:" أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » [1].

5 – الجلوس كهيئة الصلاة في قراءة الورد بوقار وسكينة، لأن سكون الظاهر عنوان سكون الباطن، وهو شيمة أهل اليقين، وصفة قارئ الورد أن يجلس على الهيئة المذكورة مستقبلا القبلة واضعا راحتيه على فخذيه مطرقا، كأنه يستمع إلى درس، وكفى بالأذكار درسا لمن عقل، ولا يغمض عينيه على ما رجحه شيخنا عتيق[2]"[3]. وفي سياق آداب التربية الروحية في الطريقة التجانية يقول الشيخ إبراهيم إنياس السنغالي"

حصل علوما أربعا ذا السالك * أولها عرفان رب مالك

والثاني أن تعرف ما يعلق * على العبادات فذا تحقق

ثالثها عرفان حال النفس * من غدرها وكيدها والدس

للنفس عيب للفؤاد عيب * للروح عيب ليس فيه ريب

فالأدب الأدب ذا السالك * فإنـــــه الباب لكل سـالك

ولتك خاشعا أخا تواضع * فلست بالوضيع في التخاضع

فذي إشارة إذا عقلـــتا * رائقــــة فلتدر ما ألهمتا"[4].

ويقول في رسالة توجيهية لأتباع الطريقة التجانية حاثا لهم على التمسك بالفرائض واتباع الأوامر واجتناب النواهي:" من أراد أن يكون معي في حالي فلْيسلك قولي في الأقوال والأفعال، بامتثال الأوامر واجتناب النواهي في الظاهر والباطن والتعطش والتشوق إلى الوصول إلى مرضات الله ورسوله، أما من ينتسب إلينا ويرتكب شيئا من مخالفة الشريعة المطهرة باقتحام المحرمات وترك المأورات فأشهد الله أني بريء منه، اللهم إني بريء لك مما صنع هؤلاء"[5].

---

[1]– صحيح البخارى/ج1/ص97/باب سؤال جبريل/الحديث رقم (50)

[2]– سيأتي التعريف به لا حقا عند الحديث عن عطاءات التجاية في التعليم .

3– النهج الحميد /الحسيني/ص79.

4– روح الأدب لما حوى من حكم وأدب/إبراهيم إنياس الكولخي/ص4/د.دن.

5– ينظر: روح الأدب /ص8/المصدر السابق.

إن هذا النص الذي أورده واحد من أكبر خلفاء الشيخ في القطر الأفريقي والذي له القدح المُعلى في تجديد الطريقة ونشرها في ربوع نيجيريا إذا قورن بما قاله مؤسس الطريقة التيجانية الشيخ أحمد التيجاني:" إذا سمعتم عني شيئا فزنوه بميزان الشرع فما وافق فخذوه وما خالف فاطرحوه"[1]. فإنه لا شك يلزم أتباع الطريقة الحجة في كل ما يقولوا أو يفعلوا، ويعطيه القدرة على طرح كل ما يظهر فيه مخالفة من مسلمات الطريقة مهما كان مصدر قائله أو فاعله، وبعد هذه الإطلالة على أسس التربية وشروط الورد التيجاني سنقف على مضمون الورد التيجاني نفسه من خلال الآتي:

الورد التيجاني:

ينقسم الورد التيجاني على قسمين، لازم واختياري .

أما اللازم فينقسم على ثلاثة أقسام.

أولا:- الورد الصباحي والمسائي: وهو الاستغفار والصلاة على النبي ﷺ وكلمة التوحيد لا إله إلا الله .

وثانيا:- الوظيفة اليومية.

وثالثا:- ذكر هيللة يوم الجمعة.

ويلتزم المريد التيجاني بأداء هذا الورد فلو قام باثنين منها وترك الثالث لا يعد تجانيا. وتفصيل الورد الصباحي والمسائي على النحو الآتي:

بعد التعوذ وفاتحة الكتاب يردد المريد أستغفر الله مئة مرة، والصلاة على النبي ﷺ بأي صيغة كانت مئة مرة، غير أن صلاة الفاتح لما أغلق أولى، ثم كلمة التوحيد لا إله إلا الله مئة مرة.

قال الشيخ الرياحي ؓ الحمد لله، هذه طريقة شيخنا أبي العباس يقول التجاني بعد الاستعاذة والبسملة: أستغفرالله مئة مرة ثم الصلاة على النبي ﷺ بأي صيغة لكن بصلاة الفاتح أفضل، ثم لا إله إلا الله، تقوله هذا بعد صلاة الصبح،

---

[1]- النص ورد في: الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية/الطيب السفياني/1259هـ 1843م

وبعد صلاة العصر، وذلك طبقا لقوله تعالى: ﴿ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾[1] ويلي ما ذكر، وظيفة تقولها في الأربع والعشرين ساعة مرة واحدة، أي ساعة تيسرت وهي: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ثلاثون مرة، وصلاة الفاتح خمسون مرة، وهي: اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم. ولا إله إلا الله مئة مرة، وجوهرة الكمال وهي: اللهم صل وسلم على عين الرحمة الربانية والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني ونور الأكوان المتكونة الآدمي صاحب الحق الرباني، البرق الأسطع بمزون الأرباح المالئة لكل متعرض من البحور والأواني ونورك اللامع الذي ملأت به كونك الحائط بأمكنة المكاني اللهم صل وسلم على عين الحق التي تتجلى منها عروش الحقائق عين المعارف الأقوم صراطك التام الأسقم صل وسلم على طلعة الحق بالحق الكنز العظم إفاضتك منك إليك إحاطة النور المطلسم صلى الله عليه وعلى آله صلاة تعرفنا بها إياه"2 .

أما الورد الاختياري :

فإن المريد التيجاني يتلو فاتحة الكتاب تسعا وتسعين مرة، وصلاة الفاتح مئة وإحدى عشرة مرة، ثم مئة من السلام على النبي ﷺ بهذه الصيغة(السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) مئة مرة بعد الورد الصباحي والمسائي.

تلك هي الطريقة التجانية، قال الشيخ إبراهيم الصالح في سياق طويل في الرد على الذين يرون أن الورد التجاني باعتباره لازما يعني أن الرسول ﷺ قد كتم شيئا من الدين مانصه" وإني أعلن أننا لا نعتقد أن رسول الله ﷺ كتم شيئا مما أمر بتبليغه، ومستحيل أن يؤمر بتبليغ ورد صلاة الفاتح أو بيان فضلها فيكتم شيئا من ذلك، ومن اعتقد ذلك فهو كافر بالله ورسوله لا يقبل منه صرف ولا عدل، ولا يعقل أن يكون قد كتم شيئا الورد وهو الاستغفار والصلاة على النبي ﷺ ولا إله إلا الله،

---

[1]– سورة الأعراف/ من الآية: 205

– نص جوهرة الكمال كما في الرماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم/عمر بن سعيد الفوتي الطوري الكدوي /ج1/ص224 / ط دار الفكر/ 1421هـ.

وصلاة الفاتح موجودة قبل الشيخ التجاني ومشهورة، فلا يصح بحال كونها ادخرت له ولم يثبت ذلك عنه، أما قوله وكذبه على الشيخ التجاني أنه قال في صلاة الفاتح من لم يعتقد أنها من القرآن لم يصب الثواب الوارد فيها، فهذا كذب وافتراء أيضا، فلم يقل الشيخ أنها من القرآن ولا أنها من كلامه القديم، أو أنها من الأحاديث القدسية أو من أي وجه من وجوه وحي النبوة"1.

بعد هذه الجولة سنقف على عطاءات التيجانية على المستوى العلمي في التأليف والتعليم وتخريج العلماء متمثلا في أبرز رجالات التيجانية وإسهاماتهم العلمية والتعليمية وذلك من خلال المبحث الآتي.

---

[1]- حقيقة الطريقة التجانية/الحسيني/ص42/د.د.ن.

المبحث الرابع:– عطاء التجانية في التعليم والتأليف.

إن سرد جميع رجالات الطريقة التيجانية وإسهاماتهم العلمية سيحيد بهذا المبحث عن طبيعته نظرا لكثرتهم وتنوع جهودهم في العطاء العلمي والتربوي في نيجيريا، ولذا فإنني أكتفي بتقديم نماذج منتقاة من رجالات هذه الطريقة بحسب وفرة وتنوع عطائها في الواقع العلمي والتربوي، ونذكر منهم ما يأتي حسب ترتيب المعجم، وذلك يستدعي ذكر المتأخر على المتقدم لعدم اعتمادنا تواريخ الوفيات أو بالأحرى تواريخ الميلاد في سرد هذه الشخصيات وعطاءاتها العلمية فيكون ذكرهم بهذا على النحو الآتي:

1 – الشيخ الشريف إبراهيم محمد الصالح وإسهامه العلمي.
2 – الشيخ الشريف أحمد التجاني وإسهامه العلمي.
3 – الشيخ أبوبكر المسكين وإسهامه العلمي.
4 – الشيخ أبوبكر عتيق الكشناوي وإسهامه العلمي.
5 – الشيخ أبو بكر مجنيو وإسهامه العلمي.
6 – الشيخ أحمد علي أبو الفتح وإسهامه العلمي.
7 – الشيخ أحمد التجاني زنغن بري بري وإسهامه العلمي.
8 – الشيخ آدم طن كليوري وإسهامه العلمي.
9 – الشيخ ثاني كافنغ وإسهامه العلمي.
10 – الشيخ محمد العلمي وإسهامه العلمي.

أولا:- الشيخ الشريف إبراهيم محمد الصالح الحسيني وإسهامه العلمي.

هو: الشريف إبراهيم بن محمد الصالح بن يونس بن محمد الأول بن يونس بن إبراهيم بن محمد المكي بن عمر الحسيني، ولد ليلة السبت الثالث من مايو 1938م في (أُرَدِيبة) وهي قرية من قرى ولاية برنو، وينتهي نسبه إلى الإمام الحسين بن الإمام علي كرم الله وجهه"[1].

تعلمه وشيوخه.

تعلم الشيخ القرآن الكريم على يدي والده الشيخ محمد الصالح الذي عليه مدار القراءة والإقراء في (أريديبة) التي ولد فيها، وقد لزم والده حتى توفي ثم أوصى به إلى تلميذه المقرئ السيد بن حامد الحامدي ولزمه حتى تعلم منه القراءة والرسم، ثم التحق بعد ذلك بعدة زوايا قرآنية لتجويد القرآن الكريم وإتقانه نذكر منها:

1 -زاوية المقرئ الغوني جده للقرآن الكريم في غلمبا.

2 -زاوية الغوني عبد الله الفضالي للقرآن الكريم في ميدغري.

3 -التحق بعد حفظ القرآن بالشيخ الإمام محمد الشنقيطي نزيل برنو فأخذ عنه كثيرا من كتب العلم خاصة في الفقه وعلوم الحديث.

4 -بعد رحيل الإمام محمد الشنقيطي التحق بالشيخ أحمد علي أبي الفتح فأخذ عنه كثيرا من العلوم في المنقولات والمعقولات أصولا وفروعا، وحضر دروسه في الفقه، والأصول، والأدب، والنحو، والصرف، والبلاغة، والتفسير، والحديث، والسيرة، ويمكن هنا الاستئناس ببعض الكتب التي تلقاها عن الشيخ أبي الفتح على وجه التحديد:

- ففي الفقه المالكي يرد كل من كتاب: الأخضري، والعزية، وإرشاد السالك لفقه الإمام مالك، والرسالة لابن أبي زيد القيرواني، ومختصر الشيخ خليل.

---

[1] ينظر: مقدمة تاريخ الإسلام وحياة العرب لامبراطورية كانم برنو لصاحب الترجمة/مطبعة مصطفى البابي الحلب/القاهرة/1976م.

وفي فقه الأصول قرأ عليه البداية والنهاية لابن رشد الحفيد وهو آخر كتاب أخذه عنه بتدبير وبحث ومراجعة كما يقول الشيخ إبراهيم نفسه"[1].

وفي اللغة والأدب قرأ عليه كلا من: الأجرومية وملحة الإعراب للحريري والعمريطية ولامية الأفعال لابن مالك أيضا، والمقامات للحريري والخلاصة لابن مالك مع شرح ابن عقيل عليها وديوان الشعر الجاهلي، والعشريات وتحفة الأطفال، والكتابان الأخيران من مؤلفات الشيخ أبي الفتح، وفي الأمداح النبوية يرد كتاب: العشرينية للفازازي"[2].

مكانته في ميدان التعليم الديني والعمل الدعوي.

لقد ظل الشيخ منذ عام 1970م يلقي دروسا في جميع العلوم الإسلامية على النحو الآتي:

1 –تفسير القرآن الكريم: وقد ختمه أكثر من مرة لأعضاء الحكومة الفدرالية في رئاسة جمهورية نيجيريا في شهر رمضان من كل سنة، وقد استبدل به تفسيره في مسجده لجماهير المسلمين، حيث يبدأ في كل عام تفسير القرآن منذ منتصف شهر شوال ليواصل حتى نهايات شهر رمضان فيتوقف لغرض اكتساب فضيلة العمرة في هذا الشهر المبارك .

2 –الحديث الشريف: وقد درس فيه كتبا عدة كالبخاري ومسلم ورياض الصالحين، وغير من الأمهات، أما باقي فنون العلم كالفقه وأصوله، والتصوف والأخلاق وغيرها، فقد ختم منها الكثير يحضرها كبار أعلام الطريقة من البلد وغيرها من أمثال: الشيخ نصر يوسف، والشيخ عثمان البشير، والشيخ موسى عبد الله، والشيخ آدم علي، والشيخ محمد آدم الغوني، والشيخ غوني مودو كولو، والشيخ أبوبكر غونمي، والغوني عبد الرحمن الشهير ب"درمة" وغيرهم إضافة إلى المئات من جماهير العلماء العاملين من مريدي ومقدمي زاويته الشريفة .

3 –أما على مستوى العمل الإسلامي فإننا نذكر أبرز أدائه فيه على النحو الآتي:

---

[1]– يراجع: الاستذكار لما لعلماء برنو من الأخبار والآثار/الحسيني/ص87/مصدر سابق.

[2]– المصدر نفسه.

أ – تأسيس الزاوية التجانية.

كان أول عمل قام به الشيخ لإقامة صرح التعليم والتربية الإسلاميين هو: تدشين الزاوية التجانية التي تأسست مطلع النصف الثاني من القرن الماضي عام 1957م، وقد جعل التعليم والتعلم مفردة التفاعل في هذه الزاوية، ولذلك ما تسامع الناس بأن ثمة معلما وفقيها ظهر في منطقة (ميدغري) حتى توافدوا إليه من القرى والبوادي، ولم يقتصر الأمر على قرى وبوادي برنو فحسب، بل تعداه ليصل إلى دول الجوار مثل الكاميرون وتشاد وأفريقيا الوسطى والسودان، ومن ثم تشكل نسيج من الأمم والقبائل المختلفة في هذه الزاوية بشكل لم يسبق له مثيل في هذه المنطقة، وعاشوا على تقوى من الله ورضوان لم تربطهم أواصر الأرحام ولا وحدة الأوطان ولا المصالح المشتركة إلا ذكر الله وحبه وحب رسوله ﷺ.

يقول أحد تلاميذ الشيخ وهو: السيد أحمد الفكي عن مرحلة التأسيس هذه وفي بيان أقدم أصحاب الشيخ:" إن الشيخ ﷺ استقر في مدينة ميدغري عام 1952م بحارة بلابلن في بيت الحاج موسى (مي ساجي) وعاش سنتين تقريبا في هذا المنزل، وكان في رفقته السيد الحاج عمر إلياس والسيد هارون عثمان والسيد حامد العربي والغوني دنغس والسيد محمد آدم المعروف بصاحب الكتب، ومن ثم جئت وجاء بعدي السيد آدم قجه والسيد محمد الأحمر، ثم تتالت الوفود أفرادا وجماعات"[1].

ب – تأسيس مدرسة النهضة الإسلامية.

وكان نشاط الشيخ العملي في هذا الإطار هو: تأسيس مدرسة النهضة الإسلامية التي انطلقت في شكل حلقاتلدراسة كتب الفقه والحديث والنحو والسيرة، وتعد هذه المدرسة أعرق مدرسة عرفتها ولاية برنو على الإطلاق، حيث تأسست منذ 1953م.

[1]– لقاء تم مع السيد أحمد الفكي يوم 1 من شهر يوليو1428هـ 2008م

وهكذا خرجت هذه المدرسة أعلاما عظاما كانوا على مستوى رفيع من العلم والعمل، أفادوا مَن حولهم من القرى والمدن لا زال عطاؤهم مشهودا ومسطورا في ميادين العمل الإسلامي الفردي والجماعي.

ثم تطورت مدرسة النهضة لتأسس القسم الإعدادي سنة 1994م، واستمرت على هذا النحو حتى عام 1998م لتؤسس القسم الثانوي وأضاف إثر هذا التطور المواد العلمية والتطبيقية لتمهد أن تكون كلية النهضة الإسلامية للعلوم والدراسات الإسلامية، وذلك بعد أن تولى نجل الشيخ أبه الصالح إبراهيم الصالح عمادة الكلية عام 2004م.

وتشهد الكلية الآن تطورا ملحوظا لتشهد تأسيس قسم الدبلوما للتربية واللغة العربية، وقد تلى هذا النشاط تأسيس كل من قسم التربية والدرسات الإسلامية، وقسم التربية واللغة الإنجليزية وقسم التربية الحاسوب.

ج- تأسيس جماعة النهضة الإسلامية العالمية .

وانبثقت من مدرسة النهضة الإسلامية هيئة دعوية وتربوية أطلق عليها جماعة النهضة الإسلامية، وقد شكل تأسيسها خطوة متقدمة في سياق تطوير مدرسة النهضة الإسلامية لتطال أنشطتها آفاق رحبة تتسق مع موقع مؤسسها الدعوي في المنطقة، لذلك قسمت هيكليتها إلى جملة مرافق إدارية تناط بكل مرفق أهادفا ومسؤوليات يسعى لتحقيقها، وتأتي هذه المرافق متدرجة وفق الآتي:

1 - قسم التوعية والدعوة والإرشاد .

2 - قسم التربية .

3 - قسم الإسعافات الأولية .

ولئن فات جماعة النهضة الإسلامية إقامة مرفق يتعلق بشؤون المرأة والتنسيق ومتابعة همومها ومتطلباتها، فإنه في الواقع توجد حركة نسوية في زاوية الشيخ ممثلة في معهد السيدة خديجة الكبرى، تشرف عليها وتدير برامجها واحدة من أهل بيت الشيخ، كما تأسس معهد آخر باسم معهد السيدة فاطمة الزهراء لتحفيظ القرآن الكريم وعلومه،ة وقد دشنته ابنة الشيخ السيدة حفصة إبراهيم الصالح، لغرض

تحفيظ البنات القرآن الكريم، وقد خرج حتى الآن العشرات من الطالبات الحافظات لكتاب الله مرتلا ومجودا.

د- تأسيس رابطة شباب النهضة الإسلامية.

تأسست رابطة شباب النهضة السلامية عام 1986م، كان شعارها يوم تأسيسها ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾[1] وكانت مهمتها يومئذ تتعلق بحملة لتنظيف البيئة يقوم بها أعضاء الرابطة في كل ليلة من ليالي الجملة حتى يؤدي المصلون صلاتهم بكل راحة بال، ثم تلا ذلك تنظيم ختم القرآن الكريم في كل ليلة اثنين وأدرج مؤخرا برنامج إقامة ندوات ومحاضرات في المواسم والأعياد الإسلامية المعهودة، فكان لهم نشاط شبه ثابت ندوة موسعة في كل من عيد الأضحى وعيد الفطر المباركيْن، وكان أول نشاط أقيم في هذا المستوى هو الملتقى الأول لرابطة شباب النهضة الإسلامية بعنوان- من هنا ننطلق نحو عمل جماعي جاد ومنظم- قُدمت فيه ثلاث ورقات بحثية، إحداها بعنوان: مشاريع جماعة النهضة الإسلامية، والثانية بعنوان: التقرير المالي لجماعة النهضة الإسلامية في عام 5004م، والأخيرة بعنوان: الاتحاد قوة، انتظم هذا الملتقى يوم السبت1425هـ الموافق 22- 1- 2005م، بمسجد الشيخ إبراهيم الصالح، كما أقيم في عيد الفطر الذي يليه ندوة اشتملت على ورقتين إحداهما بعنوان: مكانة الأوقاف في المجتمعات الإسلامية، والأخرى بعنوان: الثقة في النفس ودورها في بناء الفرد المسلم.

إلا أننا على أمل كبير في أن تتطور هذه الرابطة لتكون في مستوى موقعها في الزاوية وموقعها في المحيط الذي هي فيه، حتى تعبر بحق عن هموم الشيخ وتطلعاته لا ستشراف المستقبل المشرق للأمة الإسلامية في نيجيريا.

مؤلفاته.

أما في مجال التأليف فقد زادت مؤلفات الشيخ على بضع مئات ما بين مطبوع ومخطوط، وقد تناولت مؤلفاته شتى فنون المعرفة كقواعد التفسير وعلوم الحديث، والفقه وأصوله، والحديث ومصلحه، والمواريث، وقد كتب أيضا في

---

[1]- سورة الكهف: الآية: 13

البلاغة، والنحو، والسيرة، والتاريخ، والاقتصاد الإسلامي، والمنطق، والتصوف، وفي نقد المذاهب المادية القديمة والمعاصرة والأفكار الهدامة وغيرها من الموضوعات، التي تمس حياة المسلم المعاصر، وتأتي هذه المؤلفات مسرودة على النحو الآتي:

أولا:- المؤلفات المطبوعة.

1 - الكافي في علم التزكية من ثلاثة مجلدات.
2 - حكم التعامل مع البنوك.
3 - مفهوم السيادة في الإسلام.
4 - حقيقة أهل السنة والجماعة ومكانة أهل التزكية بينهم.
5 - الاقتصاد في الاعتقاد.
6 - الدرر اللماعة في حقيقة معنى أهل السنة والجماعة.
7 - دلائل التنزيه في إبطال بدع التعطيل والتجسيم والتشبيه.
8 - تاريخ الإسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم برنو.
9 - التكفير أخطر بدعة تهدد الوحدة والسلام بين المسلمين في نيجيريا.
10 - المغير على شبهات الأهواء وأكاذيب المنكر على كتاب التكفير.
11 - الأبعاد التاريخية للإسلام في أفريقيا- الطرح الجديد.
12 - الجهاد في الإسلام .
13 - الإسلام والتعايش السلمي بين الشعوب.
14 - الزكاة في الإسلام.
15 - إتمام المنة في أن الدعاء دبر الصلاة هو السنة.
16 - الإعلام بصفات أهل الولاية الأعلام.
17 - العدة الموجهة إلى الغوني جده.
18 - العقيدة المنجية يوم القيامة.
19 - ربيع الأبرار في التوجه بالأسماء والأدعية والأذكار.
20 - النهج الحميد فيما يجب على المقدم والمريد.
21 - سيرة الرسول الأعظم ﷺ.

22 – علم الفلك والحساب.

23 – حقيقة الطريقة التجانية.

24 – ميزان التفاوت بين التواضع والتماوت.

بعض المؤلفات المخطوطات.

1 – المصفى من أحاديث المصطفى.

2 – الفاصل بين الحق والباطل.

3 – الاستذكار لما لعلماء برنومن الآثار والأخبار.

4 – الإسلام ضد الخرافة.

5 – الإسلام وآراء المحرفين المعاصرين.

6 – الإسلام وتايخ العصر.

7 – الإسلام وتاريخ العصر جزآن.

8 – المختصر في مناقب حملة الأثر.

9 – الحجاب في الإسلام.

10 – الفتاوى الحسينية ثلاثة أجزاء.

11 – العبرة بحديث الأصم والمجنون والهرم والميت في الفترة.

12 – المنطق.

13 – الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال.

14 – القول الوحيد في صحة وقوع الاختلاف في العهد القديم والجديد.

15 – الإسلام والعرب في أفريقيا الاستوائية ونيجيريا.

16 – الصيام في حضرة المجالس الإلهية في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

17 – التصوف بين خصومه وأصدقائه.

18 – الفتوحات المحمدية.

19 – الفتوحات الأحمدية.

20 – القول المعقول في زكاة الحبوب والثمار والفواكه والبقول.

21 – الأربعون في التوجهات النبوية.

22 - حقائق الأعيان الوجودية.

23 - القرب الإلهي.

24 - الكنوز الإلهية في فضل السور والآيات القرآنية.

25 - الحج خامس أركان الإسلام.

26 - كشف المجهلة في بيان المقتول بالأسولة.

27 - إرشاد الاخوان إلى أن النفس أضر من الشيطان.

28 - إرشاد المريد إلى مقامات التجريد.

29 - كتاب القنوت.

30 - الجواهر اليواقيت في علمي الهيئة والمواقيت.

31 - كتاب رحلة ابر بن عبد الله.

32 - الرياح اللواقح والأناصيب المرابح.

33 - لسان الإيمان المعبر عن شعوري بالسودان.

34 - رجم أهل الكنائس في تبرئة عيسى من أهل التثليث والدسائس.

35 - تاريخ البداية ومنهاج أهل السنة والولاية.

36 - رسالة كشف اللبس عن حديث معرفة النفس.

37 - مكانة القرآن والسنة في الفقه الإسلامي.

38 - منهاج الرشاد في ذم الرأي والقليد في الاعتقاد.

39 - نهج أهل التحقيق في أصول الطريق.

40 - بر الراش في أن الولد للفراش.

41 - كشف الغطاء عن الحكم بين النساء.

42 - كشف الضباب والأستار لسالكي المحجة الأخيار.

43 - ضياء الساهور في علم دهر الدهور(حقائق فلسفية)

44 - قصيدة ماء العين.

45 - نواظر الجواهر المتخرج من آي الكتاب الطاهر.

46 - سعادة المعتقد وشقاوة المنتقد.

47 - شموس الإشراق والأشواق.

48 – رسالة إلى كافة الاخوان القائمين بالدعوة في سبيل الله.

49 – حقن أباطيل طوائف التكفير.

50 – برج المراقبة.

51 – تحقيق البيان في بيان الجنة والنار.

52 – تحقيق المسألة والبرهان.

53 – تاريخ الحركة الإسلامية في غرب أفريقيا.

54 – رسائل سنن الأولين ثلاثة أجزاء.

55 – تحفة الأطفال في النحو.

56 – صيانة العقول من الاتحاد والحلول.

57 – كتاب القول المبين المستخرج من كلام رب العالمين.

58 – كتاب تيسير الطريق لمن وفق بالتوفيق.

59 – كتاب الرياضة العريضة أربعة أجزاء.

60 – أزمة الخليج وأثرها على العالم الإسلامي 1990م.

61 – نور اليقين في الدعوة إلى رب العالمين.

62 – كتاب الأنوار الساطعة في الحث والتحريض على طلب العلوم النافعة"[1].

وبهذه القائمة نختم حديثنا عن هذه الشخصية بكل ما لها من عطاء علمي وعملي وتربوي غير محدود، جزاه الله عن الإسلام والطريقة خيرا.

[1]– الأصالة العربية لقبائل العرب الشوا القاطنة في أقصى شرقي شمال نيجيريا/علي محمد الأحمر/ص50 وما بعدها/المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر/دار الكتب الوطنية/بنغازي ليبيا/د.س.ن.

ثانيا: الشيخ الشريف أحمد التجاي إسهامه العلمي.

هو: الشيخ أحمد محمد عمر المشهور بالشريف التجانيﷺ، ينتهي نسبه إلى الإمام علي كرم الله وجهه، أحد حاملي راية الطريقة التجاني في مدينة ميدغري.

تعلمه وشيوخه.

يرد في مقدمة الشيوخ الذين تلقى عنهم العلم: الشيخ أحمد علي أبو الفتح السابق الذكر، وبعد أن تكونت شخصيته العلمية أسس زاويته الكائنة بحي لامسلا وأسس مدرسة يفد إليه الطلاب لتلقي الدروس الدينية، وآداب الطريقة التجانية. وقد أسس هذه الزاوية منذ الخمسينات وقد تم تجديدها بتوسعة مسجدها حيث بني من طابقين، فالمسجد في الطابق الأول والمدرسة في الطابق الثاني مكونة من ست فصول دراسية لتحفيظ القرىن الكريم وعلومه وتدريس العلوم الدينية واللغوية وفق النظام الحديث .

من تلاميذه.

نذكر ما يأتي:

السيد المقرئ مالم مصطفى.

السيد المقرئ عمر يحيى إدريس.

الدكتور محمد كبير يونس.

وقد قال عنه إثر لقائي إياه" إنه ما من أحد له من الفضل عليّ بعد الشيخ أحمد علي أبي الفتح مثلما للشيخ الشريف أحمد التاني عمر، فلقد درست على يديه جل كتب الفقه، كالرسالة وأقرب المسالك، وكذلك كتب اللغة والنحو: كالنوافح العطرية شرح العشرينية والدالية وقواعد اللغة العربية ونحوها، وكانت الميزة البارزة فيه أنه ينشرح للمناقشات التي ترد عليه من طلابه بل حتى الاعتراض على بعض المسائل التي يراها، فلا يضيق صدرا بها بل يرحب بها ويرد عليها بكل سعة صدر"[1].

[1]- مقابلة مع الدكتور محمد كبير يونس المشرف على هذه الأطروحة بمنزله الكائن بجامعة بايرو كانو المقر القديم يوم الاثنين

ثالثا:- الشيخ أبوبكرالمسكين وإسهامه العلمي.

هو: العلامة أبوبكر بن أحمد البرناوي بن ميدغو كياري بن ممد مينه بن يبوبو بن مي علي بن مي حاج بن مي دنومه بن مي عمر بن مي إدريس ألوما".[1] وقد نسبه مطولا إلى أن يصل به إلى سيدنا آدم عليه السلام.

وقد اتفق عدد من الباحثين في سيرة الشيخ المسكين على أنه ولد فجر التاسع من شهر ربيع الأول بحارة هوساري زنغو بمدينة ميدغري، ولكنهم اختلفوا في اليوم والسنة التي ولد فيها، فمنهم من يقول بيوم الأحد ومنهم من قال بيوم الاثنين، وأن السنة التي ولد فيها هي 1338هـ 1919م ومنهم من يرى غير ذلك "[2] .

تعلمه وشيوخه.

يقول الباحث عبد الله غوني:" إن الشيخ المسكين حفظ القرآن الكريم في سبع سنوات وبضعة أشهر وأن الشيخ نفسه هو الذي صرح له بذلك، وأما الباحث عمري أحمد محمد فإنه يرى أن حفظ الشيخ للقرآن الكريم استغرق ست سنوات فقط، وسار على هذا النهج كل من الباحث عبد العلي والباحث شنيمه محمد نور، أما الباحث المصري حسن حمدي فينفي كل هذه المعلومات بقوله" من العجيب أن الأستاذ الدكتور تجاني المسكين سلمني بيده سيرة ذاتية لوالده تحتوي على معلومات تخالف كل ما سبق، فهي تفيد أنه حفظ القرآن في اثنتي عشرة سنة من سنة 1923 إلى 1935م"[3].

أما شيوخه الذين أخذ عنهم العلم فإن المصادر تذكر أن الشيخ المسكين بعد أن تم حفظ القرآن توجه لطلب العلم الشرعي، فقرأ على القاضي تجاني جبامي الذي كان جارا لهم عددا من الكتب منها كتب في الجغرافية والتوحيد كما أخذ عنه

الموافق مطلع رجب1430هـ 10 يولي2010م عقب صلاة العصر.

[1]- شعر الشيخ أبي بكر المسكين في الأمثال والحكم دراسة تحليلية لكتاب جامع الأمثال والحكم الفائقة/ص255/أطروحة دكتوراه قدمها حسن حمدي بجامعة أحمد بللو زاريا/كلية الآداب قسم اللغات النيجيرة والأفريقية، قسم اللغة العربية وآدابها/عام 2002م.

[2]- المصدر السابق/ص257.

[3]- المصدر نفسسه/ص258.

الأربعين حديثا للنووي، وأخذ عن الشيخ إسماعيل غوني عبد الله علم الفلك ومبادئ علم الحساب، وأخذ عن المعلم غوني بلامه كُرا علم العقائد في كتاب: الدليل القائد إلى علم العقائد وغيره من الكتب في علم النحو كألفية ابن مالك وألفية السيوطي الأجرومية وملحة الإعراب، أما في علم الفقه فقد قرأ عليه رسالة أبي زيد القيرواني وفقه ابن الحاجب ومختصر الشيخ خليل"[1].

نشاطه العلمي والأدبي.

يمكن سرد أوجه نشاطه العلمي على النحو الآتي:

1 –فقد قام عام 1951م بافتتاح مدرسة في منزله لتعليم الطلاب والعمل فيها مستمر حتى يومنا هذا.

2 –قام بتأسيس سلسلة من المدارس الإسلامية في أنحاء مختلفة من ميدغري وولاية يوبي في بوتسكم وانغرو وفي جوس ولاية بلاتو.

3 –في عام 1952– 1954م سافر الشيخ إلى مصر والسودان ليدرس نظم التعليم الحديثة، بغية الاستفادة ورفع مستوى التعليم في برنو.

4 –في عام 1977م دعته جامعة أحمد بللو بزاريا إلى حضور حلقة دراسية مفتوحة.

5 –في العام نفسه قدم الشيخ تخطيطا لتأسيس المركز الإسلامي ببرنو، ومن ثم تطورت الفكرة وتم إنشاء كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية.

6 –في عام 1985م اشترك في مجلس جامعة ميدغري وفي عام 1989م صار رئيسا لمجلس إدارة كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية في ميدغري"[2].

ويندرج تحت أدائه العملي تأسيسه لزاويته الكائنة بحي شيخ برنو" أسس الشيخ هذه الزاوية عام 1954م، حيث اشترى أرضا بالناحية الشمالية لحي سلطان برنو وبدأ يوسعه حسب ازياد المريدين الذين يتدفقون على الزاوية"[3].

---

[1]– المصدر نفسه.

[2]– المصدر نفسه/ص269.

[3]– لقاء مع الشيخ المسكين في منزله مساء يوم الأحد الموافق 20 من شهر مارس 2008م.

مؤلفاته.

إضافة إلى الجهود العلمية والعملية الهادفة، فإن الشيخ لم يكتف بهذه الجهود بل زاد على ذلك بقلمه حيث ألف الكثير من المختلفة وفي مواضيع متعددة نذكرمنها.

1 – مخطوط أولياء العصر.

2 – علماء التصوف ببرنو.

3 – جامع الحكم والأمثال الفائقة المثال.

4 – قصيدة تصوف القوم.

هذه القصيدة على مستوى النقد الفني تعد من أهم القصائد التي سلك فيها الشيخ منهج الصوفية الأدبي في التعبير عن الشوق الإلهي والحب المتدفق لذات الرسول ﷺ.

رابعا:– الشيخ أبوبكر عتيق الكشناوي وإسهامه العلمي.

هو: العلامة أبوبكر بن موسى الشهير بعتيق الكشناوي، ولد بمدينة كانو سنة 1329هـ، ونشأ في مدينة كانو وتربى في كفالة جدته والدة أبيه السيدة رحمة بنت العالم عبد المالك، وهي امرأة صالحة متمسكة بالطريقة التجانية، قد ربته على الهمة العالية فاتجهت نيته إلى طلب العلم"[1].

شيوخه.

اتصل الشيخ أبوبكر عتيق بشيخه الشيخ محمد سلغ فقرأ عليه كتب الفقه المالكي مثل: المقدمة العزية والرسالة وإرشاد السالك ومقدمة ابن رشد، وكان يأخذ منه إلى جانب ذلك أشياء أخرى، فقد أخذ عنه علوم الكلام والعقائد على مذهب الإمام الأشعري، فقرأ عليه أم البراهين للإمام محمد بن يوسف السنوسي الحسني، وكتاب دليل القائد إلى معرفة العقائد لعبد الرحمن سليم الأدجلي، وقرأ عليه المنهل

[1]– الفيض الهامع في تراجم السر الجامع/ص16/مصدر سابق.

العذب للشيخ محمد بن سليمان الوالي البرناوي والإضاءة للشيخ المرقش، وقرأ عليه مختصر الشيخ خليل إلى أن وصل معه باب النكاح فاخترمته المنية"[1].

ولما توفي الشيخ محمد سلغ خلفه ابنه عبد الله في حلقة التدريس، فقرأ عليه الشيخ أبوبكر عتيق مختصر خليل الذي كان قد بدأه مع والده من أوله إلى آخره، وصار معه كالوزير يشاوره في جميع أموره لما يعلم من اعتناء والده به، فرافقه إلى الحرمين للحجة الأولى عام 1370هـ".[2]

اتصل الشيخ بعد العودة من مناسك الحج بالشيخ أبي بكر مجنيو، " فأخذ عنه جميع علوم التصوف والعقائد وقرأ عليه عددا كبيرا من الكتب المتعلقة بالتصوف كالحكم العطائية لأحمد بن محمد بن عطاء الله والمباحث الأصلية لأبي البنا أحمد بن محمد بن يوسف وبعض كتب الطريقة التجانية كمنية المريد لابن بابا ومبلغ الأماني في بيان أمور الأولياء، وأحمد التجاني للشيخ عمر الوالي الزكزكي وبغية المستفيد للسيد محمد العربي بن السائح ورسالة الحق والانتصار لمحمد بن الصغير الشنغيطي وغير ذلك من كتب التصوف"[3].

ولم يتأثر أحد بالشيخ أبي بكر مجنيو كما تأثر به الشيخ عتيق"[4].

مؤلفاته.

1 - رسالة تنبيه الإخوان بنصوص الأعيان على تحريم الدخان.
2 - إرشاد الأحبة لنصوص تحريم التبغة.
3 - مفتاح الفيض الرباني في التوسل إلى الله اسمه ونبيه العدناني.
4 - المورد الهني في ما أنتجه الوارد السني.
5 - جواهر الأسرار المكنونات في التوسل بأسماء الله المصونات.
6 - إتحاف الاخوة الكرام بما يورث رؤية النبي في المنام.

---

[1]- المصدر نفسه/ص2.

[2]- المصدر نفسه.

[3]- تفريج الجوى بذكر مناقب الشيخ أبي بكر مجنيو/ص24 وما بعدها.

[4]- ينظر: الشيخ أبي بكر عتيق وديوانه هدية الأحباب والخلان أطروحة دكتوراه قدمها محمد الأمين لنيل درجة التخصص العالي (الماجستير) بجامعة بايرو كنو/ص19 .

7 - ألفية المستغيثين بسيد المرسلين المسماة بكشف الكربات. في ألف بيت.

8 - الفيوضات الأحمدية في الصلاة على خير البرية.

9 - منهل الأبرار في الصلاة على النبي المختار.

10 - السعادة الأبدية في الصلاة على خير البرية.

11 - إفادة المريد بشرائط ورد شيخنا السديد.

12 - تحفة الفقراء بمدح سيد الأنبياء.

13 - الداعية إلى وعظ إمام الزاوية.

14 - إعانة البلداء بالمنظومة الرقطاء.

15 - إجابة السائل بكثير من المسائل.

16 - رسالة الفيوضات الرحمانية في الأخلاق الأحمدية التجانية في أربع كراريس.

17 - القصيدة الكافية وهي ثمانون بيتا خمسها، وكذلك خمّسها صديقة العلامة الناصر كبر، وشرحها بشرح راق سماه: الفتوح الدودية في شرح الكافية العتيقية في نحو ست كراريس.

18 - منظومة هذيان الشارب كيمياء حب معطي الرغائب.

19 - منظومة مفتاح الأغلاق في مدح حبيب الخلاق.

20 - الحل والإطلاق لإشارات مفتاح الأغلاق.

21 - رسالة النصيحة لكافة أهل الطريقة.

22 - إغاثة الضعيف بفوائد الاسم اللطيف.

23 - منظومة طرائق الوصول إلى حضرة الله والرسول.

24 - الرسالة العتيقية إلى الحضرة العثمانية.

25 - فتوحات المنان في أجوبة أسئلة الاخوان.

26 - الهندواني الزاجر عن مطالعة السيف الباتر.

27 - رسالة تحصيل الوطر في ترجمة الشيخ سلغ بن الحاج عمر.

28 - منظومة السر المطلسم في علماء الإسلام في الاستغاثة بالاسم الأعظم.

29 - منظومة النور اللامع في مدح الحبيب الشافع.

30 – الفيض الهامع في تراجه أهل السر الجامع.

31 – منظومة المواهب الأحدية في مدح الحضرة المحمدية.

32 – منظومة منجية النسوان والولدان من الوقوع في هوى النيران.

33 – إزاحة الشحن بترجمة الشيخ محمود بن الحسن.

34 – قطف الثمار اليانعة نظم وصايا شيخنا الجامعة. وهو نحو ألف وتسع وخمسين بيتا.

35 – منظومة النور البارق في مدح حبيب الخالق.

36 – إبراز الفائق الكامنة في النور البارق.

37 – السقف المرفوع لحل إشارات البيت المرفوع.

38 – أسنى الذخائر في وصف كتاب الجواهر.

39 – مطية الجد إلى كشف أسرار البيت الفرد.

40 – منظومة: منهج الخاص في بيان الإخلاص.

41 – إظهار الميس في شرح أبيات امرؤ القيس.

42 – إزاحة الهجر في شرح قصيدة ابن حجر.

43 – النصح العام للخاص والعام.

44 – نصح الأحباب عن قبول أقاويل أهل الارتياب.

45 – إرسال الأعنة في تظم أسماء وتواريخ سلاطين كشنة.

46 – تزيين السلوك بذكر تاريخ ما لحصن كنو من الملوك.

47 – السر المصون في كيفية استخراج اسم الله المكنون.

48 – إعلام الأقارب والأباعد بما وقع في أرض سكتو من هدم المساجد.

49 – القول المفيد لأسباب حروب الشيخ عمر بن سعيد.

50 – الصارم المشرفي على المنكر الغبي.

51 – الرسالة المستعجلة في التحذير من الدجاجلة.

52 – بذل الندى في حل ألفاظ منظمة مقام لدى سدرة المنتهى.

53 – إفادة المعتقدين بأدلة صحة ما عليه الذاكرين.

54 – إتحاف الأحباب بذكر وقعة أحد ومن بها من الشهداء.

55 – مفيدة الخلان في إثبات وجود المربين في كل زمان.

56 – الدرر اللامعة على الأسئلة النافعة.

57 – مناهل الرشاد في الأجوبة على أسئلة أهل تشاد.

وله العشرات من المؤلفات في مواضيع فقهية وصوفية لا يتسع المقام لذكرها، ولقد تواصل نشاطه في التدريس والتأليف والدعوة إلى الله تعالى"[1].

ولقد وقفت على سلسلة للشيخ عتيق لحديث جاء في مسند أبي داود الطيالسي في فضيلة ذكر الله تعالى ومجالسة الذاكرين، فأحببت أن أورده لما له من قيمة علمية وتاريخية، فقد أخبر الشيخ به الشيخ الشريف إبراهيم محمد الصالح إجازة، ورواه عنه على هذا النحو: أخبرني أبو الأسرار مولانا أبوبكر بن العالم خضر الكشناوي إجازة، قال أخبرني شيخ الإسلام المجدد الحاج إبرهيم بن الحاج عبد الله إنياس الكولخي، قال أخبرني حافظ العصر بلانزاع نادرة الدنيا المحدث السيد محمد عبد الحي الكتاني قال أخبرني الإمام الجليل مسند الحجاز أبو الحسين علي بن طاهر الونزري المدني عن الشهاب أحمد منة الله الشباسي المالكي والشمس محمد التميمي المصري كلاهما عن العلامة الحافظ محمد الأمير الكبير عن شيخه الحافظ الحفني عن شيخه البديري عن الملا إبراهيم عن العارف ابن حجر عن الصلاح ابن أبي عمر عن الفخر بن البخاري عن القاضي أبي المكارم أحمد بن محمد اللبان وأبي جعفر محمد بن أحمد الصيدلاني عن الحسن بن أحمد الحداد عن الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني حدثنا يونس بن حبيب العجلي، حدثنا أبو داود قال حدثنا محمد قال حدثنا يزيد عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : لأن أجالس قوما يذكرون الله عز و جل من صلاة الغداة الى طلوع الشمس أحب الي مما طلعت عليه الشمس ولأن اذكر الله من صلاة العصر الى غروب الشمس أحب إليّ من أن أعتق ثمانية من ولد إسماعيل دية كل واحد منهم اثنا عشر الفا فحسبنا دياتهم في مجلس فبلغت

[1]– المصدر السابق/ص35 وما بعدها.

ستة وتسعين الفا وها هنا من يقول أربعة من ولد إسماعيل والله ما قال إلا ثمانية دية كل واحد منهم اثنا عشر الفا"[1].

وفاته.

توفي الشيخ عتيق بكانو يوم الأربعاء التاسع من ربيع الثاني سنة 1974م بالغا من العمر أربعا وستين ودفن بغَوْرَن دوظي"[2].

خامسا: الشيخ أبوبكر مجنيو وإسهامه العلمي .

هو: الشيخ أبوبكر بن محمد بن عبد الله الكنوي مولدا ومسكنا البرناوي أصلا، كان عالما متفننا، ولد 1331هـ 1895م، ونشأ في صيانة وعفاف، وأخذ العلوم عن أربابها، أخذ عن مشايخ عدة واستفاد منهم أسرارا مستمدة ومستندة"[3].

شيوخه.

أخذ الشيخ مجنيو عن مشايخ عدة واستفاد منهم علوما وأسرارا كثيرة، فقد قرأ القرآن على والده حتى ختمه ثم واصل قراءة كتب الفقه على يديه ككتاب قواعد الصلاة، وكتاب القرطبي للشيخ يحيى القرطبي، وكتاب ابن رشد، وابن عاشر، وكتاب الأخضري، والعشماوي، والعزية، والرسالة لابن أبي زيد القيرواني، وإرشاد السالك، ومصباح السالك من كتب الفقه المالكي، وقد حفظ كل هذه الكتب عن ظهر قلب"[4].

وأما تعلمه للحديث فقد قرأ الأربعين النووية، وكتاب تنبيه الغافلين، والجامع الصغير، والجامع الكبير، وكتاب الشفاء، ومن علم العقيدة قرأ على والده الست والستين صفة من صفات الله تعالى الواردة في كتاب قواعد الصلاة، وقرأ كتاب إرشاد الصبيان، وقطر الغيث، وزبدة العقائد...

1- الاستذكار لما لعلماء برنو من الأخبار والآثار/ص5 وما بعدها/ والحديث راود في مسند أبي داود الطيالسي/ سليمان بن داود البصري الطيالسي/ج1/ص281/الحديث رقم (2104) دار المعرفة/ بيروت/د.س.ن.

[2]- هدية الأحباب والخلان في تاريخ الشيخ أبي بكر عتيق/محمد الأمين/صد 19.

[3]- الفيض الهامع في تراجم أهل السر الجامع/أبوبكر عتيق/ص7/النهار للطبع والنشر والتوزيع/القاهرة/د.س.ن.

[4]- تفريج الجوى بذكر مناقب الشيخ مجنيو/إبراهيم فرح الأبدي/18/مطبعة يابي/كانو/1429هـ2008م.

ولما توفي والده انتقل إلى الشيخ زبير بن لقمان دنبزو الذي قرأ عليه كتب اللغة العربية وآدابها، فقرأ عليه كتاب الأجرومية وملحة الإعراب وكتاب الدالية لابن ناصر وكتاب البدماسي وكتاب الوسائل المتقبلة الخمس وهو المسمى بالعشرينية للفازازي وكتاب الوترية وكتاب العشرية وكتاب ابن الوردي وكاتب مقامات الحريري وغيرها، ولما فرغ من هذه الكتب التحق بالشيخ محمد سلغا بن أبي بكر فأخذ عنه كتاب ألفية ابن مالك في النحو وكتاب الحصن الرصين لعبد الله بن فوديو السابق الذكر، ثم التحق إلشيخ إبراهيم المعروف بمالم نظغني فقد أخذ عنه كتبا كثيرة منها: كتاب نظم الكبرى للشيخ محمد طاهر، وكتاب متن الكبرى للشيخ محمود السنوسي، وكتاب منظومة الأوجلي، وكتاب المنهل العذب، وكتاب نظم حدوث العالم للشيخ سليمان الوالي، وكتاب المنهج الفريد في شرح السنوسي الصغرى، وكتاب الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري، وكتاب لامية الجزائر للشيخ الجزائري، وجوهرة التوحيد للشيخ إبراهيم اللقاني، وكتاب بدأ الأماني للشيخ الأشي"[1].

ولذا يمكن حصر شيوخه في القائمة الآتي:

1 - والده الشيخ محمد عبد الله.
2 - العالم زبير دنبزو .
3 - العالم محمد بن الحسن المعروف ب"مالم سلغ"
4 - العالم إبراهيم كبر وهو المعروف بمالم نظغني.
5 - الشيخ العالم محمد العلمي.

تلاميذه.

درس الكثير من طلاب العلم على يديه، وجل من درس عنه يعد من أبرز رجالات الطريقة التجانية والذين لهم باع طويل في الإسهام العلمي في الطريقة التجانية نذكر منهم.

1 - الشيخ أبوبكر عتيق.
2 - الشيخ أحمد التجاني بن عثمان زنغن بري بري.

[1]– تفريج الجوى بذكر مناقب الشيح مجنيو/إبراهيم فرح الأبدي /صـ21.

3 – الوزير محمد غطاطو وزير سلطان كانو.

4 – الشيخ محمد الثاني بن الحسن الكافنغي.

5 – الشيخ محمد الثاني بن آدم جبريل بقن روا.

6 – الشيخ عثمان طيسو.

7 – الشيخ نوح إمام يول.

8 – الشيخ أبوبكر الفلاني الفندكي.

9 – الشيخ الماهر محمد الرابع.

10 – الشريف المصطفى أياغي.

11 – العالم محمد الثاني لكُورُو جِنغَوْ

12 – الشريف عيسى شريفي"[1].

نكتفي بذكر هؤلاء الأئمة من تلامذة الشيخ مجنيو، وإلا فإن العشرات من الأسماء ترد في قائمة من تلقى عنه، وأغلبهم ممن أحرز قدم السبق في ميدان العلم تعليما وتأليفا.

مؤلفاته.

1 –النفحة الرحمانية بذكر الشروط وأوراد الطريقة التانية. وهو نثر فصل فصل فيه شروط وأوراد الطريقة التجانية.

2 –مشرب الإفضال: نظم فيه فصل المقال ما يرفع الإذن في الحال لمحمد الحافظ التجاني المصري.

3 –سلم الدراية ومفتاح باب الولاية: وأبياته 434.

4 –القصيدة المسماة بالدرر في مدح الختم التجاني الأكبر. مكونة من أربعين بيتا.

5 –تحصيل المفاخر في ختم كتاب الجواهر في مناقب ختم الأكابر.

6 –مفتاح الجدى في ذكر معجزات مصباح الهدى وهو رجز في 731 بيتا.

7 –تنوير الإفهام في شرح اصطلاحات الأعلام.

---

[1]– المصدر السابق/30 وما بعدها.

8 –مفتاح المدد في ذكر الأولياء المحصورين بالعدد.

9 –وروض الأماني في ذكر أصحاب الشيخ التجاني. وهو رجز نظم فيه رجال كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ من الأصحاب للعياشي سكيرج، وأبياته 443 وكتبه الشيخ في خمسة أيام سنة 1357هـ.

10 –تائية السقا في مدح صاحب القطبانية العليا. وهي قصيدة في ستين بيتا"[1].

11 –نيل الأماني في التوسل بالشيخ التجاني وبأصحابه ذوي القرب والتداني، ويتوسل فيه برجال كشف الحجاب السابق ذكره وأبياته 347.

12 –نفحات القادر على المريد التجاني. في الرد على مؤلف السيف الباتر الملاوي التجاني.

13 –الفيوضات الأحمدية في شرح القصيدة المحمدية، وهي قصيدة نبوية أرسل بها إلى الحاج محمد علي حرازم المهاب ابن الشيخة القارعة سنة 1359هـ.

14 –الأنوار البرقية في ذكر ما للفقير إلى الله أبي بكر بن محمد بن عبد الله من أسانيد الطريقة.

15 –قصيدة النفاثات الكنوية بالنفحات العلوية القدسية بتخميس السنية الهاشمية في مدح صاحب الختمية.

16 –كشف الغمة في إغاثة أهل الفيضة. وفيه حوالى مئة وست وستين بيتا تكلم عن منزلة الشيخ إبراهيم إنياس، بعد أن تتحقق مشهده.

17 –المواهب الربانية في أسئلة وأجوبة التجانية"[2].

ويمكن أن تصنف مؤلفاته على أنها ركزت على فقه الطريقة التجانية ومدح شيوخها والردود على منتقيديها، ومع ذلك فإن كبار الطريقة التجانية في نيجيريا يحيطونه بكل وقار وتعظيم لما له عليهم من فضل في التعليم والتربية، يقول عنه أبرز تلاميذه الشيخ أبو عتيق" وهذا السيد أخذت منه علوما وأسرارا وحكما وأنوارا، وهو مرجعي في علم هذه الطريقة وفي جميع علوم أهل الحقيقة وما انفتحت عيون بصيرتي إلا بين يديه، ولا أفتخر إلا بما لديه، وها أقتطف بين أشجار

---

[1]– المصدر السابق/ص33.

[2]– – المصدر السابق/ص34.

بساتينه ورياضه، وأشم من روائح أعطار أزهاره وأغترف من مياه أنهاره وبحاره جزاه الله عني خيرا"[1].وقد شهد لهذا الشيخ الشيخ إبراهيم الصالح بالصلاح كما شهد له الشيخ أبوبكر بالعلوم، فقد قال عنه" هذا العالم من علماء القرن الرابع عشرة من الهجرة على صاحبها أزكى الصلاة وأكمل التحية، كان رضي الله عنه بحرا مواجا في جميع العلوم والمعارف، وقد نقل الكثير من علوم القوم وحكمهم إلى هذه الديار، وكان حاد الذكاء قلا يطلع على كتاب فلا يحفظه من مرة، وقد أخبرني تلميذه العالم خضر عتيق أن أول من لفت أنظارهم وهيأهم على الإقبال على الفيضة حين ظهرت هو الشيخ المذكوروقدرس فيهم كل علوم الأسرار "[2].

وقد قال عنه العالم وزير كانو محمد غطاطو" بعد أن قرأ عليه ألفية التصوف للقطب مصطفى بن كمال البكري فلما أكمل القراءة كتب بحاشي الكتاب ما نصه" يقول كاتب هذه الأحرف وزير كنو محمد غطاطو: فليعلم الواقف على هذه البراءة إني نقلت هذه الألفية من أولها إلى آخرها من الأستاذ الشيخ أبي بكر...، فوجدته فيها بل وفي غيرها بحرا زاخرا لم أر ساحله ولم أدرك منتهى قعره، ولا يعلم قدر ما فيه من الدرر واللآلي إلا من غاص فيه فإن الله تعالى يعطي ما يشاء لمن يشاءفإنه على كل شيء قدير"[3].

مع أن الوزير المذكور كان من أكابر العلماء وقد بلغ الغاية في جميع الفنون – فقها وحديثا وتوحيدا وتفسيرا وتصوفا– لدرجة قال عنه الشيخ ابوبكر عتيق:" وقد بلغ من شأنه أنه لا يظن أحد من علماء أرضنا أنه يحتاج إلى أحد ليتعلم منه العلم، لما علموا من جمعه لفنون العلوم، ومع ذلك تراه أذعن وسلّم قيادَه، حتى قال في قولته السابقة، فهذا أكبر دليل على بلوغ هذا الشيخ الغاية القصوى في المعارف الربانية"[4].

---

[1]– لفيض الهامع/أبوبكر عتيق/امصدر السابق/ص8.

[2]– الإستذكار لما لعلماء برنو من الآثار والأخبار/الحسيني/ص2/مصدر سابق.

[3]– الفيض الهامع في تراجم أهل السر الجامع/أبوبكر عتيق/ص11.

4– المصدر نفسه.

توفي الشيخ مجنيو عام 1366هـ ليلة الثلاثاء 12من ربيع الأول ودفن ضحى وله من العمر ثلاث وخمسون سنة"[1].

سادسا:- الشيخ أحمد بن علي أبو الفتح وإسهامه العلمي.

هو: الحاج أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن محمد المصطفى بن محمد المختار بن آدم بن داود بن عبد القادر بن الزبير بن عباس بن حسين بن إسحاق بن سليمان بن زين العابدين بن أحمد بن محمد النفس للزكية بن عبد الله الكامل بن حسن المثنى بن حسن السبط بن سيدتنا فاطمة الزهراء وسيدنا علي بن أبي طالب بنت رسول الله ﷺ وكنايته أبو الفتح اليرواوي أوالبرناوي نسبة"[2].

شيوخه.

يقول الشيخ إبراهيم الصالح:" إن الشيخ أحمد أبا الفتح أخذ عن جمع غفير من العلماء منهم:

1 - الشيخ العالم غوني غربه والد العالم أبا غوني الصديق: الذي قرأ عليه القرآن الكريم.
2 - العالم أبوبكر الدواكي، في قرية من قرى كانو تدعا دواكي.
3 - العالم أبوبكر متازو: الذي قرأ عليه تجويد القرآن الكريم"[3].

وإثر رجوعه من السفريات المختلفة في طلب العلم إلى ميدغري كرس جهوده لنشر العلم، فشكل مدرسة لتلقي العلم يفد إليها الطلاب لتلقي علوم النحو والفقه والتصوف، ثم فكر في تأسيس معهد للصغار يجري التدريس فيه على النظام الحديث، فأسس مدرسة باسم "مدرسة أنوار الإسلام في التعليم والنظام سنة 1954 م"، فلما انتقل إلى حارة " لامسلا" انتقل مع مدرسته وفي عام 1970م ابتاع لها مكانا في حارة (أبه غنارم) وتضامنا معه في هذه الفكرة البناءة تفضلت

1- المصدر نفسه.

2- فتح الرحمان في الإستغاثة ببعض آيات القرآن ومدح سيد الأكوان ﷺ / الشيخ أحمد أبو الفتح/ص: ج/د.د.ن.

3- االاستذكار لما لعلماء برنو من الأخبار والآثار/ص90.

وزارة التربية والتعليم لولاية الشمال الشرقي لنيجيريا فبنت له فصلين فيما بنا من الفصول"[1].

ومنذ إنشاء هذه المدرسة عام 1374هـ 1954م تخرج فيه حتى الآن آلاف الطلاب الذين شغلوا مناصب مرموقة في البلاد في شتى المؤسسات.

واتخذت هذه المدرسة اسم " معهد الحاج أحمد أبو الفتح" ثم توسعت ليكون لها قسم ثانوي علمي وأدبي، وسماها ثاوية الشبخ أحمد أبو الفتح، وبعد ذلك بثلاث سنوات افتتح قسم خاص لتحفيظ القرآن الكريم، وكل هذه الأقسام يشرف عليها مؤسسة باسمه سميت (مؤسسة الشيخ أحمد أبي الفتح)"[2].

مؤلفاته.

له عدة كتب في مواضيع علمية متعددة، يقول الشيخ إبراهيم الصالح" لقد كتب عددا من الكتب في فنون شتى، وكلما كتب كتابا أخذناه عنه، فمن ذلك:

1 معين الطالب الراغب في مصطلح الحديث. وقد شرحته شرحا واسعا استعنت فيه بتدريب الراوي لجلال الدين السيوطي وألفية العراقي وشروحها التبصرة للمؤلف وفتح الباقي لشيخ الإسلام زكرياء الأنصاري وفتح المغيث للسخاوي، وألفية السيوطي وشرحها للترمسي وحاشية أحمد محمد شاكر عليها، وكذلك علوم الحديث لابن الصلاح ونكت العراقي عليها إلى غير ذلك".[3] ومن مؤلفاته كذلك:

2 العشريات.

3 تحفة الأطفال في النحو.

4 زيارة الجواهر من يواقيت ألفاظ ودرر وحكم في فنون علوم شتى..

5 فتح الرحمن في الإستغاثة ببعض آيات القرآن ومدح سيد الأكوان ﷺ.

---

[1]- ومضة من دور الشيخ أبي الفتح في التعليم/صالح أحمد أبو الفتح/ص7/د.دن.

[2]- يراجع: المرجع السابق/ص8.

[3]- الاستذكار/الحسيني/ص87/مصدر سابق.

6 نتائج الأسفار في الصلاة على النبي المختار.
7 إفاضة الرباني في توضيح صلاة الفاتح لما أغلق.
8 له رسالة بعنوان (دور الطريقة التجانية بالديار المغربية) ويليها بحوث في ولادة الشيخ أحمد التيجاني ونشأته وتعلمه وتعليمه، وهي عبارة عن ورقة عمل قدمها في ندوة الطرق الصوفية التي نظمتها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية.

تلاميذه:

من تلاميذه يبرز اسم الشيخ إبراهيم محمد الصالح الذي تلقى عنه الكثير من الدروس فقد قال عنه:" فقد لازمته بعد مغادرة شيخي الإمام محمد الشنقيطي إلى الحرمين الشريفين فأخذت عنه علوما كثيرة في المنقولات والمعقولات أصولا وفروعا، وحضرت دروسه في الفقه، والأصول، والأدب، والنحو، والصرف، والبلاغة، والتفسير، والحديث، والسيرة، وكان يدرسنا الفقه المالكي من الأخضري والعزية والإرشاد والرسالة ومختصر خليل وشرحه، وفي الفقه الأصولي البداية والنهاية لابن رشد الحفيد رحمه الله، وفي اللغة والأدب؛ الأجرومية، وملحة الإعراب للحريري، والعمريطية ولامية الأفعال لابن مالك، والمقامات للحريري، والخلاصة لابن مالك، مع شرح ابن عقيل عليها، وديوان الشعر الجاهلي والعشرينية"[1].

ومن تلاميذه الشيخ أبوبكر المسكين، والشيخ الشريف أحمد التاني والشيخ آدم طن كلوري، وهؤلاء كلهم من طلائع مشائخ الطريقة في ميدغري ولهم زوايا ومعاهد دينية خدمة العلم والإسلام في المنطقة .

توفي الشيخ في شهر صفر 1423هـ 2003م. في حادث سيارة إثر رجوعه من مدينة كانو في رحلة لتعزية أقرباء أحد مريديه، رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

[1]- المصدر السابق/ص87/

سابعا:- الشيخ محمد العلمي وإسهامه العلمي.

هو: العارف بالله محمد بن عثمان العلمي الشريف الحسيني، نزل كنو زمن سلطانها عثمان بن عبدالله في شهر رمضان 15 أو 22 سنة 1341هـ وهو الذي أمر ببناء الزاوية التجانية في كنو، حين جمع العلماء والمقدمين والتجار وغيرهم من عامة الناس، فوعظهم وعظا مبكيا، وزجرهم وأمرهم بالتآلف والتوادد ونهاهم عن التقاطع والتحاسد، وكان يوما مشهودا، ثم استشارهم في بناء الزاوية فوافقوه على بنائها، فبنيت على أحسن وجه وأكمل حال بإذن من سلطان كنو السلطان عثمان بن السلطان عبد الله وأعانهم بكثير من مستلزمات البناء"[1].

وقد شاهد الناس عجائب أثناء بناء الزاوية، ومن ذلك أنهم ابتدأوا البناء وقت مطر فانهدم البناء بعد أن قارب التمام، فلم يتركوا العمل لشدة همتهم في البناء، فاحتبس المطر إذ ذاك نحو أربعين يوما حتى استقامت الزاوية، لأن الشيخ أمرهم بالعزم والتشمير قائلا: أمر هذه الزاوية قائم بإذن الله تعالى"[2].

وبمجيء الشيخ محمد العلمي انتشرت الطريقة التجانية في كانو وما والاها من البلاد المجاورة بسبب بناء هذه الزاوية وإن كانت منتشرة قبل مجيئه، فدخل الناس فيها فوجا فوجا لما شاهدوه من لوائح الأنوار، وهذا الشيخ هو الذي عثر على يديه هذه الكتب التي تعد أمّهات في علمي التصوف، وهي:

1- الياقوتة الفريدة.
2- المواهب اللطيفة للنظيفي.
3- الدرة الخريدة.
4- الكوكب الوهاج.
5- كشف الحجاب.
6- تيسير الأماني شرح شهدة الجاني.
7- الإفادة الأحمدية للطيب السفياني.

---

[1]- الاستذكار /الحسيني/ص38

[2]- الفيض الهامع/أبوبكر عتيق/ص18

وغيرها من كتب الطريقة التجانية زاده الله خيرا"[1].

ويقول الشيخ أبو بكر مجنيو في وصف هذه الشخصية:" كان ﷺ ذا همة عالية وقوة هاشمية وكشوفات جلية، يعرف ذلك ويعترف به كل من حضره وجالسة على الصدق والتسليم، فإذا شرع في نصح الحاضرين في الله ووعظهم بما وعظهم الله به فلا يزال ينقي قلوبهم وينكس خاطرهم...، ومارأيت ولا سمعت من رجال الطريقة الأحمدية أعرف بأسرارها وأورادها الخاصة وأسمائها وأحكامها وظواهرها وبواطنها وخلواتها وجلواتها مثله، وما انتفعت بأحد كانتفاعي به"[2].

على هذا النحو يصف هذا الشيخ السيد أبوبكر مجنيو، وهو من هو في الشهرة والعطاء العلمي كما مر أن امتدحه الشيخ أبوبكر عتيق، وبعد رحيله إلى الرفيق الأعلى قام بأمر الزاوية الشيخ محمد سلغا الشيخ المباشر للشيخ أبي بكر عتيق، ووزير كانو محمد غطاطو بعد أن لازمه وقرأ عليه فقه الطريقة.

ثامنا: الشيخ أحمد التجاني زنغن بري بري وإسهامه العلمي.

هو: أبو البشير أحمد التجاني بن عثمان بن محمد، ولد في حارة (دوكاوا) وترعرع فيها حيث تلقى تعاليمه الأولى عند والده، ثم لما أراد أن يسافر إلى السودان للتجارة جعل ولده المبارك في يد منبع الطريقة الشيخ مالم أدهم باكن زوو، فرباه مع سائر أولاده كالحاج أحمد الملقب (دتيجو) ومالم بشير وغيرهما، ولد الشيخ سنة 1918م"[3]. وقيل 1914م"[4].

ولعل الأول هو الراجح نظرا لأن القائل به هو ولد صاحب الترجمة، فلقد قال الآخذ عنه" وهذا الطرف من التاريخ قلما تجده من أحد إلا عن طريق دتيجو أدهم"[5]. (ابن الشيخ)

---

[1]- المصدر السابق/الصفحة نفسها.

[2]- المصدر نفسه/ص19.

[3]- قصاصة حثيثة في ترجمة الشيخ أحمد التجاني بن عثمان الكنوي مفسرا على مناهجه الحديثة/محمد السنوسي/ص31/د.د.ن/1429هـ 2008م.

[4]- تفريج الجوى بذكر مناقب الشيخ أبي بكر مجنيو/إبراهيم فرح الأبدي/ص25/مصدر سابق.

[5]- قصاصة حثيثة/محمد سنوسي/ص33.

شيوخه.

درس الشيخ أحمد التجاني على الشيخ أبي بكر مجنيو وقد د رس عليه مجموعة من كتب الفقه والحديث والتفسير والتوحيد والتصوف، إلا أنه برع في علم التفسير.

وفي سياق تبحره في علم التفسير يرد وصف أحد الكاتبين عنه فيقول:" يبدأ الشيخ تفسير الآية فيفسرها حرفا حرفا كلمة كلمة أو يجمل في البيان ثم يستخرج ما كان من علم البيان وعلم النحو والصرف والمعاني والبديع والوعد والوعيد وبيان الحلال والحرام والوعظ والقصص والإنذار والتبشير، وغير ذلك، وإذا أراد مزيدا من البيان حول قصة مروية من الأحاديث، والآثار، وبيان العلماء، أطنب حتى يبين المعنى المراد من تلك الأحاديث"[1].

وقد رافق الشيخ أبابكر مجنيو بحسن المرافقة وتعلم منه خير التعلم وكان ممن يفتخر بهم الشيخ في توريث أسراره حتى أصبح من أكابر علماء مدينة كنو، وعاش في زنغن بري بري إلى أن توفاه الله في 27 شوال 1390هـ"[2].

تلاميذه.

يذكر هنا أبرز تلاميذه ممن برع فيما بعد وأصبح هو بدوره كعبة يتجه إليها طلاب العلم من كل حدب وصوب. وذلك على النحو الآتي:

1 الشيخ إسماعيل إبراهيم.
2 الشيخ مال عبدو.
3 الشيخ محمود سلغ.
4 الشيخ مالم سلي كلا.
5 الشيخ مالم لون تيلا.
6 الشيخ مالم علي القاضي.
7 الشيخ محمد الثاني جوس.

1–المصدر نفسه/ص48.

2– تفريج الجوى بذكر مناقب الشيخ أبي بكر مجنيو/ص25.

8 الشيخ لون جوس.

9 الشيخ مالم نياب.

10 – الشيخ إبراهيم بركن.

11 – الشيخ مالم كبير هنتوا.

12 – الشيخ ثاني دورا"[1].

تاسعا:– الشيخ آدم طن كللوري.

هو: الشيخ آدم محمد الشهير بـ"طن كللوري" ولد بقرية كتاغم بولاية بوثي عام 1920م، نشأ نشأة دينية كريمة محفوظا بالأخلاق النبيلة وطيب النفس كثير الحياء والأدب، مقبلا على الجد والاجتهاد مائلا إلى الانفراد مشتغلا بالعلم حفظ القرآن الكريم ولم يبلغ الحلم.

تعلمه وشيوخه.

خرج الشيخ لطلب شيخ مرشد يعلمه ويدله على الله، فأشير إليه أن يأخذ الطريقة التجانية فإنه واجد مراده فيها، فاتجه إلى الشيخ آدم الدمغراوي لأخذ ورد الطريقة التجانية لكن الشيخ آدم الدمغراوي تأخر عن الرجوع فالتحق بالسيد "معلم بابا" الذي ترك ورد الطريقة مؤخرا، وذلك عقب زيارة حفيد الشيخ التجاني لمدينة ميدغري، وهو ما دفع الشيخ آدم للاتصال بالشيخ آدم الدمغراوي الذي كان ينتظره.

هرول الشيخ أدم إلى شيخه الدمغراوي بواسطة صديقه المرحوم الشيخ يوسف مقدم، وأخذ عنه ورد الطريقة، وكان يزوره لتلقي العلوم حتى جعله مقدما في الطريقة، وأذن له فيها بإجازات متعددة:[2].

-ويقول السيد عبد الله عن مكانة هذا العالم "إنه من أجلّ العلماء الأتقياء ومن رجال الطريقة الذين عاشوا تحديات الفيضة وقدموا التضحيات من أجل الطريقة التجانية في منطقة ميدغري"[1].

---

[1] قصاصة حثيثة في ترجمة الشيخ أحمد التجاني بن عثمان الكنوي/70.

[2] –مدرسة الشيخ آدم طن كللوري ومساهمتها في المجتمع الإسلامي/أبه بشير آدم طن كللوري/رسالة لنيل شهادة الدبلوم في التربية الإسلامية كلية الكانمي للدارسات الإسلامية/ص57/ميدغري مخطوط في الأرشيف.

من تلاميذه.

يعتبر هذا الشيخ من أبرز الشخصيات المتخصصة في تخريج حفظة القرأن الكريم خاصة. فقد شُهد له ببراعته في تحفيظ القرآن مما شد أنظار الناس إليه من كافة أرجاء نيجيريا، فمع استقراره في مدينة ميدغري إلا أنه ظل كعبة لطلاب حفظ القرآن الكريم من كل من يوبي وأدماوا وتربا وإن كانت مدينة كانو تحتل المركز الأول في إيفاد الطلاب إليه.

التقيت الشيخ بشير ثالث طن روننشا نائب إمام المسجد الجامع للشيخ إبراهيم إنياس الكائن بمدينة كانو، ويعتبر من الرعيل الأول المتخرجين على يدي هذا الشيخ حيث كان رابع أربعة من الدارسين الأوائل عند الشيخ، فذكر لي قائمة طويلة من تلاميذ هذا الشيخ الذين يقودون عملية التعليم الديني في مدينة كانو وهم:

1 – الشيخ إسماعيل بن إبراهيم.
2 – مالم عبدو.
3 – مالم محمد نمعجي طن دادا .
4 – الشيخ عبد الرزاق.
5 – مالم عبد الحميد بثي.
6 – مالم سلي كلاًّ .
7 – مالم علي القاضي.
8 – مالم ثاني أغيغي.
9 – الدكتور محمد الطاهر آدم.
10 – الدكتور الأمين محمد عمر.
11 – مالم طن ألماجري فغي.
12 – الشيخ بشير ثالث طن رونشا.
13 – مالم سعيد ريمن غدو.
14 – السيد مالم آدم (مي سنن مالم)

[1]– مقابلة مع السيد عبد الله الخليفة/في منزله الكائن بمدينة ميدغري.

15 – مالم عمر متازو.

16 – الشيخ سعيد ساتو.

17 – الشيخ الدكتور مالم نور الدين موسى. الرئيس اليسابق لكلية الشريعة والقانون والدرسات الإسلامية – لأمين كانو.

18 – المحامي محمد الطيب مختار. المستشارالخاص لمحمد بللو عضو مجلس الشيوخ حاليا.

19 – الشيخ برهام أيوب الكتبي.

20 – الشيخ حبيب عيسى نائب إمام مسجد الشيخ أحمد التجاني يقوفرماتا.

21 – الشيخ مالم نسيدي: المفسر والواعظ الشهير بمدينة كانو"[1].

هذا العدد الكبير الذي تحفل به مدينة كانو من خرجي مدرسة الشيخ آدم طن كللوري دفعهم لتشكيل رابطة خريجي مدرسة الشيخ آدم، وكانت تتخذ من موسم شهر ربيع الأول ملتقى لعقد مؤتمر سنوي يضم كل الدارسين والمتخرجين في هذه المدرسة، حيث يناقشون قضاياهم وتطلعون لما يفيد واقعهم ومستقبلهم من خلال هذا الؤتمر، ولا زال الشيخ حي يواصل عطاءه العلمي في مدينة ميدغري.

عاشرا: الشيخ ثاني كافنغ وإسهامه العلمي.

هو: محمد الثاني ولد سنة 1330هـ 1914م وقد تعلم علوم الطريقة وعلوم النحو وبرز فيه حتى صار يكنى سيبويه، ويعتبر من خيرة من صحب الشيخ أبي بكر مجنيو ولازمه للخدمة حتى زوجه ابنته نفيسة، وكان يدعوه بفيسي نسبة إلى زوجته (نفيسة)"[2].

ويقول الشيخ ثاني كافنغ عن صلته بالشيخ أبي بكر مجنيو" ولازمته وكنت أمشي أمامه يعني أمام فرسه إذا ركب، ويستعين بي إذا أراد الركوب أو النزول،

---

[1]– مقبالة مع الشيخ بشير ثالث طن رونشا رابع أربعة من طلاب الشيخ الأوائل بمنزل الشيخ نسيدي الكائن بمدينة كانو مساء يوم الاثنين الموافق 26 من ذي الحجة 1430هـ 6–ديسمبر 2020م.

[2]– تفريج الجوى بذكر مناقب الشيخ أبي بكر مجنيو/الأبدي/ص26.

وانتفعت به كثيرا وقرأت عليه فنونا كثيرة وزوجني ابنته نفيسة وكان يمازحني إذا دخلت عليه.

توفي الشيخ ثاني كافنغ يوم الاثنين 25 شوال 1409هـ الموافق 1989م"[1].

لنا بعد الحديث عن أبرز شيوخ الطريقة التجانية في ميدغري وإسهاماتهم العلمية أن نتطرق للحديث عن مشكلات الخطاب الصوفي في نيجيريا من خلال هذا الفصل مركزين على ما يعتبر أبرز مشكلاته المنحصرة في: المشكلات الموضوعية للخطاب الصوفي، ومشكلة الصدام مع تيار السلفية في نيجيريا ومعقبين بإصلاح الخطاب الصوفي في نيجيريا بين الواقع والمتوقع .

[1]– المصدر السابق/الصفحة نفسها.

الفصل الثالث:

مشكلات الخطاب الصوفي في نيجيريا.

المبحث الأول: مشكلات موضوعية في الخطاب الصوفي.

المبحث الثاني: مشكلات صدام الخطاب الصوفي مع تيار السلفية في نيجيريا.

مدخل:

يمكن تصنيف مشكلات الخطاب الصوفي في نيحيريا على أساس أنها مشكلات موضوعية تنطلق من ممارسات الصوفية أو المتصوفة بالأحرى والتي لا تعبر عن الصوفية الحقة، ولا يقرها أئمة التصوف المنصفون، أو من أدعياء اندسوا في التصوف اندساسا ليشهوا صورته الناصعة ولكنهم بطبيعة الحال يحسبون على التصوف بما أنهم تقنعوا بقناعه وتلبسوا بزيه، أما مشكلة صدام الخطاب الصوفي مع بعض الاطياف الإسلامية في نيجيريا فإنها في الغالب الأعم مشكلات مغرضة يتعرض لها الخطاب الصوفي من غير الصوفية الناقمين على التصوف جملة وتفصيلا، فهؤلاء ليس عندهم ماهو إيحابي من التصوف، ولا يشيدون بأئمة الصوفية المستقيمين والذين لم يجد الإمام ابن تيميه بُدًّا من ذكرهم بكل تقدير والثناء عليهم بما هم أهله، وتظهر أوجه هذا الصدام ممن يدعون الانتماء لمنهج ابن تيمية، وهم أطياف السلفية بكل تسمياتهم واختلاف جمعياتهم وتباين مناطقهم لكنهم يجمعون على شيء واحد هو موقفهم من التصوف، وإذا كانت المشكلات الموضوعية قد عمل بعض رجال الإصلاح الصوفي للحد من مظاهرها، فإن مشكلات الصدام الصوفي مع تيار السلفية في نيجيريا لم تجد من يوليها الاهتمام من المسلمين في نيجيريا من أجل التحام اللحمة ولم شمل الأمة فالكل مسلمون في النهاية، ولا يضر هذا الانقسام إلا الوجود الإسلامي في نيجيريا.

المبحث الأول:- صور مشكلات الخطاب الصوفي بين الماضي والحاضر.

على الرغم من نجاحات الخطاب الصوفي في الدعوة والإصلاح وصيانة المجتمع من الانحلال الخلقي وحفظه من الانسلاخ الملحوظ عن القيم الإسلامية بتربية الوازع لديني، وإذكاء الروح الإيمانية في القلوب ومحاربة التنصير والوثنية والاستعمار والخواء الروحي الذي سببه طغيان المادة في الجتمعات المتمدنة، فإنه أُخذ عليه – ما ضيا وحاضرا – جملة من المشكلات الموضوعية التي لا يماري فيها حتى أئمة الصوفية بأنها غشيت بعض الصوفية في الأداء والممارسة، تتمثل هذه المشكلات في الآتي:

أولا: تجافي غالبا من الصوفية العلوم الشرعية وانغماسهم في سرد الكرامات والخوارق .

وقد ذكر ابن السراج الطوسي أسباب أخطاء الصوفية المنهجية والحركية، فقال:" إني نظرت إلى الفرق الذين غلطوا فو جدتهم على ثلاث طبقات:

فطبقة منهم: غلطوا في الأصول بسبب من قلة إحكامهم لأصول الشريعة، وضعف دعائهم في الصدق والإخلاص، وقلة معر فة بذلك، كما قال بعض المشايخ: إنما حُرموا الوصول لتضييع الأصول.

وطبقة ثانية: غلطو في الفروع، وهي الآداب، والأخلاق، والمعاملات، والأحوال، والأفعال، والأقوال، فكان ذلك من قلة معرفتهم بالأصول ومتابعتهم لحظوظ النفوس ومزاج الطبع...،

والطبقة الثالثة: كان غلطهم فيما غلطوا فيه زلة وهفوة، لا علة وجفوة، فإذا تبين عادوا إلى مكارم الأخلاق ومعالي الأمور...، وكل طبقة من هذه الطبقات الثلاث، على أحوال شتى من التفاوت والإرادات والنيات..."[1] .

وقد مر بنا نقد الإمام الغزالي لاعتماد الصوفية العقل سبيلا للبحث عن الحقيقة، وذلك حيث قال:" كم من صو في بقي في خيال واحد عشر سنين إلى أن يتخلص منه، ولو كان قد أتقن العلوم أولا، لتخلص منه على البديهة" [1]

1- اللمع/للطو سي/صد: ٥١٨ومابعدها.

2- المقصد الأسني في شرح اشماء الله الصسننى/أبوحامد الغزالي/صد: ١٤٨.

فالمشكلة هنا موضوعية، وهي أن كثيرا من الصوفية لا يأخذون قدرا من العلم اللازم لاستناد شعائرهم وعباداتهم التي لا تعبر في الحقيقة إلا على لباب الإسلام وثمرته، والمشكلة الموضوعية إما أن تكون من أدعياء التصوف الذين يلبسون ثياب التصوف ويرددون أقوال الصوفية وهم في الحقيقة مسيئون للصوفية مشوهون لصورته النقية الناصعة، وإما منتسبون حقا للصوفية ولكنهم يتخطون في ممارسة شعائر الصوفية الشريعة ويجرون للصوفية سيلا من الطعن والإنكار المغرض.

يقول الشيخ إبراهيم الصالح الحسيني:" كل أهل الله مجمعون على ذم الأدعياء الذين يفسدون في الدين ولا يصلحون، كما أن المنكرين يهدمون الإسلام وقيمه الروحية بتجاوزهم لحقائقه من حيث لا يشعرون"[٢].

وإنكار بعض العلماء على أفعال شاذة منسوبة إلى الصوفية إنما يستهدف هؤلاء الغلاة المنحرفين من أدعياء التصوف، ولطالما حذر مرشدوا الصوفية الناس منهم، قال الشيخ أحمد زروق رحمه الله تعالى في (قواعد التصوف):" فغلاة المتصوفة كأهل الأهواء من الأصوليين، وكالمطعون عليهم من المتفقهين، يرد قولهم ويتجنب فعلهم، ولا يترك المذهب الثابت بتبنيهم له وظهورهم فيه، إن الخير والشر موجود في كل طائفة من الناس إلى يوم القيامة، فليس كل الصوفية سواء، كما أنه ليس كل العلماء والفقهاء والمدرسين والقضاة والتجار والأمراء سواء، إذ فيهم الصالح وفيهم الأصلح، وفهم الفاسد وفيهم الأفسد، هذا أمر ظاهر لا شبهة فيه عند الجمهور، أعرف الحق تعرف أهله، ويعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال....

ونحن ننكر ما أنكره العلماء على هؤلاء الأدعياء من المتصوفة المنحرفين، الشاذين عن دين الله تعالى، وأما المتمسكون بالكتاب والسنة المستقيمون على شرع الله تعالى، فهم الذين نعنيهم، ونقتفي أثرهم" [١].

ويؤكد الشيخ الحسيني وجود المندسين بين طرق الصوفية حيث أسسوا بأسمائهم طرقا تدعو إلى الأهواء والضلالة، فيقرر المنهج الذي يرتأيه للوقوف أمام

---

[٢] – حقيقة الطريقة التجانية/إبر اهيم صالح الحسني/ص ١٨.

[١] – قواعد التصوف/الشيخ أحمد زروق/ص٥٨ومابعدها.

وجوه هؤلاء الأدعياء حيث قال:" ولست أنكر أنه قد اندس بين طرق المحققين من أسس باسمه طريقا تدعو إلى غير الدين أو انتمى إلى طريق أهل الهدى، وهو ضال مضل، وهذا لا يضر أهل الحق شيئا، فإن الميزان موجود والأصل الذي يرجع إليه ثابت، وهو الكتاب والسنة والإجماع، فمن أحل حراما أو حرم حلالا أو خالف أصلا مجمعا عليه عند أهل السنة فأولئك هم الذين نسأل الله أن يستأصل شأفتهم"[1].

ثانيا: من مشكلات الصوفية كذلك سرد كرامات الأولياء من دون الحديث عن بشريتهم.

يورد الحسيني أثرا عن ابن المبارك عن الشيخ عبد العزيز الدباغ ﷺ أنه قال:" إن الذين ألفوا في كرامات الأولياء ﷺ وإن نفعوا الناس من حيث التعريف بالأولياء فقد أضروا بهم كثيرا من حيث إنهم اقتصروا على ذكر الكرامات، ولم يذكروا شيئا من الأمور الفانية التي تقع من الأولياء الذين لهم تلك الكرامات حتى إن الواقف على كلامهم إذا رأى كرامة على كرامة وتصرفا على تصرف وكشفا على كشف، توهم أن الولي لا يعجزه في أمر يطلبه ولا يصدر منه شيء من المخالفات ولو ظاهرا فيقع في جهل عظيم، لأنه يظن أن الولي موصوف بوصف من أوصاف الربوبية، وهو أنه يفعل ما يشاء ولا يلحقه عجز، أو موصوف بوصف من أو صاف النبوة وهو العصمة"[2] .

ويقول الشيخ أحمد بن الحاج العياشي سكيرج في معرض الرد على التجانيين الذين يعلقون على الشيخ التجاني كرامات يعتقدون أنها من الثناء عليه وتعظيمه، غير أنهم يسيئون في حقه يقول:" نعبر عما انطوى عليه في مؤسس هذه الطريقة الأحمدية التجانية مصرحين باعتقادنا فيه من أنه ﷺ يجري عليه ما يحري على الأولياء ممن لم يحصل على مرتبة النبوة، فهو غير معصوم ولو بعد تحققه

1- الكافي في علم التزكية/إبراهيم صالح الحسيني/ج4/ص200.

2- الإعلام بصفات أهل الولاية الأعلام/إبر اهسم صالح/ص٢٠.

بالمقام المختص به من الولاية المحمدية الخاصة، غير أنه ﷺ محفوظ حفظا لم يبلغ درجة العصمة...، فلا ينبغي لنا اعتقاد العصمة الثابتة للأنبياء فية"[1].

ثالثا:– ويرِد في سياق مشكلات الصوفية اعتبار عصمة الشيوخ بعيدا عن الحديث عن بشريتهم رؤية أن من انتسب إلى الطريقة التجانية لا يضره ذنب، وأن من لم ينتسب إلى الطريقة فإنه يموت على سوء الخاتمة، وهو أمر شائع في الخطاب الصوفي النيجيري عموما وفي صفوف التجانيين منهم على وجه أخص، أورد الشيخ سكيرج أبيات لتفنيد هذه المزاعم التي تسيئ للشيخ وطريقته فقال:

إلى الله أشكو من أناس تنطعوا * وصالوا على هذي الطريق بعصيان .

فقالوا مقالا في الطريق مفنــدا * ليـــــــــؤذوا مريديها بسر وإعـلان.

يقولون قال الشيخ من حاز ورده* بإذن فلا يخشى موارد عصـــــيان.

ليفعل ما يهوى ولايختشي الردى * ويجتنب التقوى لأنـــــــه تجانـي.

فو الله لا يجري على فكر عاقل * قبـــــــول جزاه الله أعظم حرمـان.

وهذي الطريق من شروط سلو كها* ملازمة التقوى على قـــدر إمكان

ومن رام تضليل التجاني وصحبه * بما قاله الأعداء بـاء بخســـران"[١].

ويقول في حق الذين يرون أن الإنسان إذا لم يلقن الورد التجاني فإنه ليس بمسلم أو لا يكتمل إيمانه بالأحرى"

ألا لعنة الله العظيم على الذي * افترى مثل هذا القول طول أزمان

فقال بأن الشيخ قال طريـــقه * بها يكمل الإيمان في أهل إيمان

وقال بأن المرء ليس بمـسلم * إذا لـــــم يلقّن ورده بين إخـوان

لعمركمُ أن التجاني لم يقــل * مقالة هذا القائل المفتري الشانـي

ولا شك أن المسلمين جميعهم * يقولون ما هذا المقال لتيـــجاني

وقد برهن الإنصاف أن طريقه * منزهة ممـــــا له نسب الجانـي

ولكن عين البغض تنظر للقذى * وتطبيقها أطباق جلمود هميان

فإن لم يكن عن فرط جهل مركب* فذاك جحود وهو يفضي لخسران" [٢]

---

[1]– جناية المنتسب العاني فيما نسب بالكذب للشسخ التجاني/العياشي سكيرج/ص٥.

[١] – المصدر السابق/ص٢٤.

وقال ابن المبارك ﷺ:" ولو أن الناس الذين ألفوا في الكرامات قصدوا إلى شرح حال الولي الذي وقع التأليف فيه فيذكرون ما وقع له بعد الفتح من الأمور الباقية الصالحة والأمور الفانية لعلم الناس الأولياء على الحقيقة، فيعلمون أن الولي يدعو تارة فيستجاب له، وتارة لا يستجاب له، ويريد الأمر فتارة يقضى وتارة لا يقضى كما وقع على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ويزيد الولي بأنه تارة تظهر الطاعة على جوارحه وتارة تظهر المخالفة عليه كسائر الناس، وإنما امتاز الولي عنهم بأمر واحد هو ما خصه الله تعالى به من المعارف ومنحه من الفتوحات.."[1].

رابعا:- ظاهرة التّمَشْيُخ والادعاء التي أصبحت ملجأ كثير من المتصوفة لكسب المال والجاه والسمعة، فتجد الواحد منهم ينصب نفسه إماما من غير أهلية لمقام الإمامة الشرعية التي مناطها العلم والعمل حتى يكون قدوة، وقد برع في هذه الظاهرة ثلة من الشباب المتصوفة في شكل أزياء ومراسم معينة وطريقة حديث يجذبون بها السذج .

رابعا: ويأتي في سياق الادعاء والتشيخ من غير حق ظاهرة توريث أبناء من توفي من الشيوخ مهام الطريقة، ويعتبر ذلك دليل انحطاط فكري وثقافي استقر عليه الأمر في هذا الزمان، في الوقت الذي يجب أن يكون فيه مشايخ الصوفية علماء روحانيين ربانيين يتركون الامر لأهله.يقول الشيخ إبراهيم إنياس في مقدمة كتابه (تبصرة الأنام في أن العلم هو الإمام):" اعلم زادنا الله وإياك بسطة في العلم والجسم وسلامة في الإدراك والفهم؛ أن فضيلة الشخص التي توجب له لتقدم في الدين بالإمامة أو المشيخة بمجرد الانتساب قليلة لا يقبلها أولو الألباب"[2]، قال الإمام الفخر الرازي عند قوله تعالى:" ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾[3] فيه إرشاد إلى برهان يدل على أن الافتخار ليس بالأنساب، وذلك لأن القبائل للتعارف بسبب الانتساب إلى شخص فإن كان ذلك الشخص شريفاً صح الافتخار في ظنكم، وإن لم يكن شريفاً لم يصح، فشرف ذلك الرجل الذي تفتخرون به هو بانتسابه إلى

---

[٢] – المصدر نفسه/ص٢٢.

[1] الإعلام/ الحسيني/ص6.

[2]– تبصرة الأنام في أن العلم هو الإمام/إبراهيم إنياس/ص3/د.د.ن. /كانو نيجيريا

[3]– سورة الحجرات من الآية: 13

فصيلة أو باكتساب فضيلة، فإن كان بالانتساب لزم الانتهاء، وإن كان بالاكتساب فالدين الفقيه الكريم المحسن صار مثل من يفتخر به المفتخر، فكيف يفتخر بالأب وأب الأب على من حصل له من الحظ والخير ما فضل به نفسه عن ذلك الأب والجد؟ اللّهم إلا أن يجوز شرف الانتساب إلى رسول الله ﷺ، فإن أحداً لا يقرب من الرسول في الفضيلة حتى يقول أنا مثل أبيك، ولكن في هذا النسب أثبت النبي ﷺ الشرف لمن انتسب إليه بالاكتساب، ونفاه لمن أراد الشرف بالانتساب، فقال:"إنا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا صدقة" 1» أي لا نورث بالانتساب ، وإنما نورث بالاكتساب"2.

وقال الشيخ إبراهيم إنياس معقبا على هذا التعليق" وكما قال في روح البيان: وليس للطالب أن يلتفت في أثناء سلوكه إلى أحد من أهل الصدق والإرادة بأن يقبله ليربيه ويغتر بأنه شيخ يقتدى به إلى أن يتم سلوكه بتسليك مسلك كامل واصل، ثم أن يرى شيخه أن له مرتبة الشيخوخة فيثبته بإشارة التحقيق في مقام التربية ودعوة الخلق، فحينئذ يجوز له أن يكون هاديا مرشدا للمريدين باحتياط وافر، فقد قال تعالى ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾3 وأما في زماننا هذا فقد آل الأمر إلى أن من لم يكن مريدا قط يدعي الشيخوخة ويخبر بالشيخوخة الجهال والضلال من جهالته وضلالته حرصا لانتشار ذكره وشهرته وكثرة مريديه، وقد جعلو هذا الشأن العظيم لعب الصبيان وضحك الشيطان حتى يتوارثوه كلما مات واحد منهم كانوا يجلسون ابنه مقامه صغيرا كان أو كبيرا، ويلبسون منه الخرق ويتبركون به وينزلونه منازل المشايخ، فهذه مصيبة قد عمت.."4

وقد أورد الشيخ إبراهيم صالح للعلامة النظيفي مقالا في هذا السياق يستحسن سرده على النحو الآتي:

---

[1]- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال/علي بن حسام الدين البرهان فوري/تح:بكري حياني - صفوة السقا/ج12/ص488/مؤسسة الرسالة/ط:5/1401هـ/1981م

[2]مفاتيح الغيب/فخر الدين الرازي/ج14/ص193/د.د.ن.

3- سورة الرعد7

[4]- تبصرة الأنام في أن العلم هو الإمام/إبراهيم إنياس/ص8/كانو ،نيجيريا.

قال العلامة النظيفي:" يجب على المقدم أن يحذر من التمشيخ بمجرد أنساب أبيه أو جده الصالح لزعمه بجهله، وقلة عقله أن المشيخة بالنسب والحسب، واعتمادا على ألسنة العامة الجهلة، ومن عادتهم أن يسموا ولد من مات من أولياء الله بالشيخ، ولو كان لا يصلي، بل ولو كان من أفسق الفسقة لا ينادونه إلا بالشيخ ويعتقدون فيه مع ذلك الخير والصلاح ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [1]، ورحم الله من قال:

لئن فخرت بآباء ذوي نسب * لقد صدقت ولكن بئسما ودوا

قال تعالى ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾[2] وقال ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾[3] فافهم"[4].

ثم ذكر أنه يمكن أن يكون هذا المُتَمشْيِخ من أجهل العباد بما له وما عليه من الحقوق الحقية والخلقية، ومن أجهل العباد بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ فقال" وفي المدخل ثم العجب من ادعائهم المشيخة، وهم لا يعرفون مبادئ دينهم فكيف بالانتماء إلى المشيخة، وقد قال العلماء: " إذا صلى المكلف وهو لا يعرف المفروض والمسنون فلا تصح صلاته، وكذا لو سألته عن مفسدات الصلاة لما علمها، وكذا لو سألته عن حكم السهو إذا طرأ عليه في صلاته لما علمه، فإذا كان هذا حاله في أمر وضوئه وصلاته اللذين بهما قوام دينه وصلاحه فما بالك في غيرهما، فإذا كان هذا حال الشيخ في جهله بمبادئ أمر دينه فكيف بمن يعجبه أو بمن يجيزه"[5].

خامسا:- انحراف كثير من المنتمين إليه عن الإسلام الصحيح لكثرة ما خالطه من انحرافات تجلت في تقديس الأشخاص الزائد عن الحد الشرعي، والعصمة ودعوة من في القبور والاستغاثة بالأحجار الصماء.

---

[1]- سورة البقرة : من الآية: 156.

[2]- سورة هود: 46.

[3]- سورة الروم: الآية: 19

[4]- الكافي في علم التزكية/إبراهيم صالح/ج4/ص224 وما بعدها/النهار للطبع والنشر والتوزيع/القاهرة/د.س.ن.

[5]- المصدر السابق/ص225.

ومن هنا نشأ تقديس المشايخ باعتبار أنهم محفوظون. ومتصرفون في الكون وغيرها من العقائد التي أخذ بعضها من كيس الشيعة فأُشرِبَتْها الصوفية وتلقتها عنهم، ولذلك تجدهم ينهمكون في عمل الموالد عند أضرحة المشايخ ويطيلون الوقوف عند عتباتهم، وينسبون الخوارق والحكايات والخرافات إليهم، ويغلون فيهم غلواً يقع الخلط فيه بين الولاية والنبوة والربوبية، فيعتقدون في الشيخ النفع والضر، ويعلقون عليه متعلقات الرضا والسخط بنشوء مسبباتها، وهذه من خصائص الربوبية، كما يعتقدون فيه عدم الوقوع في الخطأ وهو من لوازم العصمة التي اختُص بها الأنبياء.

قال الشيخ الحسيني في معرض التفريق بين ذوات الأنبياء واختصاصاتهم وبين ذوات من يعتقد فيه الولاية :"... والعصمة من خصائص النبوة، والولاية لا تزاحم النبوة قال ابن المبارك" والخير الذي يظهر على يد الولي هو من بركته ﵁ أما ذات الإيمان الذي هو السبب في ذلك الخير إنما وصل إليه بواسطة النبي ﷺ، أما ذات الولي فإنها كسائر الذوات بخلاف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإنهم جبلوا على العصمة وفطروا على معرفة الله تعالى وتقواه بحيث إنهم لا يحتاجون إلى شرع تتبعونه ولا إلى معلم يستفيدون منه، والحق الساكن في ذواتهم وهو حرف النبوة الذي طبعوا عليه يسلك بهم النهج القويم والطريق المستقيم"[1].

ويواصل ابن المبارك ليفند هذا الخلط بين الولاية والنبوة الذي سقط فيه الصوفيه:" وكم سقط من هذا السبب فإنه إذا طالع الكتب المؤلفة في كرامات الأولياء صور الولي على نحو ما سمع في تلك الكتب، فإذا عرض تلك الصورة على أولياء زمانه شك فيهم أجمعين لما يشاهد فيهم من الأوصاف التي لا تكتب في الكتب ولو أنه شاهد الأولياء الذين دونت كراماتهم قبل تدوينها لوجد فيها من الأوصاف ما أنكره على أهل زمانه"[2].

سادسا:- يطرح الصوفية – غالبا – أنموذجا متخلفا عن الإسلام – يمجّد الفقر والاتكالية والدروشة في عصر أضحى فيه المسلمون أحوج إلى تحقيق تنمية

---

[1]- الإعلام بصفات أهل الولاية الأعلام/إبراهيم صالح/ص5/مصدر سابق.

[2]- المصدر السابق/ص8.

اقتصادية واجتماعية تعصم مجتمعاتهم من الوقوع في أحبولة التبعية المستديمة، والتصوف بهذا المفهوم المنحرف لا يحمل منهجاً يحدث تغييراً في الواقع؛ إذ هو محصلة من الخمول والمحو والفناء عن الحضور في واقع الفعل التاريخي والغيبة والسكر وهي مترادفات تشير إلى البعد عن الواقع، فأنَّى لمثل هؤلاء أن يبارزوا جاهلية منظمة؟ وكيف بمن يفنى عن الكون بمعناه السلبي أن يقوم بالتغيير؟ وكذا مجذوب لا يدري شيئاً، وهائم في القفار على وجهه أنى له أن ينشد النظام الإسلامي الحضاري؟"[1].

سابعا:- دعوى بعض المحسوبين عليه إعفائهم عن بعض التكاليف الشرعية المقررة بالكتاب والسنة بمقتضى الالتزام ببعض الأوراد المقررة في الطريقة.

والإمام الغزالي وقف من هذه الظاهرة موقفا واضحا في كتابه الإحياء حيث قال" ذلك أن بعضهم وقع في الإباحية وطووا بساط بساط الشرع ورفضوا الأحكام وسووا بين الحلال والحرام ...وهم فئات"[2].

وقد كشف ابن حزم في كتابه الفصل جانبا من هذه الظاهرة قديما حيث قال:" ادعت طائفة من الصوفية أن من أولياء الله تعالى من هو أفضل من جميع الأنبياء والرسل وقالوا من بلغ الغاية القصوى من الولاية سقطت عنه الشرائع كلها من الصلاة والصيام والزكاة وغير ذلك وحلت له المحرمات كلها من الزنا والخمر وغير ذلك واستباحوا بهذا نساء غيرهم وقالوا إننا نرى الله ونكلمه وكلما قذف في نفوسنا فهو حق"[3].

ويقرر جمهور الصوفية أن التكاليف الشرعية لا تسقط عن المكلف بأي حال حتى ولو بلغ درجة الوصول، بل إن الوقوف عند حدود الشرع والتمسك بأحكامه هو المقياس الذي يحكم به على صدق الصوفي الواصل مهما ظهرت عليه من الكرامات والأحوال، قال أبو يزيد البسطامي: لو نظرتم إلى رجل أُعطي من

---

[1]- ينظر: مجلة /المنتدى الإسلامي/العدد 223/ص35.

[2]- إحياء علوم الدين/الغزالي/ج3/ص405/مصدر سابق.

[3]- الفصل في الملل والأهواء والنحل/ا بن حزم الظاهري/ ج4/ص170/مكتبة الخانجي/القاهرة/د.س.ن.

الكرامات حتى يرتقي في الهواء، فلا تغتروا به، حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود، وأداء الشريعة"[1].

ويرد الشيخ إبراهيم صالح على أصحاب هذه النظرة من الصوفية بقوله:" اعلم أن التزام الوفاء بعهد الأذكار والأوراد وأعمال البر المأخوذة من الشارع سنة عمل عليها الصحابة ﷺ وهي سنة تثبتها السنة المشرفة، فهناك الكثير من نوافل الخير وأعمال البر تأمر بإدامة النوافل والقربات، ويستدل على ذلك بحديث حديث ابن عباس في اختصام الملأ الأعلا عند الإمام أحمد في المسند قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ أَتَانِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ اللَّيْلَةَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ أَحْسِبُهُ يَعْنِي فِي النَّوْمِ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى قَالَ قُلْتُ لَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ أَوْ قَالَ نَحْرِي فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى قَالَ قُلْتُ نَعَمْ يَخْتَصِمُونَ فِي الْكَفَّارَاتِ وَالدَّرَجَاتِ قَالَ وَمَا الْكَفَّارَاتُ وَالدَّرَجَاتُ قَالَ الْمُكْثُ فِي الْمَسَاجِدِ وَالْمَشْيُ عَلَى الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ وَإِبْلَاغُ الْوُضُوءِ فِي الْمَكَارِهِ وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَاشَ بِخَيْرٍ وَمَاتَ بِخَيْرٍ وَكَانَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ إِذَا صَلَّيْتَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْخَيْرَاتِ وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً أَنْ تَقْبِضَنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ قَالَ وَالدَّرَجَاتُ بَذْلُ الطَّعَامِ وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ"[2].

ثامنا:- ما يظهر على بعض الخطابات الطرقية من دعوات استعلائية، ترى الفضل والتميز على غيرها، مما يفضي بمزيد من الانشقاق والتصدع في جسد الأمة، على الرغم من وحدة المنطلق والهدف في أصول هذه الطرق كلها، وامتداد بعضها من بعض، بسلو كها جميعا إلى الله وحب رسوله وهو الغاية والمبتغى عند الجميع.

تاسعا:- إشكالية المعرفة فيه، أنه لا يعير وزنا للعقل كآلية من آليات المعرفة والتلقي، بل يحصر ذلك في دائرة الكشف الإلهي وتجلياته أو قبضه.

1- الرسالة القشيرية/ص13/مصدر سابق.

2- مسند أحمد/ج7/ص337/الحديث رقم (3304)

لذلك يقول فتحي يكن في مشكلات الدعوة أن "عناية الداعية بقلبه دون عقله ستجرده بلا شك من أقوى أسلحته، وأبعثها على انطلاقته وانفعاله، كما أن عنايته بعقله دون قلبه ستفقده أهم عوامل الاستقرار والاطمئنان والثبات، وشخصية الداعية لا يمكن ان تبلغ الكمال ما لم يتحقق صلاح القلب والعقل معا"[1] .

ويمكن أن يُعزا يعض من الانتقادات الشديدة التي نالت الخطاب الصوفي من بعض أدعياء السلفية، وشكلت نقاطا مركزية للصدام الصوفي السلفي إلى بعض من هذه المشكلات، والنقد الموضوعي لا يدع مجالا لإنكار بعض الممارسات التي تصدر من الحسوبين على الخطاب الصوفي هنا وهناك، والتي لا تعبر بحال عن روح الإسلام ومقتضياته في إعمار الكون.

وهذا بدوره يفرض على الصوفية أن يلتزموا بقدر من التربية الصوفية السليمة المقومة بميزان الكتاب والسنة، والتي تعمل على تكوين الشخصية الربانية التي تؤثر الخالق على المخلوق، والآخرة على الدنيا، وباعث الدين على باعث الهوى"[1] .

وهذا هو ميزان الشريعة الذي يدعو إليه كل السالكين إلى الله على اختلاف طرقهم ومشاربهم.

[1] – مشكلات الد عوة والداعية/فتحي يكن/ ١٠٢/مؤسسة الر سالة/د.ط/ ١٩٨١ هـ ١٤٠١.

[1] – أولويات الحر كة الإسلامية في المرحلة القادمة/د.يوسف القر ضاوي/٧٦.

المبحث الثاني:- مشكلة صدام الخطاب الصوفي مع تيار السلفية في نيجيريا.

واجهت التصوف خلال مسيرته اتجاهات متعددة، تراوحت بين الانتقاد والتحامل، والتعاطف والحياد، ولذلك صنف بعض المهتمين بالخطاب الصوفي تلك الاتجاهات وفق الآتي

١. اتجاه المواجهة.

يشن أصحاب هذا الاتجاه حربا شعواء على التصوف وأتباعه، لأنهم لا يرون فيه شيئا حسنا، ويعتبرونه كله ضلالا، ومعنى الإصلاح عندهم، إصلاح جذري يقوض كل المعتقد والممارسة، ويرون أن ظاهرة التصوف تمثل الانحراف الأساس في الجتمعات الاسلامية المعاصرة، فينبغي محاربة هذه الظاهرة وعدم المساومة في ذلك " [١].

٢- اتجاه القبول:

وهؤلاء هم الذين يؤمنون بالتصوف ويمارسون نشاطانه، وهم عادة لا يتحدثون عن سلبيات التصوف ويتجاهلونها مع علمهم بها، وكذلك لا تخفى عليهم ممارسات أتباعهم الخاطئة، لكنهم لا ينتقدونها، والسبب في ذلك إما فقدانهم الشجاعة لمواجهتها أو خوفهم من أن النقد يهز معتقد المريد ويضعف ولاءهم، ومن ناحية أخرى فإن منهم من يقبل المعتقد الفاسد على أساس تأويل النصوص تأويلا فاسدا لسوء فهمه، أو لسوء قصده.

٣- اتجاهات أخرى:

ثمة اتجاهات أخرى لها مواقف من التصوف منها الاتجاه المتسامح الذي يرى أن من حق الفكر الصوفي أن يكون له وجود في المجتمع كما لجميع ألوان الثقافات الأخرى حق البقاء، وأصحاب هذا الا تجاه يؤمنون بنسبية الثقافة وتعددها..."[١]

---

[١] منهجية لدراسة التصوف: أصول التصوف/عبد الله حسن زروق/ص ١١/المركز القومي للإنتاج الإعلامي/ الخرطرم/ط٢/ ١٤١٧ هـ١٩٩٦م

[١] – المصدر نفسه.

أما أصحاب الاتجاه الأول فهم السلفية المعاصرة التي وصف أحد دعاتها التصوف بقوله:" إن التصوف أدْنأ وألْأم كيد ابتدعه الشيطان ليسخر معه عباد الله في حربه لله، ولرسله، إنه قناع المجوس يتراءى بأنه رباني، بل قناع كل عدو صوفي، العداوة للدين الحق، فتّش فيه تجد برهمية، وبوذية، وزرادشتية، ومانوية وديصانية، تجد أفلاطونية، وغنوصية، تجد يهودية ونصرانية، ووثنية جاهلية، تجد فيه كل ما ابتدعه الشيطان من كفر، منذ وقف في جرأة الصوفية يتحدى الله، ويقسم بعزته أنه الذي سيضل غير المخلصين من عباده. تجد فيه كل هذا الكفر الشيطاني، وقد جعل منه الشيطان كفرا جديدا مكحول الإثم متبرج الغواية، ثم سماه للمسلمين (تصوفا) وزعم لهم وأيده في زعمه القدامى والمحدثون من الأ حبار والرهبان – أنه يمثل أقدس المظاهر الروحية العليا في الإسلام! أقولها عن بينة من كتاب الله، وسنة خير المرسلين صلوات الله وسلامه عليه، وبعون من الله، سأظل أقولها، لعلي أعين الفريسة التعسة على أن تنجو من أنياب هذا الوحش الملثم بوشاح الدعة الحانية العطوف، ولكن الصوفية سودا وبيضا، خضرا وحمرا، سلوهم: ماردكم على هذا الصوت الهادر من أعماق البحر؟ سيقولون ماقالت وثنية عاد ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ [1] وآلهتهم هي قباب أضرحة الموتى وأعتابها"[١].

هكذا يصف دعاة السلفية المعاصرة الصوفية، مع ما في قصة القباب والأضرحة هذه من تجنٍّ على أتباع الطرق الصوفية، فلم يكونوا في يوم من الأيام عبادا لها ولا معتقدين في قدسية ولا عصمة، ولكنهم أرادوا ألا ينظروا إلا الصوفية إلا بهذه العين العوراء التي تنظر إلى الناحية الفارغة من الكوب ليس إلا.

وإذا كانت هذه المواقف تتدرج حيال الصوفية عموما، فإنه يمكن أن تصنّف المواقف حيال التصوف بطريقة أكثر دقة إذا عدنا إلى الواقع النيجيري (موضوع الدراسة)، وألقينا نظرة على المواقف الإسلامية حيال التصوف، فإننا نجد أن ما يسمى بجماعة السلفية على تعدد مسمياتها واختلاف أقطابها، هم الأكثر مواجهة

---

[1]– سورة هود : من الآية: 54

[١] الفكر الصوفي (في ضوء الكتاب والسنة/عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف/ص 19.

للتصوف – فكرا وممارسة –، فما هي أو جه صدام الفكر السلفي مع التصوف في نيجيريا ؟.

أما الشيخ الحسيني فإنه يسرد أصناف المواجهة مع الصوفية بشيء من التفصيل، يقول في هذا الصدد:" إن الذين طعنوا في التصوف الإسلامي وتهجموا عليه، واتهموه بشتى أنواع الأكاذيب والافتراءات، ورموه بالانحراف والزيغ، إما أن يكون باعثهم على ذلك الحقد والعداوة المتأصلة للإسلام، وإما أن يكون سبب وقوعهم في هذا الإثم جهلهم المطبق بحقيقة التصوف.

١- أما الصنف الأول: فهم أعداء الإسلام من الزنادقة والمستشرقين وأذنابهم وعملائهم الذين صنعتهم الصليبية الماكرة، والاستعمار البغيض ضد الإسلام ودكّ حصونه وتشويه معالمه، وقد كشفهم السيد محمد أسد في كتابه: الإسلام على مفترق الطرق"[٢].

٢- وأما الصنف الثاني: فهم الذين جهلوا حقيقة التصوف الإسلامي ولم يأخذوه عن رجاله الصادقين وعلمائه المخلصين، بل نظروا إليه نظرة سطحية لا عن التمحيص والتبيين، وهم أقسام:

أ- قسم أخذوا فكرتهم عن التصوف من خلال أعمال وسلوك بعض الدخلاء والمنحرفين من أدعياء التصوف، دون أن يفرقوا بين التصوف الحقيقي الناصع، وبين يعض الوقائع المشوهة التي تصدر عن الدخلاء على الصوفية والتي لا تمت إلى الإسلام بصلة...

ب – وقسم خدعوا بما وجدوه في كتب السادة الصوفية من أمور مدسوسة أومسائل دخيلة، فأخذوها على أنها حقائق ثابتة دون تحقيق أو تثبت، أو أنهم أخذوا الكلام الثابت في كتب الصوفية ففهموه على غير مراده حسب فهمهم السطحي وأهوائهم الخاصة، دون أن يرجعوا إلى كلام الصوفية الواضح الذي لا يحيد عن لب الشريعة"[١]

---

[٢] حقيقة الطريقة التجانية/الحسيني/ص ١٣/مصدر سابق.-

[١] المصدر نفسه/ص١٤وما بعدها.

ج– وقسم هم المغشوشون المخدوعون الذين أخذوا ثقافتهم وعلومهم عن المستشرقين وتبنوا مزاعمهم وأباطيلهم كأنها بدهيات لا تقبل الجدل، ولم تسعفهم الفطانة والذكاء إلى إدراك حقيقة هؤلاء المستشرقين الذين نصبوا أنفسهم وجندوا ثقافتهم لهدم الإسلام وتشريعه ومعالمه وطعنه في جوهره.

وفي إطار تصنيفه لأطراف الصراع مع الطريقة التجانية يرى أن طأئفتين من الناس هم طرفي الصراغ البارزين.

الأولى: طائفة الوهابية التي لها غرض في تكفير الصوفية وتبديع تجربتهم الروحية.

الثانية: طائفة الأدعياء من جهلة الأتباع من التجانيين أنفسهم لا ستحكام الجهل فيهم"[1].

وإذا كنا قد أفضنا الحديث عن الصنف الثاني الذين هم أدعياء الصوفية في المبحث السابق، فإننا على موعد مع عرض لنماذج من أوجه الصراع الصوفي الوهابي أو السلفي لتدرك مدى حدة الصراع بين أبناء الأمة الواحدة التي يجب أن توحد جبهتها الداخلية بعيدا عن صراع لا طائل منه، في وقت يتربص بهم العدو داخليا وخارجيا

وسأورد هنا نموذجين من نماذج الصراع الصوفي السلفي من خلال: كل من الشيخ أبى بكر جومي وهو رئيس قضاة شمال نيجيريا سابقاً، وعضو المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية وعضو رابطة العالم الإسلامي، ومحمد طاهر ميغري البرناوي المحاضر بَجامعة بايرو– لأن لهما مواقف واضحة مكتوبة ومذاعة ومنشورة في أغلب دور النشر النيجيرية، فضلا عن ذيوع صيتهما ومركزيتهما في الأوساط الإسلامية والأكاديمية، حتى عُدا ألد أعداء أصحاب الطرق وعلى رأسها الطريقة التيجانية.

وإزاء الهجوم المتصاعد على المبادئ والمعتقدات الصوفية والذي أسهمت به جماعة إزالة البدعة وشيوخها في نيجيريا قام الشيخ إبراهيم صالح بإصدار كتابه: التكفير أخطر بدعة تهدد السلام والوحدة بين المسلمين في نيجيريا والذي صدر في القاهرة عام ١٩٨٢م، حيث اصطلح على الجدل الدائر بين مشايخ التيجانية في

[1] المصدر نفسه/ص٢٨.

ذلك الوقت اسم جدل التكفير، نظرا لأن علماء جماعة إزالة البدعة اتهموا المتصوفة بالكفر، وعليه فإن كتاب التكفير يمثل خطابا دفاعيا للصوفية للرد على آراء الشيخ أبي بكر جومي مؤسس جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة في نيجيريا، إذ سعى الشيخ إبراهيم صالح إلى تفنيد آراء جماعة إزالة البدعة التي تصف الصوفية بالكفر، وفي هذا السياق يقول الحسيني:" كانت نيجيريا البلد الإسلامي الكبير في القارة السوداء، المعروف بعراقة إسلامه وأغلبية سكانه، والذي قاد الجهاد فيه رجال من أئمة التصوف والتزكية، وأئمة من أئمة الفقه الإسلامي قد تعرضت بصورة مباشرة إلى هذا العدوان (يعني عدوان فرق التكفير) بدرجة تفوق ما تعرضت له جميع البلدان المسلمة في أفريقيا مجمعة إن لم نقل إنه يفوق ما تعرضت له جميع بلدان العالم الإسلامي في جميع القارات، لأن من شاهد أحداث القتل والسلب والنهب والحرق والتدمير التي تجري من وقت لآخر في كبريات مدن الشمال النيجيري لا يسك في صحة ما نقول، وقد مرت كل من كانو وكدونا وبرنو بتجربة قاسية من هذا النوع"[1].

ويقول الحسيني إنه اختار لذلك منهجا حذرا وموضوعيا يعتمد على الصبر وبناء الحجة المنطقية، ويبدو أن هذا الطرح الذي قدمة الشيخ الحسيني إنما كان يهدف إلى محاولة شرح معتقدات التيجانية وجعلها مقبولة من عامة الناس، بيد أن أبرز هجوم تعرض له الشيخ إنما جاء من إبراهيم سيدي السوداني الذى وصع كتابا أسماه (السم الزعاف) المضمن في كتاب التكفير لإفساد الطريقة والإتلاف، حيث شكك في انتماء الشيخ إبراهيم صالح للتيجانية الصحيحة واتهمه بأنه أقرب إلى التفكير الوهابي الذي يحاول بشتى الطرق تدمير الطريقة التيجانية.

وبالإضافة إلى هذا الانقسام الداخلي الصوفي الصوفي فإن الهجوم السلفي تركز على كتاب (جواهر المعاني) وهو المرجع الأساس الذي تقوم عليه الطريقة، إذ يضم أقوال وأفعال مؤسس الطريقة الشيخ أحمد التيجاني، وقد قال الحسيني في سياق رده على هذا الاتهام:" إن هذا العمل قد صدر في أكثر من طبعة غير أصلية وغير

---

[1] التكفير/الحسيني/ص أ/ط٤/مصدر سابق.

موثّقة بما يعني أنها غير معترف بها في الطريقة، ربما أدى ذلك التحليل إلى غضب الجيل القديم من مشايخ التيجانية، وبعض المعاصرين المتعالمين من أبناء التيجانية كإبراهيم سيده وغيره، ولنقف على وقائع الصدام بين الصوفية والسلفية في نيجيريا، والتي لأجلها ألّف الشيخ إبراهيم صالح كتاب التكفير.

أساس مشكلة الصدام بين الطرفين هي: أن زعيم إزالة البدعة وإقامة السنة التي مثلت أول واجهة للسلفية في نيجيريا" قد كتب تقريرا عن التصوف وبالأخص الطريقة التجانية والقادرية، واعتدى في هذا التقرير على الإسلام وأصوله فضلا عما عداه، بل أنكر آيات من القرآن وأحاديث من السنة النبوية، فقد رد تسبيح الأشياء وكون القرآن ذكرا وأنكر الإلهام وزعم أنه من الوحي الذي لا ينزل إلا على الأنبياء إلى آخر ما جاء في التقرير، وبعد المناقشة التي جرت بينه وبين قادة الصوفية في مدينة لا غوس تراجع (جومي)عن كل ما جاء في هذا التقرير، ووقع معهم اتفاقية عرفت في ما بعد باتفاقية سكتو، وبعد رجوعه إلى مقره نقض هذا الاتفاق، وأنكر الاتفاقية التي قضت ألا يطبع أحد ما جاء في تلك التقارير، فخالف ذلك الشرط، وترجم تقريره إلى لغة هوسا ونشره، وأذاعت نبأه هيئة الإذاعة البريطانية تحت عنوان (الإسلام وما يهدمه) وكان من ضمن منتقداته صلاة الفاتح وما جاء في فضلها، وزعم بأن الشيخ التيجاني يفضلها على القرآن مع العلم بأن الشيخ التجاني أوضح بما لا يدع مجالا للشك بأن القرآن أفضل من جميع الأذكار وتلاوته أفضل من جميع الأعمال مطلقا، ولا يساويه في هذا الباب لا صلاة الفاتح ولاغيرها من المتلوات أو المقروءات، ولما رأينا صنيع هذا الرجل في نشر تقريراته قمنا نحن أيضا بنشر بعض ما جرى في تلك المناقشات ضمن كتاب التكفير"[1].

وفي عام 1996م نشر الحسيني كتابا ثانيا أسماه: المغير على شبهات أهل الأهواء وأكاذيب المنكر على كتاب التكفير، يمثل هذا الكتاب مرحلة مهمة في إطار تطور أدب الرسائل بين الإخوان الصوفية، فقد تبنى المؤلف إستراتيجية هجومية لاذعة كما يظهر من العنوان، وذلك للرد على صاحب السم الزعاف الذي وصفه في المغير بأنه جاهل وملحد، ويتضح معالم المشروع الفكري للشيخ إبر اهيم

---

[1]- ينظر : التكفير/الحسيني/ص 5/ط1998/4م.

صالح في كتاب المغير، حيث إنه أكد على ضرورة تخليص الصوفية من الدخلاء الذين شوهوا مبادئها ومعتقداتها، والأمر الذي ألحق بها عظيم الضرر، فقد حرص على تأكيد هذه الردود، وإعلان براءته مما ألحق به، فأرسل هذه الردود إلى مختلف البلاد، فقال في إحدى رسائله: "وأما ما ذكره الأعداء من أني أكفر بالظن وبالموالاة أو أكفر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة فهذا بهتان عظيم يريدون به تنفير الناس عن دين الله ورسوله"[١].

أما الآن فإلى الحديث عن ثاني أنموذج من نماذج الصدام الصوفي السلفي ذلك الرجل هو محمد طاهر ميغري البرناوي المحاضر في جامعة بايرو- في كانو- وقد كان تيجانيا بلغ فيها درجة يتمناها كل تيجاني كما قال ذلك في مقدمة كتابه(الطريقة التيجانية دين جديد هدام لعقيدة الإسلام وشريعته) حيث يتبين للواقف وقفة يسيرة على مؤلفات هذا الرجل أنه يصف الطرق الصوفية بالكفر والإلحاد والزندقة، كما يرى أن الغاية من الدعوة إليها، هي محاربة لكتاب الله وسنة رسوله بصرف الناس عن القرآن بالأوراد، وصلاة الفاتح التي ادعى التيجاني أن الملك نَزَلَ بها على البكري مكتوبة في صحيفة من نور وأنها تعدل القرآن ستة آلاف مرة بل أضعاف ذلك، مستدلا بقول الصوفية لأتباعهم: إن القرآن ثقيل- كما قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [1] فهو لثقله يخرب الديار ويزلزل البيوت- فيكتفي بالأوراد التي أجْرُهَا أضعاف أجر القرآن ستة آلاف مرة أو أكثر وهي سليمة العواقب.

أما كتبه التي ألفها لشن الحرب على الصوفية وعلى التيجانية بالخصوص ولا تزال مخطوطة فهي:

الأول: الطريقة التيجانية دين جديد هدام لعقيدة الإسلام وشريعته.

الثاني: إبطال ادعاء رؤية النبي ﷺ يقظة.

الثالث : التيجانية آخر مظهر للباطنية القرمطية الإسماعيلية.

الرابع : كتاب في المهدي.

---

[١] المصدر نفسه/ص٢٠ومابعدها-

[1]- سورة المزمل : الآية 5.

والكتب الثلاثة الأولى هي في الأصل كتاب واحد بعنوان (التعليمات المفيدة) وسبب تأليفه هو أنه ألقى محاضرة في جامعة بايرو بعنوان (التربية عند الشيخ إبراهيم إنياس السنغالي) تعرض فيها لإطلاق الضلال والإلحاد، وقد أخذ أطروحة الماجستير بعنوان (إبراهيم إنياس آراؤه وأصول أفكاره مع تحقيق كتابه كاشف الإلباس والسر الأكبر) وكلاهما مطبوع في مجلد واحد.

فكتب أحد أتباع الطريقة التيجانية وهو موريتاني، رسالة في الرد عليه بعنوان (إنذار وإفادة لمن باع دينه بشهادة) أي بشهادة الماجستير فكتب محمد طاهر ميغري هذه الكتب الثلاثة، وقد كان الطاهر ميغري شديدَ اللهجة في الرد على المخالف وقد يستنبط بعض الأحيان من أقوالهم ما يظهر منه أنه إلزام لهم بما لم يحمله قولهم مما يدل على اعتداد الرجل بما يقتنع به.

هذا بالنسبة لكتبه المخطوطة، والتي يرغب نشرها في المجتمع النيجيري الذي أفسده أصحاب الطرق المضلة في نظره، إلا أنه لم يوفق لذلك أما كتبه المطبوعة فمنها كتابه (إبراهيم إنياس السنغالي آراؤه وأفكاره مع تحقيق كتابه كاشف الإلباس عن فيضة الختم أبي العباس والسر الأكبر) في520 صفحة، وهو رسالة ماجستير تَقَدّمَ بها إلى جامعة بايرو– بكانو– وكتاب التحفة السنية عن الطريقة التيجانية.

وطبيعة البحث العلمي– لاسيما دراسة الشخصيات المعاصرة منها على الخصوص، والتي تعلق بها مئات الآلاف بل الملايين من الناس في أفريقيا ما وراء الصحراء خاصة– سواء قدَمَهُ صاحبُه رسالة في جامعة فهو يعلم أنه سوف يعرض نفسه للمناقشة في جميع أقواله. أو يقدمه للقراء فكذلك سيكون مستهدفاَ للنقاد، وقد أثار حفيظة الصوفية خاصة أتباع الطريقة التيجانية مما جعله منبوذا يعلقون كل مصاب أصابه بسبب موقفه المجافي للطريقة.

فقد قام بدراسة ميدانية، فسافر إلى كولخ موطن أسرة الشيخ إبراهيم إنياس وإلى موريتانيا حيث يوجد أتباع طريقته، ثم اتصل بكل من له به صلة حتى جمع عنه جميع المعلومات التي استطاع أن يجمعها عن حياته وسجل ذلك كما أخذه بأمانة الناقل، ثم درس الطريقة التيجانية التي ينتسب إليها إبراهيم إنياس ويدعو لها وينشرها في نيجيريا بلد غير بلده، فذكر تأريخ أحمد التيجاني، وبين سيرته، وما

جرى له من الحاكم التركي الذي سجنه لأنه ثبت عليه تزييفه للنقود، ثم ضربه له وأخيراً تسفيره"[1].

وقد ناقشه محمد طاهر ميغري في هذه الأقوال وأوضح بدون تورع أنه كاذب فيها ثم نقل إجماع المسلمين على تكفير من ادعى نزول الوحي بعد النبي ﷺ على أحد من خلقه مستدلاً بأدلة ختم النبوة وبحديث الصحيحين- بأنه سيكون بعد الرسول ﷺ دجالون كذابون قرابة ثلاثين كلهم يزعم أنه نبي، ثم أثبت بعد ذلك تعاون الشيخ التيجانى وجميع أصحاب الطرق مع المستعمرين، ووصيتهم لأتباعهم بالسمع والطاعة للمستعمرين، وبعد ذلك انتقل إلى تبشير التيجانى بأنه ستكون فيضة في آخر الزمان على يد أحد أتباعه، يدخل الناس في الطريقة التيجانية أفواجاً، وأن من دخل فيها فهو من أهل الجنة سواءً عَبَد الله أولم يعبده، سواءً ارتكابه من المعاصي والذنوب ما ارتكب، فان الله قد تكفل له بأن يقضى عن أتباعه من خزائن جوده وكرمه، وأن يدخلهم الجنة بغير حساب ولا عذاب"[2].

هذا أنموذج مما ذكره عن التيجاني وقد حكم بكفره لادعائه الوحي. ولادعائه دخول أتباعه الجنة بغير حساب وأن الله تكفل له بذلك، وبعد ذلك انتقل إلى إبراهيم إنياس السنغالي فاستقصى سيرته من حين ولادته، ذاكراً الإرهاصات التي قرنت بولادته، ثم تتبع سيرته إلى أن أصبح صاحب طريقة، وأنه لما كان في السنغال أصحاب طرق ينافسونه وهم أقوى منه، كان أكثر أتباعه في الدول المجاورة مثل موريتانيا وغيرها، هكذا يفسر سر شهرة الشيخ إنياس خارج بلاده السنغال"[3].

ثم بين اتصاله بنيجيريا لنشر طريقته فيها، وأنها كانت بسبب معرفة بينه وبين أمير (كانو) وقعت في الحج، ثم قدم إلى (كانو) بعد ذلك لنشر طريقته. ثم ادعى بعد أن قَبِلَ الناسُ منه طريقته، أنه هو صاحب الفيضة التي بشّر بها الشيخ أحمد التيجاني، والتي قال عنها أنها ستكون في آخر الزمان على يد أحد أتباعه، فقرر لهم أنه صاحبها وأنه صاحب الدائرة الفضلية التي تقع خارج دوائر الشرع

---

[1]- الشيخ إبراهيم إنياس السنغالي/ميغؤي/ص14.

[2]- المصدر السابق/ص32.

[3]-المصدر نفسه/ص33.

كلها، وأن كل من اتبعه يدخل الجنة بلا حساب فالله يقضي عن أتباعه كل ما ارتكبوه من خزائن فضله. وهذا سبب تسمية دائرته بالدائرة الفضلية.

قال: وإن الذين لا يؤمنون بطريقته ويعادونها كفار يخلدون في النار.

لا أدري من أين ينقل الطاهر ميغري بهذه النقولات عن الشيخ إنياس مع ما عرف عنه من معارضة شديدة لكل ما يخالف الشرع قولا وفعلا وحالا، وقد ناقش محمد طاهر ميغري هذه الأمور وبين مصادمتها للنصوص الشرعية من الكتاب والسنة وأنها خروج على الشريعة الإسلامية، وأن من يقولها ويعتقدها فهو الكافر الذي يستحق العقاب من الله- لا عموم المسلمين الذين يَكْفُرُوْنَ بتعاليمِ طريقته الخارجة عن الشريعة الإسلامية.

وقد عقد فصلا في الباب الرابع من الكتاب بعنوان (إبراهيم إنياس من شيخ الطريقة إلى شيخ الإسلام)"[1]. فقد يظن المتعجل في الحكم أنه يمدحه وهو في الحقيقة يذمه. فقد أثبت في هذا المبحث أن إبراهيم إنياس يقول بالتقية ويعمل بها، كما أثبت في الأبواب الأخرى أن الصوفية هم باطنية إسماعيلية يقولون ويعتقدون عقائد الروافض.

قال: وباستعماله لعقيدة التقية فقد خدع الناس بمكره وخداعه، وقد منح ذكاءً وأسلوباً عجيباً في خداع العالم حتى استطاع أن يكون عضواً في رابطة العالم الإسلامي. قال: فهو يَظهَر للعالم الإسلامي بمَظهر شيخ الإسلام ثم يعود إلى قفصه في كولخ يُعَلّم الناس ضلاله وفساد عقيدته، إلى أن قال: فقد عاَش طول حياته تيجانياً ومات تيجانياً، وقد قال في باريس وهو في المستشفى، على فراش الموت:

رأيت رسول الله جهراً ويقظة * بباريسَ هل هذا المحل محله"[2].

ثم نُقل إلى لندن فمات بها ونقل جثمانه إلى كولخ فدفن بها وقد أوصى بالطريقة لخلفه من بعده الحاج عبدالله بن إبراهيم إنياس، وكان ذلك عام 1975م "[3]

1- الشيخ إبراهيم إنيا السنغالي/محمد طاهر ميغري/ص165.

2-ديوان سير القلب للمصطفى الحب إلى حضرة الرب/إبراهيم إنياس/ص 31/ملتزم الطبع والنشر الحاج ثاني يعقوب/كانو نيجيريا/ط2/د.س.ط.

3- ينظر: كتاب الشيخ إبراهيم إنياس السنغالي حياته وآراؤه وتعاليمه/محمد طاهر ميغري/ص 194- 197/تقديم أبى بكر جومي/

هذه نماذج قليلة ذكرتها مما تضمنه هذا الكتاب عن التيجانية وعقائدهم وعن إبراهيم إنياس نفسه المخصص بالدراسة بشكل من الإسفاف لدرجة قال عنه بعضهم: إن مقدمته تكفي في بيان أنه طعن في الطريقة التيجانية ولأصحابها.

أقول إن من قرأ هذا الكتاب ليقف على رأي مؤلفه في التيجانية وفي إبراهيم إنياس فقط، فسيجد حكمه على التيجانى وإبراهيم إنياس بالكفر الصريح.

وقد جاء في الكتاب نفسه، في الباب الذي جمع فيه محمد طاهر ميغري المعلومات الميدانية عن إبراهيم إنياس مقابلته لأبي بكر قومي في منزله في (كادونا) مثبتاً تاريخ اليوم الذي جرت فيه المقابلة وهو السبت 27/ مايو 1978 م بمقره في كدونة حيث قال له:" ما رأيك في إبراهيم إنياس وطريقته؟ فأجابه بقوله: إن إبراهيم إنياس جاء إلى نيجيريا بكفر صريح مكشوف ينادي به علناً وعلى رؤوس الأشهاد، وأنه أضل عوام النيجيريين بِدَجَلِه ومكره...، إلى أن قال: وقد قابلته في المدينة أيام أن كان عضواً في الرابطة، فأراد أن يتخذ من تلك المقابلة خدعة للناس بحجة أننا تصالحنا مع أصحاب الطرق، فبينت للناس ذلك الكذب في حينه لأننا عندما تقابلنا تبين لي أنه كافر فتبرأت منه وابتعدت عنه، وأما اتحاد حركتي مع حركة تلاميذي والتعاون معهم فلا أرى أنني أحتاج إلى ذلك. لأن حركتي هي جماعة نصر الإسلام، وهي ليست لي وإنما هي لجميع المسلمين وكل من يريد أن ينصر الإسلام فالباب مفتوح لا يحجبه شيء "[1].

قال: ثم قلت له: ما رأيك في قول الشيخ إبراهيم إنياس: "إن الله قد ساق الوجود كله مساق الهلاك في هذا الزمان فلا ينجو منه أحد إلا من رزقه الله محبة الشيخ التجانى". فقال: "إنه يريد بذلك أن يقول: ومن يبتغ غير التيجانية ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ". ولا أدري متى قال الشيخ إنياس ذلك؟ مع أن حرية العقيدة مقررة لكل إنسان، والإسلام هو الأصل الغني عمن سواه، وهو الشاهد على كل أعمال المسلمين وليست أعمال البشر بشاهدة عليه، ولا أظن أن هذه المعاني تغيب عن الشيخ إبراهيم إنياس حتى يتقول بها الطاهر ميغري!!!.

دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع/بيروت- لبنان/1401هـ 1981م.

1- الشيخ إبراهيم إنياس، حياته وآراؤه/محمد الطاهر ميغري/ص 237- 238/مصدر سابق.

الفصل الرابع:

إصلاح الطرق الصوفية في نيجيريا بين الواقع والمتوقع.

المبحث الأول: واقع إصلاح الطرق الصوفية في نيجيريا.

المبحث الثاني: المتوقع من إصلاح الطرق الصوفية في نيجيريا.

مدخل:

لقد قدم لفيف من أعلام الطرق الصوفية جهودا مضنية في سبيل إصلاح الطرق الصوفية وما شابها أو شاب أتباعها من انحرافات سواء على مستوى المنهج أو على مستوى الممارسات، وإن كانت لا ترقى إلى مستوى الانحرافات القائمة بين صفوف المتصوفة، فإننا هنا بصدد دراسة تلك الجهود الإصلاحية من خلال مقارنتها بين الواقع والمتوقع منها، لذلك فإننا معنيون أولا بدراسة واقع إصلاح الطرق الصوفية في نيجيريا ثم نتبعه بتقديم دراسة للمتوقع من إصلاح الخطاب الصوفي في نيجيريا من خلال المبحثين الآتيين.

المبحث الأول:– واقع إصلاح الطرق الصوفية في نيجيريا.

لنا ونحن بصدد الحديث عن واقع إصلاح الطرق الصوفية في نيجيريا أن نقف على بعض مواقف الشيخ عثمان ابن فوديو الإصلاحية في إطار الطريقة القادرية، وقد مر بنا أنه ينكر ضرب الدفوف التي اشتهرت بها طريقته، وما ذلك إلا لموقف ارتضاه من الشرع.

"لقد تناول الشيخ عثمان بن فوديو موضوع الدف والسماع في بعض كتبه فوضع لها ضوابط وشروطا عند اسعتمالها في حلقات الذكر، مع الاعتراف منه بأن الأمر محل خلاف بين العلماء، مثال ذلك قول الشيخ عثمان ابن فوديو في كتابه نصيحة (أهل الزمان) "المشهور في المذاهب الأربعة تحريم آلات اللهو وأجازها طائفة منهم الظاهر"[1].

والشيخ عثمان لا يرى الحرمة مع علمه بأن المشهور هو التحريم، ومع أنه كان لايستعمل الدفوف أثناء ممارسة شعائر الطريقة القادرية قال" المشهور في هذه المسألة ما ذهب إليه المحققون منهم الشيخ عز الدين بن عبد السلام إباحة ذلك للصوفية وتحريمه على غيرهم"[2].

ثم عضد ابن فوديو كلام العز بن عبد السلام في الإباحة بما صرح به أبو الحسن في سماع شيء من الملاهي كالعود والمزمار، وحكي عن مالك إجازة السماع، كما أباح ذلك الشيخ أحمد زروق رغم مواقفه الإصلاحية المعروفة، وقد حصروا الإباحة في المتصوفة فقط بشرط أن يكون لوجه واضح أو حال غالبة"[3].

ولعل الشيخ عثمان أحس أن أصحابه لم يقتنعوا بحججه عن الدف والسماع، ومن ثم ألف كتابا آخر سماه (سراج الاخوان) بيّن فيه أن الدين يسر لا بد من الإنصاف في أمور الدين، ومن هنا فإن الحياة حلال وحرام ولو كانت الدنيا كلها حرام لكانت الحياة نكدا".[4]

1– نصيحة أهل الزمان/ابن فوديو/ص26/د.د.ن.

2– المصدر نفسه.

3– المصدر نفسه.

4– حياة الشيخ علي بن محمد الكوماسي الكنوي وآثاره/د. إسماعيل إدريس حسن/ص154/مطبعة غيدن دبينو/كنو نيجيريا/1426هـ 2005م.

ومع محاولة الشيخ عثمان إثبات إباحة الدف بكل تلك المصنفات حاول أخوه عبدالله بن فوديو تلخيص تلك الكتب في سفر له سماه (ضياء السلطان) وأنكر جميع حجج أخيه عثمان حول إباحة الدفوف إنكارا مبرما، وحجة عبد الله بن فوديو تكمن في الآتي:

1 - إن الجمهور على إنكار ذلك، وهو المشهور والمشهور أحق أن يتبع.

2 - إن الخليفة عمر بن عبد العزيز أفتى بمنعه وهو حجة.

3 - وعلى هذا الأساس يرى عبد الله بن فوديو عدم إباحة الدفوف حتى الاسترزاق عن طريق الدف والطبل، وما حصل عليه صاحبه عن طريقه يعتبر مالا حراما، فإن كانت ثمة ظروف وعوامل لإباحة السماع والدف فإن تلك الظروف غير متوفرة في هذا الزمان"[1].

إن عبد الله بن فوديو لم يتوقف عند حد الدفاع عن موقفه في حرمة الدفوف بالقلم فحسب، بل واصل ليقنع بفكرته أمير كانو ويشجعه على كسر جميع الدفوف والطبول وذلك إبان إقامته بمدينة كانو"[2].

وبعد أن كتب عبد الله بن فوديو (ضياء السلطان) عقبه بكتاب آخر سماه (ضياء الاحتساب) كإجراء عملي أعطى فيه الإذن للمحتسب في الدخول في أي بيت يسمع فيه صوت الدفوف أو الطبول بقصد تمزيقها وإتلافها وذلك بعبارة واضحة لا هوادة فيها هي:" إن هذا الأمر أي تمزيق الدفوف وكسرها لا يقتصر على المحتسب فقط، بل هو واجب على الأمة بأجمعها، بل على الخادم أن يمزق دفوف سيده، وعلى المرأة أن تمزق دفوف زوجها وهكذا دواليك"[3].

وواصل الشيخ عبد الله بن فوديو في طريق تبرئة ساحة الطريقة القادرية من الدفوف فألف كتابا آخر سماه (النصائح في أهم المصالح) ليؤكد بما يراه أنسب

---

[1]- Umar faruq malumfashi (1989) divergence of opinion: the low of islam, edited and analyzed by fadis najmul ikhwan yahtaduna bihi bi,iznillahi fi umur zaman. Unpublished phD Dissertation in Islamic studies B.U.K. pp 106-7.

[2]- المصدر نفسه/ص 549.

[3]- المصدر نفسه/ص113.

لهذا الزمان بقوله" والصواب في هذا الزمان تركه لما فيه من المفاسد إذ أهله اتخذوا دينهم لعبا ولهوا"[1].

ولعل الواقف على مؤلفات الشيخ عثمان بن فوديو يستنتج أنه يبيح استعمال الدفوف إباحة مطلقة غير مقيدة بضابط شرعي، وسواء في ذلك استعمالها في حلقات الذكر أو في غيرها من المناسبات، ولكنك لو تتبعت تلك النصوص المتعلقة بموقف الشيخ عثمان من الدفوف تدرك أن له ضوابط وشروطا اشترطها في استعمال الدفوف في حلقات الذكر، تأتي هذه الضوابط متدرجة وفق الآتي:

1 - ألا يحضرها مقتدى به إلا متخفيا.
2 - أن ترجح فيها مصلحة زيادة الإيمان.
3 - أن تراعى فيها مصلحة زيادة النشاط في العبادة.
4 - السلامة مما ينكره ظاهر الشرع.
5 - عدم إساءة الأدب باستعمالها في حلقة الذكر"[2].

ويمكن سرد موافق الشيخ عثمان بن فوديو الإصلاحية للطريقة القادرية مجملة على النحو الآتي:

1 - أنه لا يستعمل البندير الذي استحدثته القادرية، ويرقصون على نغماته فيقومون بما يسمونه بذكر الأنفاس.
2 - أنه لا يحتفل بمولد الشيخ عبد القادر الجيلاني مؤسس الطريقة، وقد اتخذته القاردية عيدا فيما بعد أطلقوا عليه (يوم المو كب) وقد تحدثنا عنه عند مناقشتنا لإسهامات الشيخ محمد الناصر كبرا في نشر الطريقة القادرية وتجديدها"[3].
3 - لم ير مانعا في أن المريد إذا دخل الطريقة القادرية أن يخرج منها.
4 - حرم قصد القبور وشد الرحال إليها للعبادة فيها، أو دعاء الميت لقضاء الحوائج وشفاء المرضى والاستغاثة بالميت أوالاستعانة به.

---

[1]- النصائح في أهم المصالح/عبد الله بن فوديو/ص 22/مخطوط، قسم المخطوطات جامعة بايرو/كنو.

2- نصيحة أهل الزمان/عثمان بن فوديو/ص26/مصدر سابق.

3 - الثقافة العربية في نيجيريا/ على أبوبكر/ص ٢١٢.

5 – منع ربط بعضهم نفسه بالحديد أو بالحبل أو كي جسمه بالنار لأجل التشديد عليها أو تأنيبها، وقال إنه محرم إجماعا لأنه إضرار بالنفس.

6 – طلب الخمول والتماوت حال غير مرضية، وهو بدعة محرمة على المعتمد.

7 – لا يجوز النظر في كتب أهل الكشف ما لم يكن للإنسان علم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

8 – حرمة العمل بالخواطر أو الإلهامات وما يسمع من الهواتف والكشوفات من غير أن يعرضها على كتاب الله تعالى وسنة رسولهﷺ.

9 – ادعاء المريد للكرامات، مع كونه بمنأ عنها.

10 – الزعم بأن الولي يبلغ مقاما تسقط عنه التكاليف الشرعية"[1].

وكما رأيت فإن الشيخ عثمان يحارب الخمول والتماوت، وقد حد من رؤية المريدين للولي أن تسقط منه التكاليف الشرعية، وهي رؤية تنم عن موقف من الولي الذي يعلق عليه بعضهم خصوصيات لاتتأتى عن مقام النبوة، فضلا عن مقام الولاية.

وممن ساروا على نهج الشيخ عبد الله بن فوديو الإصلاحي داخل الطريقة القادرية في تحريم الدفوف الشيخ علي بن محمد بن آدم بن أبي بكر الكوماسي الذي ولد بمدينة كانو عام 1334هـ 1915م، وكان أصل والده من برنو ثم انتقل إلى بلاد ساحل الذهب المعروفة بدولة غانة حاليا، إثر المعركة التي شنها الفلانيون على عاصمة مملكة برنو سابقا (غزرغمو) ولذلك تفرق بعض حفاظ تلك المدينة في بلاد الهوسا وفي إقليم (دمغرم) و(إلليلى)"[2].

سار هذا الشيخ على نهج الشيخ عبد الله بن فوديو في الإصلاح لكثير من ممارسات الصوفية القادرية التي ينتمي لها، فقد حارب ما يسمى بموكب القادرية الذي سار عليه كثير من أتباع القادرية في كانو، وقد كان من قبل ضمن من يحضر هذا الموكب رغم ما كان يسمعه من بعض العلماء بأن ما يمارس في

---

[1] – ينظر: إحياء السنة وإخماد البدعة/عثمان بن فوديو/ص ١٦١ وما بعدها/دار الفكر/ د.ص.ن–

[2]– لقد تحدث الشيخ عثمان عن تلك المعركة في كتابه: روض الجنان، ص13، ومحمد بللو في إنفاق الميسور ص: 145.

الموكب يدخل في باب المنهيات وأنه من البدع المحدثات حتى في الطريقة القادرية، حتى قدر له أن زار العراق موطن الشيخ عبد القادر الجيلاني مؤسس الطريقة، وقد التقى خلال زيارته هذه ببعض أعلام الطريقة في العراق، فوجد شعائرهم تختلف عن الشعائر الموجودة في كانو، فسألهم عن ذلك فأخبروه أن الشيخ عبد القادر لم يستعمل الدف إلا في الذكر، وقال له آخرون إن الشيخ لم يستعمل الدف مطلقا، وأنه لا صلة له بالموكب المشهور في نيجيريا، فرآى أن مصدر القادرية لم يفعل ذلك فمن باب أولى أن يكون أتباعه كذلك، ومن ثم عهد لنفسه أن يقوم بدور الإصلاح لأتباع القادرية بعد رجوعه إلى أرض الوطن"[1].

وفعلا باشر الشيخ الكوماسي رسالته بعد رجوعه بجمع أغلب شيوخ القادرية بجامع التاجر الحاج سنوسي طن تاتا (قوقي) وأبدى رأيه في الدف، فمنهم من استجاب لدعوته مقتنعا برأيه كالشيخ أبي بكر رمضان تدن نفاوا، والحاج سنوسي طن تاتا، والسيد عيسى هاشم البروفيسور بجامعة بايرو، ومنهم من بقي على ما هو عليه كالشيخ محمد الناصر كبرا والشيخ يوسف مكوراري"[2].

ومن ضمن الحجج التي فنّد بها السيد عيسى هاشم إقامة موكب القادرية الذي اعتيد على إقامته كل سنة لزيارة قبر والد الشيخ محمد الناصر كبرا، هي أن في مدينة كانو مجموعة من الأضرحة ولكن لا يقومون بزيارة أي ضريح منها سوى ضريح والد الشيخ محمد الناصر وجده، فهل ذلك يعني أن ضريح والد الشيخ وجده أطهر من أي ضريح في كانو؟ أم أن ذلك يعني أنه أعرف الناس بقيمة والده وجده؟ فحرك ذلك تأثر الشيخ الكوماسي فبعث بدوره برسالة يدعو فيها جميع مشايخ القادرية للاجتماع في جامع التاجر الحاج سنوسي طن تاتا، وفي الاجتماع تولى السيد عيسى هاشم بيان برنامج الاجتماع وخاصة العوامل المحيطة بما يسمى بموكب القادرية، وضرب الدفوف في المساجد خاصة، فلبى الحاج سنوسي طن تاتا الفكرة وتبعه في ذلك الشيخ الكوماسي والشيخ أبوبكر رمضان، لكن الشخ محمد

---

[1]– تم اللقاء للدكتور إسماعيل إدريس مع آدم ابن الشيخ الكوماسي يوم 2001/3/17م في بيته.

[2]– حياة الشيخ علي بن محمد الكوماسي الكنوي وآثاره/إسماعيل إدريس/ص162/مصدر سابق.

الناصر كبرا أصر على ما هو عليه بشدة وغادر المكان قبل أن يصلوا إلى ما يمكن أن يعتبر نتيجة للاجتماع".

وقد وضح الشيخ عيسى هاشم مؤخرا موقف الذين أنكروا الدفوف والمهرجان للطائفة القادرية لم ينطلقوا من فراغ، وإنما انطلقوا من التصوير الواقعي الصحيح وهو الاختلاط، وهو غموض يكتنف قضية الدفوف منذ حقب سحيقة على حد تعبير الشيخ عيسى هاشم، ثم قال والصحيح هو الفصل بين الرجال والنساء"[1].

على أن الشيخ الكوماسي لم يقتصر على شجب الدفوف والموكب القادري بالاجتماعات مع قادة القادرية، وإنما اتخذ موقفا علميا تمثل في كتابة مخطوط ضخم سماه (الأحكام القطعية في السماع والاستماع) حيث ذهب أن السماع ينقسم إلى قسمين: مذموم ومحمود، أما المذموم فينحصر في تصرفات بعض من يتقدمون في الصف الأمامي عند ضرب الدفوف لا يتقدمون إلا بحب الدنيا تكلفا لطلب أن يشار إليه بالمشيخة وغلبة الحال والوجد، أو منفعة دنيوية من تحصيل مال أو طعام أو كساء، وذلك مذموم لما فيه من التلبيس على العامة بإظهار ما ليس فيه، فيدخل تحت قوله تعالى {يُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ}[2] وذلك أيضا خيانة لما فيه من أخذ المال الذي جعل لأرباب الصدق وليسوا منهم"[3].

الضرب الثاني: السماع المحمود، وهو التكلف الراجع إلى نفس السامع، وهو طلب حصول حقيقة السماع، وهذا بمذموم كمن يطلب الوجد بالتواجد، وذلك بأن يجتمع طائفة يتكلم كل واحد منهم كلاما نثرا أو نظما يحصل به الوجد لهم لغيرهم من المستعمين أو لأحدهم أو يجتمع مع المستمعين بهذه النية، ولا ذم في ذلك لأنه بمنزلة التباكي، وخلاصة القول: إن السماع الذي يثير الشهوات المذمومة شرعا حرام لأنه صار توصلا إلى الحرام وكل ما من شأنه أن يوصل إلى حرام فهو حرام،

---

[1] حياة الشيخ علي الكوماسي وآثاره/إسماعيل إدرسي/ص165/مصدر سابق.

[2]– آل عمران188

[3]– الأحكام القطعية في السماع والاستماع/الشيخ علي بن محمد الكوماسي/مخطوط/ص2. نقلا عن حياة الشيخ علي بن محمد الكوماسي/د.إسماعيل ادريس/ص165.

وأما ما يفعله طلبا للتواجد وتعرضا للنفحات الإلهية واستراحة من تعب السير وتنشيطا للنفس فهذا كله مندوب ومحمود"[1].

وإذا كنا قد أفضنا الحديث عن بعض مواقف رجال القادرية الإصلاحية فلا أقل من أن نعرج على بعض مواقف رجال التجانية الإصلاحية، ولنبدأ برسائل الشيخ إبراهيم إنياس الذي يعد بحق مجدد الطريقة التجانية في نيجيريا، تلك الرسائل التي بعث بها إلى أتباعه عند ظهور بوادر الانحراف في السلوك والممارسة بين صفوف أتباع الطريقة التجانية.

من بين تلك الرسائل الإصلاحية يرد خطاب بعث به إلى الإخوان، وكلف بعضا من المقربين منه أن يسعوا لتعميمه بين مريديه في كافة الأقطار وعلى رأسها نيجيريا التي تعد بحق أكبر بلد يضم الشريحة العريضة من أتباعه على مستوى العالم، وإليك نص هذا الخطاب:

"إلى حضرة أخي وولدي المرتضى محمد سعيد معبد أخجك وأخيه عمر بن مالك السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

يليه الإعلام بأني أرسلت إليكم نسخة من كتاب كتبته إلى الإخوان، واجتهدوا في تبليغه للعام والخاص، واعلموا أن التصوف معرفة وعبادة، وزهادة، ومن لم يفعل شيئا من هذه فهو مدع هالك، لا نجاة له، وكثير من الناس تصوفهم في ألسنتهم، ومعبودهم الدنيا وشهواتها، فليتني لم أعرف أولئك ولا عرفوني إن لم يداركهم الله بالتوبة، وأنا جعلتكما في خدمة، وهي أن تتبعوا الناس واقرأوا لهم وصاياي، ومن سمع لكما فقد تقبل توبته، ومن لا فليس مني، ولا بد من التوبة والاستقامة والعبادة الخالصة لله وبر الوالدين والجد في اكتساب المال الحلال والعلم الظاهر.

لا تحسب المجد تمرا أنت آكله * لاتدرك المجد حتى تلعق الصبرا

ولا ترجعا إليّ حتى تبشراني أن الله بقي معبودا وحده، في كل من ينتسب لنا، واحتفظوا من أسراركم في دينكم ودنياكم حذرا من أعدائكم أعداء الدين والطريقة، وحسبنا الله ونعم الو كيل، ومن رأيتموه يدعي فناء في حضرة من الحضرات ولم يجلس عند مربيه ويصاحبه ويلازمه فأمروه بالرجوع إلينا حتى نكلمه، وإلا فهو

---

[1]-ينظر: المصدر السابق/ص5.

مفتر أفاك أثيم، فأولئك المفترون أدخلوا في دينهم ماليس منه، وليس ذلك منا ولله الحمد وله المنة، ومن لم يتجرد من أولئك بعد هذه الوصية أُخذ الإذن من الحضرة في الدعاء عليه فيهلكة الله في أسرع من لحظة، ويوم القيامة أخاصمه بين يدي الملك الديان ولا حول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم، وأسال الله تعالى أن يهدينا ويهديكم بجاه الحجاب الأعظم الهادي إلى الصراط المستقيم ﷺ"[1].

وكتب علي سيس من إملاء الشيخ إبراهيم إنياس لتصحيح مفهوم أولئك الذين لا يروق لهم إلا تفضيل بعص الأذكار على القرآن الكريم، ولذلك جاء خطابه هنا لإنكار تلك الرؤى المنحرفة فيقول:" هذا أمر علماء هذه الطريقة، فمن زعم أن طريقته لا تصح إلا بتفصيل غير القرآن على القرآن أو تصحيح كل ما ورد بلا تميز، أو قبوله بلا تمحيص بنشره، أو دعوة الناس إليه فإنه ضال مضل، ولا إمام له في هذه الطريقة، ولقد انسلخ من الإسلام بذلك قبل أن يحكم على غيره بما يمليه عليه شيطانه ولا ربح إلا بعد سلامة رأس المال"[2].

وفي سياق إصلاحه للطريقة التيجانية مما شابها من بعض أتباعها، وما نالها من انتقاد شديد من أعدائها أو ممن لم يدرسها دراسة فاحصة فانبرى يلصق بها كل نقيصة، أورد الشيخ إنياس وصية نافعة وجهها إلى كافة من يدعي الانتساب إليه، وأوصى كل من وقف عليها أن ينسخها ويلازمها ويقرأها كل يوم قصد الاهتداء بها ونصها كما يأتي:

"بسم الله الر حمن الر حيم، المنتقم العزيز الجبار المتكبر، والسلامان على الرسول السيد العبد القائل:" يأم الزبير عمة النبي ﷺ يافاطمة بنت محمد اشتريا أنفسكما فإني لا أملك لكما من الله جل وعز شيئا سلاني من مالي ما شئتما""[1].

أما بعد: أحمده بما يليق فيصل سلامي إلى ولدنا أحمد ثِيام، ومالك صَوْ وإلى كل من يقف عليه ممن يدعي الانتساب إلينا، موجبه الإعلام بأن اثنين ليسا مني ولا من الطريق في شيء، مجذوب لم يسلك وسالك لم يجذب إن بقيا على

---

[1] حقيقة الطريقة التجانية/ إبراهيم صالح/ ص ٣٢ وما بعدها/ مصدر سابق.

[2] المصدر نفسه/ ص. ٣٣ .

[1] رواه أبو هريرة، لم أجد له مصدرا إلافي فوائد ابن أخي يحيى الدقاق/تح: نبيل سعد الدين جرار/ ج١/ ص ٦٩–

حالهما ووقفا على سيرهما، وإني شأني كما علمتم من أراد أن يكون معي في حالي فليسلك طريقي في الأقوال والأفعال بامتثال الأوامر واجتناب النواهي في الظاهر والباطن، والتشوق إلى الوصول إلى مرضاة الله ورسوله، أما من ينتسب إلينا ويرتكب شيئا من مخالفة الشريعة المطهرة الشريفة باقتحام المحرمات وترك المأمورات فأشهد الله وأشهدكم أني بري منه، اللهم إني بريء إليك مما صنع هؤلاء﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1] ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[2] وما قلتم من أن مريدي وعاء ممتلئ من أسرار الحضرات الثلاث فنعم، ولكن أين مريدي منكم؟ فهو أعوز من الكبريت الأحمر عند كم، إن كان الأمر كما وصفتم ويوشك أن أرفع الإذن عن كل مقدم يقتحم بحضرته المحرمات، ولم يقم بما وجب عليه، فإن عجز يهاجر إلى الله ورسوله وإلينا...، فلا بد من الرجوع إلى الله بالتوبة والامتثال والاجتناب والزهد والورع والتعلم، قال تعالى لولي الأولياء ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾[3] فالذي يليق بالمريد ألا يقف سيره حتى إذا لحق بي وأشكل عليّ حاله، يرحل إلى شيخ أعلى منا مقاما، واعلموا رحمكم الله أن كثيرا من المدعين صد الناس عن سبيل الله بعدم الاستقامة، ومن انتسب إلى الله وصار يصد عن سبيله فقد بارز الله بالمحاربة وصار في حيّز أهل الإنكار الأشقياء لكونه سببا لذلك، ولا بد لكم من الحضور معنا في كثير من الأوقات لتأخذوا عنا آداب السلوك كما أخذتم حقائق الجذب، ومن فعل ذلك فقد فاز فوزا عظيما، ولا بد لكم من تغيير المناكر التي تقع في الإخوان باليد واللسان والقلب كما في الحديث، ولابد لمن يريد الانتفاع بحفظ ما يصدر منا من الوصايا نظما ونثرا، وهذه البراءة حفظها واجب لكل مريد وكل من وقف عليها فلينسخها ويلازمها ويقرأها كل يوم، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان وحجوا البيت من استطاع إلى ذلك سبيلا، وتصدقوا بالمال لوجه الله تعالى ففي حديث مسلم قال رسول الله ﷺ الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان

---

[1]- سورة النور : الآية: 63.

[2]- سورة النور: الآية: 31

[3]- سورة طه: الآية: 114

وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدوا فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها"[٢] قال تعالى وهو أصدق القائلين ﴿إن الله يأمُرُ بالْعَدْلِ والْإِحْسَانِ وإيتَاءِ ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾[٣] فالويل كل الويل لمن لا يتلقى حكم الله ورسوله بالقبول التام، لكن من بلغه كتابنا وتاب وتدارك ما أمكنه فله سعادة الدارين، عفا الله عما سلف، ومن لم ينزجر فأشهد الله واشهدوا أني بريء منه ولا أبرأ منه إلا بعد براءة الله ورسوله، وعليكم بالإكثار من صلاة الفاتح لما أغلق، وعليكم بكتم الأسرار قولا وفعلا، ودعوا عنكم التجاهر بكلام أهل الحقائق، واسلكوا الصراط المستقيم، وتلك الشهوات طاغوت تعبدونها بعد دعوى الإيمان، قال تعالى: ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾[١] وأنت يا أحمد ثيام بلغ هذا الكتاب إلى كل من ينتسب لنا، فأرسل إلى كل كبير في محل نسخة منه ليقرأه لمن معه ولمن حوله، وأرجو من الله أن تتلقاه منكم قلوب صافية، واذان واعية، والله يهدينا ويهديكم. والسلام.

وكتب إبر اهيم بن الحاج عبد الله التيجاني بمدينة كولخ حرسها الله من كل بأس، آمين – عام ١٣٤٩هجرية"[٢].

وما منظومة الشيخ إبراهيم إنياس المسماة (روح الأدب لما حوى من حكم وأدب) إلا وقفات جادة من إصلاح ممارسات السالك التيجاني والرفع من مستوى أدائه ليصل إلى الأدب الصوفي المنشود، وتجد للشيخ وقفات إصلاحية في مجموع دواوينه التي ألفها لمدح النبي ﷺ مثل الدواوين الست، وخاتمة دوواوينه (سير القلب للمصطقى الحب إلى حضرة الرب) تجد في ثناياها وصايا إصلاحية للمريد التجاني، إصافة إلى كتبه المستفيضة في التصوف ككاشف الإلباس في طريقة سيدي أبي العباس، والتبيان والتبيين عن التجانية والتجانيين، وتبصرة الأنام في أن

[٢] رواه مسلم في صحيحه عن أبي مالك الأشعري/ الحديث رقم(٣٢٨) –

[٣] سورة النحل.الآية: ٩–

[١] اسورة لبقرة: الآية: ٢٥٦.

[٢] ضمن كتاب روح الأدب/ إبراهيم إنياس/ص١١.

العلم هو الإمام، والبدور السُّطَّع شرح المُزْهَفاتِ القُطَّعِ، ورفع الملام عمن رفع وقبض اقتداء بسيد الأنام، وغيرها تجد فيها هذا الهم الإصلاحي مبثوثا، وليس هذا بغريب ممن صُنف أنه المجدد الثاني للطريقة التيجانية بعد الشيخ عمر بن سعيد الفوتي.

ويأتي في سياق إصلاح نظرة المريدين لشيوخهم ومغالاتهم في حقهم، ما جاء عن الشيخ إبراهيم صالح في حديث طويل الذي فند فيه نظرة المريد لشيخه بشيء من القدسية الإلهية:" لأنه يظن أن الولي موصوف بوصف من أوصاف الربوبية وهو أنه يفعل ما يشاء ولا يلحقه عجز، أو موصوف بوصف من أوصاف النبوة وهو العصمة"[٢].

ويواصل ليسرد على المريد من خصأئص الربربية التي لا يشارك فيها حتى الأنبياء فكيف بألأولياء، بآيات من القرآن الكريم ونصوص من السنه النبوية المطهرة. منها قوله تعالى ﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذنهم فإنهم ظالمون﴾ [1] وقال تعالى ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين﴾ [2] وقال النبي ﷺ:" إني صليت صلاة رغبة ورهبة سألت الله لأمتي ثلاثا فأعطانى اثنتين ورد علي واحدة، سألته أن لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها وسألته أن لا يهلكهم غرقا فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فردها عليّ"[3] وقال في سؤال نوح نجاة ابنه: ﴿ونادى نوح ربة فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين[4]﴾ وقال تعالى: ﴿ ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين ﴾ [5] وينقل الشيخ من ابن المبارك الذي روى عن الشيخ

[٢] الإعلام بصفات أهل الولاية الأعلام/ إبرهيم صالح/ ص ٤/ مصدر سابق.

[1]– سورة آل عمران: الآية ١٢٨

[2]– سورة الفصص: الآية ٥٦.

[3]– أخرجه كل من ابن أبى شيبة، وابن ماجه، عن معاذ (٢٤٠/٥، الحديث رقم (٢٢١٣٥)

[4]– سورة هوده ٥٦

[5]– سورة التحريم: الآية: ١٠.

عبد العزيز الدباغ ﷺ قوله في هذا الصدد" والناس اليوم إذا رأوا وليا دعا فلم يستجب له أو رأوا ولده على غير طريقه أو امرأته لا تتقي الله قالوا ليس بولي، إذ لو كان وليا لا ستجاب الله دعاءه، ولو كان وليا لأصلح أهل داره، ويظنون الولي يصلح غيره، وهو لا يقدر على إصلاح نفسه"[1] قال تعالى ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا ولكن الله يز كي من يشاء﴾ [2]

ويعترض على التماوت الذي يبديه بعض أتباع الطرق الصوفية بدعوى أنه من التواضع والخشوع والتذلل للناس فيقول:" ولكن الشيء الذي لا بعجبني فهو التماوت الذي يظهر من بعضكم وكأنه شيء حسن أو كأنه من الدين، والحق أنه بدعة في الدين، وإني أبرأ إلى الله تعالى من هذا الفعل، فإن الاسلام قام أساسه على القوة بمعناها الواسع، فإن هيئة جلوسكم في الدرس أوفي غيره البالغة أقصى درجات الخضوع والخشوع يجب أن تغيروها، فإني أكرهها أشد الكراهة...، علما بأنه ليس من الدين، إنما فرضته على المتمسكين به أوضاع غير أوضاعنا، فالذين يرضون بذلك ويعدونه جزءا من آداب المريد في الطريق لم يبنوا هذا القول على أساس، فليس في الطريقة التجانية ما يشجع على ذلك، ولا في في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ما يشجع على ذلك"[3].

ويمضي ليؤ كد موقفه هذا بواقع من السنة ومواقف الصحابة" عن سالم ونافع وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة قالوا: كان عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمر لا يعرف فيهما البر حتى يقولا أو يفعلا قيل للزهري ما تعني بذلك؟ قال لم يكونا بمتخشعين ولا متماوتين "[4] وعن الحارث بن عمر النهدي قال: مر رجل على ابن الخطاب وقد تخشع وتذلل، فقال: ألست مسلما؟ قال: بلى: قال: فارفع رأسك، وامدد عنقك، فإن الإسلام عزيز منيع. رواه العسكري في المواعظ"[5].

---

[1]- الإعلام بصفات أهل الولاية الأعلام/إبرهيم صالح/ ص ٥.

[2]- سورة النور: الآية: ٢١.

[3]- ميزان التفاوت بين التواضع والتماوت/إبراهيم صالح الحسيني/ص١٠/ط٢/ د.د.ن.

[4]- جامع الأحاديث لجلال الدين السيوطي بهذا اللفظ/ ص٤٩٢/الحديث رقم (٣٠٥٥٨) وفي كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال/ علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري/تح: بكري جياني وصفوة السقا/مؤسسة الرسسالة/ط٥/ج٣/ص٨٠٦/خامسة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م. الحديث رقم { ٨٨٢١}

[5]- جاء في كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال/ الحديث رقم (٨٨٢١)

"ومن أسباب هذا التماوت الكبر الخفي، قد تقول ما هو الكبر الخفي؟ فأقول: إنه مرض نفسي يمنع المرء من الإسهام بأي نوع من نشاطه الفكري وبخاصة بين الجمهور؛ لأنه يخشى أن يطلع الناس على جوانب الضعف فيه وإن شئت سم هذا المرض بالخجل، فإنه عبارة عن قبض ينشأ عن زيادة حساسيتك في تقديرك للأشياء فتجعل الأمر الخفيف حادثا عظيما يفقدك هدوءك وتوازنك، فأنت تختفي وتتوارى عن الأنظار خوفا من أن تجرح عواطفك حين تحتك بالآخرين، لأنك تعتقد في نفسك قدسية من نوع ما، ولا تسمح بالتنازل إلا لما تعتقد أنه نبلا لا يمس بكرامتك، وهذا من أشد الأمراض خطورة على أهل الزوايا والمريدين"[1].

وبهدا نتطلع لتدارس المتوقع من إصلاح الخطاب الصوفي في نيجيريا عسى ولعل يقدم إجابات مفيدة في هذا الإطار حتى ترتقي الطرق الطوفية لتؤدي دورها في تنمية الجوانب الروحية والتربوية والعلمية والجهادية كما عملت في تحقيق هذه المكتسبات من ذي قبل، وقد وقفنا على جوانب من أدائهم في تلك الجوانب عند حديثنا عن معطيات الخطاب الصوفي في ميادين التربية والتعليم والتأليف والجهاد، ولا ينكر أحد أنها أتت أكلها فيما مضى على خير وجه، وستظل تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ما لم تنحرف الطرق الصوفية عن نهج أولئك الأعلام الذين وضعوا قواعد ثابتة لا تخيِّب من أخد بها، ولكنها لا تحابي ولا تجامل عند الانحراف عن دربها قيد أنملة.

ولايمكن أن نختم هذا المبحث دون الوقوف على هذا التصور الذي قدم ملخصا بعد دراسة مستفيضة للتصوف ورجاله وجهود مصلحيه – داخليا وخارجيا – فقد قال عمر عبد الله كامل في كتابه (التصوف بين الإفراط والتفريط):" ولا بد من قراءة التصوف على أساس أنه ظاهرة اجتماعية وعلمية في آن معا، وجد فيه عامة الناس طريقا للخلاص من الاضطراب الذي كانت تعج به الحياة السياسية قبل نشأة التصوف الإسلامي، وبخاصة أن دعاته ربطوه بمصادر الإسلام من قرآن وسنة، كذلك وجد فيه العلماء على اختلاف اتجاهاتهم والمصلحون على اختلاف عصورهم مادة خصبة استعملها كل في دعوتة للإصلاح ونهضته بالأمة، لذا فإن من يقرأ

[1]– ميزان التفاوت بين التواضع والتماوت/ الحسيني/ص١٦.

هذا الفكر ليوظفه في حياة المسلم المعاصر مدعو أن يدرك أن هؤلاء العلماء والمصلحين كانوا يبحثون داخل التراث الإسلامي عن كل تجربة، أو رأي يمكن أن يخدم قضية العلم أو النهوض بهذه الأمة، فإذا ما درسوا هذا الفكر وأقروا الملتزم منه وانتقدوا المعوج، فإن ذلك يعني أنه لون من الفكر الإسلامي يمكن أن نفيد منه، ومن الخطأ بل التجاوز الواضح أن نطرحه بعيدا عن روافدنا للمشروع الإسلامي بحجة أو أخرى شاعت بين الناس أو روجها أعداء فكرنا بيننا"[1] .

لذا فإننا سنقدم رؤيتنا للمتوقع من إصلاح الخطاب الصوفي في العالم الإسلامي عامة وفي نيجيريا نظرا لوجود خطوط التماس وأوجه شبه بين جميع المنتمين للصوفية في العالم الإسلامي ونيجيريا، وذلك من خلال المبحث الآتي .

---

[1]- التصوف بين الإفراط التفريط/عمر عبد الله كامل/ص ١٧٣.

المبحث الثاني:– المتوقع من إصلاح الخطاب الصوفي في نيجيريا.

المتوقع ممن تعرضوا للتصوف بالإصلاح أو النقد، سواء أكان هذا من الصوفية أم من غيرهم من الأطياف الإسلامية المخلتفة وعلى رأسها السلفية التي تعتبر الوجه الأبرز للمواجهة مع الصوفية، على هؤلاء جميعا النظر إلى التصوف من خلال الآتي:

أولا: ضرورة تجاوز نقاط الاختلاف الشكلية والدخول إلى المضمون.

وقد اتفق على هذه الحقيقة، وهي مضمون التصوف علماء اختلفت مشاربهم عن الصوفية لكنهم جميعا أئمة مسلمون يعرفون حقائق دينهم، فقد أثبت هذه الحيثية ابن قيم الجوزية وابن خلدون وغيرهما، مشيرين جميعا إلى إطلاق لفظ الزهاد أو العباد أمر له ظروفه التاريخية – وجودا ودلالة – وذلك لايقدح في حقيقة المسمى"[1]

ولا شك أن مضمون التصوف لا يعدو في جميع طرقه ومشارب أتباعه أن يكون هو (الخلق) لأن الذين درسوا التصوف بإنصاف خارج دائرة التصوف لم يروا التصوف إلا من هذه الزاوية، كما يقول ابن قيم" واجتمعت كلمة الناطقين في هذا العلم على أن التصوف هو الخلق...., وأن هذا العلم مبني على الإرادة فهي أساسه ومجمع بنائه، وهو يشتمل على أحكام الإرادة، وهي حركة القلب ولذا سمي بعلم الباطن، كما أن علم الفقه يشتمل على تفاصيل أحكام الجوارح ولهذا سمي بعلم الظاهر، يقول الكتاني:" التصوف هو الخلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الصفاء"[2].

ولسائل أن يسأل ما الذي يتوقع من مشروع الإصلاح إذا اعتبرنا أن الأخلاق هو مضمون التصوف، وإذا تجاوزنا نقاط الخلاف الشكلية فهل هذا يجدي نفعا في تحقيق الإصلاح الصوفي – داخليا وخارجيا– ؟

1– المصدر نفسه/ص ١٧٤

2– مدارج السالكين ٤٩٩/١.

أقول: إن اعتمادنا الأخلاق مفردة نركز عليها في مشروع الإصلاح الصوفي تتحقق به مكتسبات إصلاحية على المستوى الداخلي والخارجي.

أما داخليا: فإن رجال الإصلاح إذا ركزوا على الجانب الأخلافي فإنهم بذلك يقفون على قوام الإسلام الذي نشأ في كنفه، فقد امتدح القرآن نبي الإسلام بقوله ﴿وَإنكَ لَعَلى خلق عظيم﴾[1] وقد عبر النبي ﷺ عن مضمون رسالته بقوله:" إن الله بعثني لأتمم مكارم الأخلاق"[2].

والرسول ﷺ هو الإنسان الكامل حسب مصطلحات الصوفية، وهو القدوة المطلقة عند جميع المسلمين، فقد كان عليه ﷺيتحلى بالأخلاق الحميدة والآداب الشريفة، وقد بلغ حد الكمال والاعتدال فيها، حتى قالت عائشة رضى الله عنها فى صحيح مسلم:" كان خلقه القرآن".

وقد جمع الرسول ﷺ المكارم كلها، ولا غرابة فى هذا، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً﴾[١] فإذا كان الله عز وجل هو الذي علمه وأدبه، فلا بد أن يكون المتعلم على أكمل وأتم وأحسن ما يكون التعلم.

"وكذلك فإن التزكية وأدب النفس بتحليتها بالفضائل وتخليتها عن الرذائل حقيقة شرعية قررها القرآن وطبقتها السنة والصحابة والتابعون ومن سار سيرهم، وكان لذلك كل أثره فى الحياة الإسلامية اعتدالا وزهدا وشجاعة فى الحق ونحو هذا مما تلتزم به النفس الزكية المحسنة"[٢].

ولا شك فى أن ذلك ما يجمع كلا من الصوفية وغيرهم، لأن الصوفية على اختلاف طرقهم لا يعدون اعتمادهم لمفردتى (التحلية والتخلية) وأن جميع أطياف المسلمين لا تنكر أصالة هاتين المفردتين في التراث الإسلامي.

1– اسورة لقلم: الآية: ٤

2– المستدرك على الصحيحين/محمد بن عبد الله الحاكم النيسانوري/ تح: مصطفي عبد القادر عطا/ج٢ /ص ٦٧٠/ الحديث رقم (٤٢٢١) دار الكتب العلمية/ بيروت/ ١٤١١هـ ١٩٩م

١ – النساء/١١٣

٢ – التصوف بين الإفراط والتفريط/ عمر عبد الله كامل/ص١٧٥/مصدر سابق

إن تحديد الهدف والدخول إلى المضمون أمر منهجي يؤدي الالتزام به إلى الالتقاء حول الحقيقة الشرعية التي هي الكيفيات الباطنية التي تصاحب الأعمال والهيئات عند أدائها، وهذه أخلاق إيمانية هي من الشريعة بمنزلة الروح من الجسد، والباطن من الظاهر، وتندرج تحت هذه العناوين تفاصيل وجزئيات وآداب وأحكام، وتجعل منها علما مستقلا وفقها منفردا"[٣].

ولا يعني هذا أننا لا نتطرق إلى مجموع جوانب الأخطاء بالإصلاح، ولكن لأن الجانب الأخلاقى إذا اعتمدنا للرقي به أسلوبا جادا؛ فإن كثيرا من جوانب الأخطاء ستختفي تلقائيا، فما مظاهر ادعاء الكرامات إلا سقطة أخلاقية، وما مظاهر الكبر الخفى إلا سقطة أخلاقية، وإن الذين تطرقوا لعلم الأخلاق بالتعريفق لم يتعد تعريفهم أن يكون" علم الأخلاق: وهو علم يعرف به أنواع الفضائل وكيفية اكتسابها وأنواع الرذائل وكيفية اجتنابها، وهو معطوف على الفقه لا على التبحر لما علمت من أن علم الإخلاص والعجب والحسد والرياء فرض عين، ومثلها غيرها من آفاق النفس: كالكبر والشح والحقد والغش والغضب والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والبطر والخيلاء والخيانة والمداهنة والاستكبار عن الحق والمكر والمخادعة والقسوة وطول الأمل ونحوها مما هو مبين فى ربع المهلكات من الإحياء للغزالي...، ولا ينفك عنها بشر، فيلزمه أن يتعلم منها ما يرى نفسه محتاجا إليه، وإزالتها فرض عين ولا يمكن إلا بمعرفة حدودها وأسبابها وعلاماتها وعلاجها، فإن من لا يعرف الشر يقع فيه"[١].

أما على المستوى الداخلي: فإن الدخول إلى المضمون مباشرة يجنبا أن نقع فيما أسماه البعض بجناية المصطلح على حقيقته ومضمونه، فقد كان المصطلح (التصوف) والخلاف حول دلالته وتعريفاته طريقا للخلاف بين المسلمين، حجبهم فيه من الوقف أمام الشكل عن حقيقة التزكية والتربية والإسهام الاجتماعى، وكل خير فدمه التصوف الإسلامى لمجتمعه باعتباره فكرا إسلاميا تضرب جذوره في

[٣] – ربانية لارهبانية/ أبو الحسن الندوي/ص ١٣ / نقلا عن التصوف بين الإفراط والتفريط١٧٥ .

[١] – رد المحتار على الدر المختار: شرح تنوير الابصار/ محمد أمين بن عمر ابن عابدين /ص١٠٢/د.د.ن.

مصادر الإسلام، ويأخذ نماذجه وقدوته من سيرة الرسول الكريم وصحابته ومن سار على طريقهم"[٢].

كل هذا حُجب عن عين القارئ وذهنه، لأنه شُغل بالخلاف حول التصوف ونسبته إلى الصوف أو الصفة أو الصفاء أو إلى كلمة ليست فى لغة العرب (صوفيا) وهذا لا يجدي للحياة، وإن كان يشتغل به الباحثون في زوايا التاريخ، ولو فطن من يقرأ لهذه الحقيقة لعرف اجتهاد قوم لإثراء الحياة فى جانب من جوانبها، كما أثراها علوم أخرى، واجتهادات أقوام آخرين"[١].

وما الذى نتوقعه من الجتمع عندما تكون جهود الإصلاح الصوفي تعتمد الجانب الأخلاقي أساسا تسعى لتنميته؟

لا شك أن الجواب واضح، إن المجتمع إذا نمّا فيه الجانب الأخلاقي فإن كل مظاهر الانحطاط الأخلاقي والانحلال الاجتماعي ستتلاشى، بالإضافة إلى نمو الوازع الدينى بكل ما يحققه ذلك من مكتسبات في ميادين الحياة كافة.

ثانيا: ضرورة القراءة في تجرُّد واستقلال فكري.

إن الدخول على فكر ما بفكرة مسبَّقة في رأس القارئ أو الناقد أو المصلح، سواء كان من الصوفية أو خارجها يحرمه من الموضوعية في الحكم، ويجعله لا يرى فيما يقرأ أو فيما يحاول إصلاحه إلا ما يشهد لفكرته التي في رأسه، ويلجئه هذا المنهج إلى تأويل ما يراه على غير ما يهوى حتى لو خالف أظهر قواعد التفكير ومناهج البحث، وعندما قال أحد أئمة الصوفية:" إذا سمعتم عني شيئا فزنوه بميزان الشرع فما وافق فخذوه وما خالف فاطرحوه"[1] لا يعنى قوله هذا سوى دعوة صريحة لضرورة القراءة فى تجرد واستقلال فكرى" فقد أعلن أن ما يخالف الشرع فهو مكذوب عليه، لأنه فى نفسه متقيد بالشرع راجع إليه، وقد شهد العدول المعاصرون له بذلك، وأن الميزان بينه وبين أصحابه هو شرع الله عز وجل، فكل

[٢] – رد المحتار على الدر المختار: شرح تنوير الابصار/ محمد أمين بن عمر ابن عابدين /ص١٠٢/د.د.ن.

[١] – التصوف بين الإفراط والبفريط/ عمر عبد الله كامل/ص١٧٦ .

[1] – الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية/الطيب السفياني/1259هـ 1843م

ما ينسب إليه يفترض أنه يحتمل وجهين، وجها يطابق الشرع، ووجها لا يطابقه، فنحمله على ما يطابق الشرع الشريف، ونبرأ إلى الله من الوجه المخالف، ونجزم بحسب تحرِّينا ومعرفتنا به وأتباعه أنه لا يقول به، وهو منه بريء، وإن كان لا يمكن حمله بحسب ما جرى عليه، كما تبرأ منه فى حياته وأوصى أصحابه برفضه"[1].

وقد قدم عمر عبد الله كامل مثالا على ذلك بالذى يقرأ عن المعتزلة وقال" فالذي يقرأ فكر المعتزلة وفى رأسه حكم الفقهاء عليهم، ووصف أهل السنة لهم بأنهم المعطلة في الصفات، تراه لا يلتفت إلى آثارهم فى الحياة العقلية، ولا إلى ما عرف عن شيوخهم من عبادة وصلاح، وهو ما يتناقض مع ما أشيع عنهم معطلة يعبدون عدما، بل ولا يلتفت إلى جهودهم فى مناظرة اليهود والنصارى ودفاعهم عن الإسلام ضد المارقين"[2].

وقد كان الأمر كذلك فى قراءة البعض للتصوف الإسلامى، حيث قرؤوه لإدانته سلفا، ولذلك وقعوا فى فجاجة التعميم التى لا يقبلها منطق، ولا يقرها المحققون من العلماء.

ويشار إلى أمثلة وقعت فى التعميم وربما التناقض، نتيجة للقراءة من موقف محدد سلفا، فابن الجوزي الذى سبق أن صنفناه ضمن أبرز رجال الإصلاح الصوفى من الخارج كان قد هاجم التصوف في مواطن شتى من كتبه، وكان جماع هجومه في كتابه (تلبيس إبليس) ولا يعنينا هنا الرد على الهجوم أو الثناء على المدح بقدر ما يعنينا أن ابن الجوزى في مسلكه هذا عمم فيه الحكم على التصوف ورفضه شكلا ومضمونا، وجرح كل الكتابات التي كُتبت من قبل فقهاء الصوفيه، كالجنيد، أو المحاسبى، أو المكي، أو الغزالى، أو المقدسى، وجردهم جميعا من العلم بالسنة"[3].

---

[1]- رد أكاذيب المفترين/ محمد الحافظ المصري/ص: ١٠-١٢/نقلا عن حقيقة الطريثة التجانية إبراهيم صالح/ص٣٦

[2]- التصوف بين الإفراط والتفريط/عمر عبد الله كامل/ ص ١٧٧.

[3]- المصدرنفسه.

إن هذا المسلك رُغم ما فيه من تعميم لا يوافقه عليه أشد الناس سلفية وهو شيخ الإسلام ابن تيمية"[٢]. يظهر تناقضا واضحا، فهو من جهة يذكر أن أوائل الصوفية كانوا يعولون على الكتاب والسنة فكيف يجوز التعميم على كل الصوفية كما وضح فى كتابه (تلبيس إبليس) وهو من جهة أخرى له كتاب ترجم فيه للعديد من أوائل الصوفية وشيوخهم، وهو كتاب (صفة الصفوة) وفيه ينقل الكثير من أقوالهم التي تفيد العلم الذي نفاه عنهم في كتابه السالف الذكر، فضلا عن اتهامهم بكثير من التهم، فكيف يقبل منه هذه التناقضات؟.

وما أشبه الليلة بالبارحة، فقد كان غياب التجرد والاستقلال الفكري سببا فى رد السلفيين النيجيريين وغيرهم لكل من لم يكن على نهجهم، حتى على مستوى تصنيف العلماء والاعتراف بعلمهم لاتجدهم يذكرون إلا من ارتضوه ضمن منهجهم؛ لأجل ذلك أفقدوا الأمة الإسلامية مجموعة عريضة من علمائها، فلا الغزالى رغم علمه وفضله وإبداعه في الفلسفة الإسلامية بمحسوب عندهم من العلماء الفضلاء، ولا القاضي عياض صاحب الشفاء رغم تقواه وورعه وحبه لجناب النبوة بعالم فاضل عندهم، ولا السيوطي رغم شيوع علمه وتعليمه حتى في نيجيريا بمعترف بفضله عندهم، لأنهم ذوو نزعة صوفية ليس إلا!!، وحديثا لا تجدهم يحدثونك بالإمام محمد متولي الشعراوي، ولا محمد الغزالي، ولا الشيخ أحمد كفتارو، ولا الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي ولا الشيخ عبد الحليم محمود، ولا الشيخ محمد الحافظ المصري، ولا الشيخ محمد بن علوي المالكي الحسيني ولا الشيخ إبراهيم إنياس، ولا الشيخ إبراهيم محمد الصالح الحسينى، فكل هؤلاء لا علم لهم بالسنة ولا هم أصحاب عقيدة مستقيمة ولا ينبغي أن يؤبه بهم.

ولذا تجدهم يحصرون علماء هذه الأمة كلهم في ابن الجوزي، وابن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية، ومحمد ابن عبد الوهاب قديما. وابن باز، والألبانى، والعثيمين، وصالح بن فوزان، وعائض القرني، وسلمان العودة حديثا، فهل هذه الأمة عقيم لهذه الدرجة لا تنجب إلا هذه الثلة من العلماء؟ .

---

[٢] – راجع إن أردت الفتاوى/ الجزء المخصص ل (علم السلوك) وهو الجزء العاشر/ص٥٥١

والأدهى والأمر: أنهم لا يرون لكل من لم يقرأ مناهجهم العلمية مكانة فى العلم، فإذا لم تتلق دروسك فى السعودية أو إحدى الجامعات التى أشرفت السعودية على وضع مناهجها فأنت لست على شيء من العلم ولا الاستقامة !!!

ولذلك فإن المتوقع من المصلح سواء كان من الصوفية أو من غيرهم عليه أن يستقل فى دراسة هذه الظاهرة، في تجرد وموضوعية، حتى لا يقع في مغبة التخبط فى الحكم على مجموعة أقل ما يمكن أن يقال عنهم أنهم مسلمون يخطئون ويصيبون، وإذا ذهبنا أكثر فى وصفهم نجدهم مجتهدون فى العبادة والتقرب إلى الله مثلهم فى ذلك مثل المجتهد فى فروع العلم الشرعي، فمن اجتهد فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر.

ثالثا: التفرقة بين أقوال الصوفية وروايات المؤرخين عنهم.

ما دام القاري أو الإصلاحي يريد الحكم على التراث والواقع الصوفيّين بغية الإفادة منه أو إنكاره، فإن أمانة العلم تلزمه أن يفرق بين أقوال الصوفية موثقة النسبة إليهم، فهو من مؤرخي الفكر وكتاب الطبقات من بعض أفعالهم، ذلك أنه إضافة إلى ما يغلب على كتب الطبقات من بعض المبالغات، فإنها تكتب غالبا فى وقت متأخر عن حياة المؤرخ لهم، وليس بالضرورة أن يدقق المؤرخ فى كل رجال سند الرواية التي ينسبها إلى هذا الشخص أو ذاك، فإذا أضفنا إلى ذلك رغبة بعض المؤرخين فى إضفاء صفات معينة على العلم أو الشخص الذي يؤرخ له لسبب مذهبي أو لميل طائفي أو عاطفي كان لنا أن نؤكد ضرورة التفرقة بين أقوال الصوفية أنفسهم وفهوم المؤرخين لهم وللتصوف، باعتبارها ضرورة منهجية للحكم والاستنباط"[1].

وقد أثبت أحد أبرز الكاتبين عنهم هذه الحقيقة والتى تؤكد أن روايات كثيرة اختلط فيها الغث بالسمين دخلت فى التراث الإسلامى والصوفى على وجه

[1] – التصوف بين الإفراط والتفريط/عمر عبد الله كامل/ص١٨١

الخصوص، فقد قال ابن تيمية في القتاوى" ويوجد أحياناً عندهم من جنس الروايات الباطلة أو الضعيفة، ومن جنس الآراء والأذواق الفاسدة أو المحتملة شيء كثير"[٢].

عليه!! فإن القارئ قبل أن يصدر حكما معينا على أحد، عليه أن يأخذ بمناهج الجرح والتعديل التي وضعها علماء الحديث، فيحفظ حينئذ من روايات المعاصرين للشخص المؤرخ له، لأن شهادة القرين لا تقبل ضد قرينه، وينظر للرواوي من حيث صلته الفكرية مع المؤرخ له، لأن ذلك له تأثير فى أن يكون المؤرخ مع الضد المؤرخ له، وهكذا.

رابعا: ضرورة تحديد المصطلحات المتصلة بالتصوف.

لا بد من تحديد المراد من مصطلحات الصوفية قبل الحكم عليهم ما دام العمل يتطلع إلى الإصلاح أو القراءة من أجل الإفادة، وإلا دخلنا فى ملابسة تؤدي بصاحبها إلى حكم خاطئ فضلا عن عدم تقدير دقيق مما يسبب في عدم الاستفادة من هذا التراث، وقد أدى الخلط في مصطلحات التصوف إلى نتائج تنقصها الدقة المنهجية في كثير من الأحيان، ولنأخذ أمثلة على ذلك فى كلا الجانبين: (الألفاظ والأوصاف).

ففي باب الألفاظ نذكر مثلا: الزهد، والتوكل، والاتحاد، والفناء.

هذه الألفاظ: دار حولها حديث طويل من حيث دلالتها وصلة هذه الدلالة بالفهم للإسلام، لا سيما أن البعض ربط بين كلمات الصوفية فى الزهد وبين دعوات بعضهم مثل شقيق البلخي مثلا – للقعود عن الكسب – كما ربط البعض بين التوكل والقعود عن الكسب نفسه، حتى إن ابن الجوزي اتهمهم بعدم الفهم ومجافاة ما يحب أن يكون، حيث تنكبوا الطريق الشرعي للحياة، فالتوكل عمل قلبي وثقة بالله لا ترك العمل، ولا تعطيل الجوارح، ويستشهد بأن النبي ﷺ كان تاجرا حتى كفي العمل من الفيء"[١].

---

[٢] – فتاوى ابن تيمية: التصوف/ج ١١ /ص ٤٣.

[١] – تلبيس إبليس/ابن اجوزي/ص ٢٨٠ /مرجع سابق

فلو رجعنا إلى أقوال الصوفية في الزهد، وفي الكسب، وفي التوكل، وحددنا دلالة هذه الألفاظ عندهم وعرفنا موقفهم من العمل ورفضهم لأصحاب دعوى القعود عن الكسب لتحدد لنا رأيهم بدقة، في هذه المفاهيم، ولكان لنا أن نحكم على مدى قرب منهجهم أو بعده عن دعوة الإسلام إلى الزهد والكسب والتوكل". ٢

ويمكن الاستدلال هنا بعبارتين اثنتين إحداهما للحارث المحاسبي والأخرى لأبي طالب المكي، وهما أنموذجان لكثير من الأقوال يماثلهما عند الصوفية، ولهما دلالتهما في مسألة الزهد ومسألة التوكل.

يقول الحارث المحاسبي "ولرب مكنز للأموال بغير الإكثار مشغول، ليس بذاكر دنياه، لأن الآخرة غلبت على مناه، تذكره للدنيا من أراد فيها البلاغ، وحبه لها حب من لا يغيره تقلب الأحوال، قلبه لغيرها ذاكر، وهو على ما أعطاه الله منها شاكر، إن أعطي منها لم يمنعه نزول البلية عن النظر إلى مواضع الخير، ولرب مقل قد ظهر الزهد على ظاهره وبدنه، وقلبه مشغول بالرغبة فقد استقل كل ما صار إليه من الدنيا وإن كان في العدد كثيرا، ويستكثر ما بيد غيره وإن كان في العدد قليلا.١

ويقول مكي بن أبي طالب "ولا يضر التصوف والكسب لمن صح توكله، ولا يقدح في مقامه من حاله، قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾[1] وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّا كُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾[2] وفي الحديث قال ﷺ :" أحل ما أكل الرجل من كسب يده"٢.

فمن أدرك دلالة الزهد والتوكل عند الصوفيه، كان له أن يقرهم على فهمهم الذي هو صدى وكان كذلك أن يناقش البعض في قضية التوكل بين العامة والخاصة، وهذا طريق الحكم الحق والتوظيف الجيد للتراث، أما من لم يعن نفسه

---

٢ – التصوف بين الإفراط والتفريط/كامل/ص ١٨٢ وما بعدها.

١ – المسائل في أعمال القلوب/ للحارث المحاسبي/ص٤٤ /نقلا عن اتصوف بين الإفراط والتفريط١٨٣

[1]– النبأ ١١

[2]– الأعراف ١٥

٢ – المدخل/ابن الحاج/ تح: دار الفكر/بيروت/ ١٤٠١هـ–١٩٨١ م

بالتحقيق في مراد القوم فقد سهل عليه أن يكيل التهم لهم لموقفهم من الزهد، والعمل، والمال، ونحوه، وحسب أنه بذلك قدم للبشرية خيرا" [٣].

وبالمقابل فإن الحب الإلهي الذي تغنّى به الصوفية ليس إلا انتزاعا لنصوص قرآنية وحديثية عبروا عن أشواقهم بلغة جعلت البعض ينفر منهم ويتهمهم منذ فترة مبكرة، أي قبل التصوف الفلسفي أنهم يقولون بالاتحاد، مع أن حقيقة ما دعوا إليه وتغنوا به هو صدى للحديث القدسي" ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه"[١].

وقد فطن ابن تيمية إلى الفرق بين هذا الاتحاد الوارد في هذا الحديث والاتحاد الذي يقول به البعض في مرحلة تفلسف التصوف قال:" وَهَذَا اتِّفَاق واتحاد في المحبوب المرضي المامور به والمتبغض المكروه المنهي عنه. وقد يقال له اتحاد نوعي وصفي وليس ذلك اتحاد الذاتين، فإن ذلك محال ممتنع والقائل به كافر، وهو قول النصارى والغالية من الرافضة والنساك كالحلاجية ونحوهم وهو "الأتحاد المقيد" في شيء بعينه... وأما" الأتحاد المطلق " الذي هو قول أهل وحدة الوجود الذين يزعمون أن وجود المخلوق هو عين وجود الخالق فهذا تعطيل للصانع وجحود له وهو جامع لكل شرك"[٢]

وأما الفناء وهو عند الصوفية لازم المحبة حين تشتد وتسيطر، فإن هذا اللفظ كم جرَّ المتعجلين في الحكم إلى التشنيع على كل الصوفية والتنديد باللفظ في كل دلالاته، وهذا لا شك يتناقض والدقة والمنهجية .

ولقد أدى تفحص أقوال الصوفية والتدقيق فيها بعالم محافظ كابن تيمية أن يقرر الفناء " الذي يوجد في كلام الصوفية ويفسره بثلاثة أمور:

(أحدها): فناء القلب عن إرادة ما سوى الرب، والتوكل عليه وعبادته وما يتبع ذلك، فهذا حق صحيح وهو محض التوحيد والإخلاص، وهو في "الحقيقة" عبادة القلب،

---

[٣] االتصوف بين الحق والخلق/محمد فهر شقفة/ص ١٠٨-١١٧/ نقلا عن التصوف بين الإفراط والتفريطاكامل/ص١٨٤.

[١] رواه البخاري

[٢] – مجموع الفتاوى/ ابن تينية/ج ١٠ /ص٥٩

وتوكله، واستعانته، وتوبته، وإنابته، وتوجهه إلى الله وحده لا شريك له، وما يتبع ذلك من المعارف... والأحوال. وليس لأحد خروج عن هذا، وهذا هو " القلب السليم" الذي قال الله فيه: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[1] وهو سلامة القلب عن الاعتقادات الفاسدة. والإرادات الفاسدة وما يتبع ذلك٣. وهذا الفناء لا ينافيه البقاء، بل يجتمع هو والبقاء فيكون العبد فانيا عن إرادة ما سواه وإن كان شاعرا بالله وبالسوى وترجمته قول لا إله إلا الله، وكان النبي ﷺ يقول:" لا إله الا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن"[2] وهذا في "الجملة" هو أول الدين وآخره.

الأمر الثاني: فناء القلب عن شهود ما سوى الرب فذاك فناء عن الإرادة وهذا فناء عن الشهادة. ذاك فناء عن عبادة الغير والتوكل عليه وهذا فناء عن العلم بالغير والنظر إليه، فهذا الفناء فيه نقص، فإن شهود الحقائق على ما هي عليه وهو شهود الرب مدبرا لعباده أمرا بشرائعه أكمل من شهود وجوده أو صفة من صفاته، أو اسم من أسمائه والفناء بذلك عن شهود ما سوى ذلك. ولهذا كان الصحابه أكمل شهودا من أن ينقصهم شهود للحق مجملا عن شهوده مفصلا ولكن عرض كثير من هذا لكثير من المتأخرين من هذه الأمة.

الثالث: فناء عن وجود السوى: بمعنى أنه يرى أن الله هو الوجود وأنه لا وجود لسواه لا به ولا بغيره وهذا القول والحال لاتحادية الزنادقة من المتأخرين كالبلياني والتلمساني والقونوني ونحوهم الذين يجعلون الحقيقة أنه عين الموجودات، وحقيقة الكائنات، وأنه لا وجود لغيره، لا بمعنى أن قيام الأشياء به ووجودها به كما قال النبي ﷺ أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل، وكما قيل فيه قوله: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [3] فإنهم لو أرادوا ذلك لكان ذلك هو الشهود الصحيح، لكنهم يريدون أنه هو عين الموجودات فهذا كفر وضلال ربما

---

[1]- الشعراء89

٣ الفتاوى/ابن تيمية/مج ١٠ /ص٣٣٧

[2]- عمل اليوم والليلة/أحمد بن شعيب بن علي النسائي/تح: د. فاروق حمادة/ص196/ مؤسسة الرسالة – بيروت/ط: 1406/2هـ

[3]- سورة القصص : من الآية: 88

تمسك أصحابه بألفاظ متشابهة توجد في كلام بعض المشايخ. كما تمسك النصارى بألفاظ متشابهة تروى عن المسيح. ويرجعون إلى وجد فاسد أوقياس فاسد. فتدبر هذا التقسيم فإنه بيان الصراط المستقيم.١.

فالنوعان الأوليان مقبولان عند ابن تيمية، لدرجة أنه قال عن النوع الثانى" وعامة ما نجده في كتب أصحاب الصوفيه مثل شيخ الإسلام {يقصد الهروي الأنصاري} ٢ أو من قبله من الفناء هو هذا...، وبالجملة فهذا الفناء صحيح"[1].

لكن لم يمنع ابن تيمية من أن ينكر النوع الثالث، وهو الفناء عن وجود السوى الذي يرى أن الله هو الوجود وأن لا وجود سواه، وأنه عين الموجودات، لأنه يخالف الشرع وما به قال المحققون من مشائخ الصوفية .

خامسا:- مراعاة الصوفية كتجربة ذوقية.

إن هذه مسألة مهمة يجب النظر إليها بشيء من الاعتبار، فالتصوف شعور وذوق ينطلق من حالة الصو في الروحية، وليس بالضرورة أتنطبق حالته الروحية هذه إلى غيره من الناس، ولم يتسن له أن سمع حالة أو تصريح وقع على هذا النحو الذي سمعه من واحد من أصحاب الذوق، ولذلك يقول الدكتور عبد الحليم محمود عن هذا الوجد والإحساس الذي يجده الصوفي " إن أمر التصوف في الواقع ليس أمر جدل...، وإنما هو تعرف، والتصوف تجربة، والتجربة شعور، والتصوف ليس منطقا ولا برهانا، إنما هو تعرف، وقديما قيل: من ذاق عرف، وبالتالي فإن من لم يذق لم يعرف.٣

فلو نظرنا إلى التصوف في ضوء طبيعته التي أشرنا إليها فإن مسألة غموض التعبيرات الصوفية سوف يُعرف سببها، اختلاف التعبيرات للصوفي الواحد سوف يدرك سرها كذلك، وسوف ندرك لماذا اعتدل البعض في حكمهم على

١- مجموع الفتاوى/ج10/ص٣٣٨

٢- التصوف بين الإفراط والتفريط/كامل/ص ١٨٥

[1]- الفتاوى/ابن تيمية/ج10/ص341.

٣- تقريظ لكتاب التعرف لمذهب أهل التصوف/لأبي بكر الكلاباذي/تح: د.عبد الحليم محمود والأستاذ طه عبد البافي/ص٩ وما بعدها/مكتبة الثقافة/ القاهرة/د.ط.ت

التصوف، وذلك حين فهموا طبيعته واعترفوا بها، ولماذا لم يدرك البعص هذ الحظ من الإنصاف وذلك لأنهم قاسوا التصوف كعلم على سائر العلوم في عصره، مع أن هذا المقياس ذاته غير دقيق، لأن علوم العصر تختلف بحسب موضوعاتها، وتختار لذلك وسائلها وتعين لغة التعبير فيه"[١].

فلكي نصيب فى الحكم على التصوف، ونسطيع الإفادة من جوانب الثراء فيه ينبغي لنا أن نراعي هذا الأمر ونحن نقرأ التراث الصوفي، ويبقى بعد ذلك أن نخطئ أو أن نصيب لكن كل ذلك في دائرة الاجتهاد الأمين الذي يمنح صاحبه أجرا إن أخطأ، وأجرين إن أصاب" ٢.

سادسا: ويأتي في سياق المتوقع من جهود الإصلاح السعي إلى تجديد التصوف. والتجديد في التصوف لا يعني التجديد في مبادئه وثوابته، وإنما يعني تجديد فهم الناس للتصوف، وتجديد المعنى بالقلوب مما يتعلق بالعبادة، وتصفيتها مما يتعلق بالنفوس والقلوب وتزكيتها، لأن العبادة أساس كبير في مجال التصوف"[1].

ويتضمن مشروع التجديد إعادة النظر في المسلمات الطرقية التي يظهر منها مخالفتها للشرع، والرجوع بها إلى ظواهر الشريعة تماما كما فعل الشيخ زروق من بنائه طريقة من خالص الأذكار والأوراد النبوية في اليوم والليلة، وهي أوراد فيها من الأنوار والأسرار ما فيه الكفاية، وكل ما يدعو إلى التأويل أو الاستشكال يجب أن يزاح من تراث التصوف الطرقي، بما أنه ليس من الوحي ولا مما علم من الدين بالضرورة، وبهذا فقط يمكن أن نشكل سدا منيعا أمام المنتقدين، وعصمة للمنتمين من الزيغ في أودية التخبط والانحراف عن شرع الله.

---

[١] التصوف بين الإفراط والتفريط/كامل/ص ١٩٠

[٢]- المصدر نفسه .

[1]- رسالتان في التصوف/الحسيني/ص21مكتبة الجندي/ القاهرة/ط1431/2ه 2012م.

الخاتمة.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، اللهم لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضى، إلهي لك الحمد كله ولك الشكر كله، وإليك يرجع الأمر كله، علانيته وسره، فأهل أنت أن تحمد، وأهل أنت أن تعبد، وأنت على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وأصحابه التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد !!! .

فمن المتعارف عليه أكاديميا تضمين نتائج البحوث في خاتمتها، وبناء على هذه الحقيقة المنهجية فإننا يمكن أن نلخص ما تمخض عنه هذا البحث في العناصر الآتية:

- إن تاريخ الإسلام في نيجيريا تاريخ سلمي لم يقترن بالسيف بل بالاقتناع والتبني الحر، وقد عمل على تغيير الواقع النيحيري والارتقاء به – اجتماعيا وثقافيا وسياسيا. ويمكن عزو جميع التحولات الحضارية التي شهدتها المنطقة إلى تجربة الإسلام، وهذا ما يتيح لنا المقارنة بين المسيحية والإسلام في نيجيريا، فإن نيجيريا تمثل مهدا للدعوة الإسلامية، حيث قامت فيها إمارات إسلامية عريقة منذ القرن الثاني الهجري التاسع الميلادي، ثم قامت فيما بعد إمبراطورية "سكتو" الإسلامية على يد الشيخ المجاهد عثمان دانفوديو؛ في الفترة ما بين 1803-1940م، ثم بدأت الحركة التنصيرية في منتصف القرن التاسع عشر في منطقة بيافرا؛ مناطق قبيلة الإيبو؛ حيث نشطت حركة التنصير بعودة بعض المحررين من الأرقاء من منطقة سيراليون ووصولهم إلى منطقة بيافرا، حيث عاد هؤلاء إلى وطنهم الأصلي في منطقة دلتا نهر النيجر، وهناك عملوا على إحياء النشاط التنصيري.
- إذا كان مفهوم الخطاب الصوفي صيغ على أنه يعني: جملة آداب السلوك إلى الله ممثلا في شعائر الصوفية من أوراد وأذكار ومناهج تربوية ودعوية،

وطرقه المعبرة عن سلوك مريديه إلى الله، فإنه لم يكن التصوف معروفاً في عهد رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ ولا في عصر التابعين رحمهم الله، وإن كانت حقيقته معروفة، لأن جل ما يصبو إليه المرء هو الانتساب إلى الصحابة ﷺ ثم إلى التابعين رحمهم الله وكفى بالمرءِ شرفاً أن ينتسب إلى محمد ﷺ وإلى أصحابه ﷺ بالاتباع.

- وفي القرن الأول الهجري لم يكن يعرف اسم التصوف، بل كان أهله يعرفون باسم الزهاد والنساك والبكائين وليس باسم الصوفية، وكان اعتقادهم صافياً وإيمانهم نقياً خالصاً وما كان ابتعادهم عن الدنيا إلا لارتياعهم من عذاب الآخرة، وهرعوا إلى الكهوف والمغاور ورؤوس الجبال حيث الوحدة الصافية والانعزال عن صخب الحياة المادية، ثم بعد مضيّ عصر الصحابة والتابعين وفي أواخر القرن الثاني الهجري بدأ لفظ الصوفية يظهر، وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ كالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله (241.164هـ) وأبو سليمان الداراني المتوفى سنة 215هـ وقيل إن أول من بني دويرة للصوفية هم بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد المتوفى بعد الخمسين ومائة للهجرة. وهو من أصحاب الحسن البصري وكان ذلك في البصرة، وإن أول من عرف باسم صوفي في المجتمع الإسلامي هو أبو هاشم الصوفي المتوفى قبل منتصف القرن الثاني الهجري.
- كان للتصوف مراحل تطور من خلالها يمكن تصنيفها في الآتي:

1 – مرحلة من بعد الصحابة ﷺ، وهي دائرة من عنوا برعاية الأحوال وهي مرحلة تعكس فيها قلوبهم أحوالهم ويدل ظاهر حملة هذا النور على صفاء الباطن ونقائه

2 – المرحلة الثانية: تبدأ من زمن الحسن البصري إلى عهد إمام الطائفة الجنيد بن محمد القواريري البغدادي، وظلت الأمور على ذلك إلى زمن الغزالي

والحاتمي حين تعرض التصوف إلى عوامل التطور، فدخلت قضايا التصوف النظري في صميم منهج العبادة والنسك ليتحول إلى مذهب ينتظم العقيدة مع التركيز على تجريديها، وهو ما سهل انتقال كثير من المصطلحات الفلسفية إلى هذا المذهب السلفي في أصوله وأسسه إلى قيام الطرق الصوفية التي توسعت وتفرعت كالنقشبندية والقادرية والشاذلية وماتبعها، إلى عهد الشعراني الذي لاحظ انحرافا واضحا في سلوك بعض المنتسبين إلى التصوف فقام في وجه هذا الانحراف الواضح.

3 - المرحلة الثالثة: مرحلة الأقوال حيث كثر الكلام حتى أصبح العلم كلاما والتصوف كلاما والتدين كله كلاما.

ولذا يمكن حصر هذه المراحل في مرحلتين أساسيتين هما:

1- مرحلة التصوف السني .

2- مرحلة التصوف الفلسفي.

ولهاتين المرحلتين ينابيع استقى منها هما:

أ-الينبوع الأول: هو انصراف بعض العباد المسلمين إلى الزهد في الدنيا والانقطاع للعبادة وقد ابتدأ ذلك في عصر النبي ﷺ فكان من الصحابة من اعتزم أن يقوم الليل مجتهداً ولا ينام، ومنهم من يصوم ولا يفطر ومنهم من ينقطع عن النساء، فلما بلغ أمرهم إلى النبي ﷺ قال: مابال أقوام يقولون كذا وكذا. لكني أصوم وأفطر وأصلي وأنام وأتزوج النساء.

ب-والينبوع الثاني: الذي وجه النفوس هو ما سرى إلى المسلمين من فكرتين إحداهما فلسفية، والأخرى من الديانات القديمة.

- تعرض لإصلاح التصوف ونقده داخليا وخارجيا وأبرز أئمته. و قد حاول جماعة من الأئمة إصلاح التصوف و تقويم عوجه، فقد عرف تاريخ الفكر الإسلامي اتجاهات لنقد التصوف بعضها من داخله لتصحيح المسار، وبعضها

من خارجه. كما فعل الإمام ابن الجوزي في تلبيس إبليس، وابن القيم في "مدارج السالكين" و "طريق الهجرتين" و ابن تيمية في "الاستقامة" و غيرهم، أما على المستوى الداخلي فنجدالغزالي في عدد من كتبه نقد للتصوف، و أبا العباس أحمد زروق في "قواعد التصوف" و "عدة المريد الصادق" والعياشي سكيرج في جناية المنتسب العاني، والشيخ إبراهيم إنياس، والشيخ إبراهيم صالح في الكافي في علم التزكية والمغير والتكفير وغيرها من كتبه المستفيضة، رحم الله الجميع.

- تتمثل أبرز الطرق الصوفية في نيجيريا في الآتي: الطريقة القادرية والطريقة التجانية، الطريقة المهدية، والطريقة العروسية ولكل واحدة من هذه الطرق تاريخها وانتشارها، والطريقة القادرية تصنَّف بأنها الأعرق في هذا المضمار من خلال مرحلتين أساسيتين بعد تلقيها عن مؤسسها عبد القادر الجيلاني، المرحلة الأولى نهض بها الغوث أبومدين في المغرب العربي، والمرحلة الثانية نهض بها الشيخ محمد عبد الكريم المغيلي صحبة أحد تلاميذه هو: سيد عمر الكنتي، تلي الطريقة القادية في العراقة لا الانتشار الطريقة التجانية التي اكتسحت كل الوجود الإسلامي النيجيري، ثم المهدية فالعروسية. إلا أن الطريقة القادرية والتجانية تصنف على أنهما الأبرز عطاء من بين هذه الطرق على مستوى التربية الروحية والتعليم والتأليف، ولذلك جاء تخصيصهما من بين تلك الطرق بالحديث في هذه الجوانب المذكورة.

- يمكن تصنيف مشكلات الخطاب الصوفي في نيحيريا على أساس أنها مشكلات موضوعية تنطلق من ممارسات الصوفية أو المتصوفة بالأحرى والتي لا تعبر عن الصوفية الحقة، ولا يقرها أئمة التصوف المنصفون، أو من أدعياء اندسوا في التصوف اندساسا ليشهوا صورته الناصعة ولكنهم بطبيعة الحال يحسبون على التصوف بما أنهم تقنعوا بقناعه وتلبسوا بزيه، أما مشكلة صدام الخطاب الصوفي مع بعض الاطياف الإسلامية في نيجيريا فإنها في الغالب

الأعم مشكلات مغرضة يتعرض لها الخطاب الصوفي من غير الصوفية الناقمين على التصوف جملة وتفصيلا، فهؤلاء ليس عندهم ماهو إيجابي من التصوف، ولا يشيدون بأئمة الصوفية المستقيمين والذين لم يجد الإمام ابن تيميه بُدًّا من ذكرهم بكل تقدير والثناء عليهم بما هم أهله، وتظهر أوجه هذا الصدام ممن يدعون الانتماء لمنهج ابن تيمية، وهم أطياف السلفية بكل تسمياتهم واختلاف جمعياتهم وتباين مناطقهم لكنهم يجمعون على شيء واحد هو مو قفهم من التصوف، وإذا كانت المشكلات الموضوعية قد عمل بعض رجال الإصلاح الصوفي للحد من مظاهرها، فإن مشكلات الصدام الصوفي مع السلفية المعاصرة في نيجيريا لم تجد من يوليها الاهتمام من المسلمين في نيجيريا من أجل التحام اللحمة ولم شمل الأمة فالكل مسلمون في النهاية، ولا يضر هذا الانقسام إلا الوجود الإسلامي في نيجيريا.

- لقد قدم لفيف من أعلام الطرق الصوفية جهودا مضنية في سبيل إصلاح الطرق الصوفية وما شابها أو شاب أتباعها من انحرافات سواء على مستوى المنهج أو على مستوى الممارسات، وإن كانت لا ترقى إلى مستوى الانحراف القائم بين صفوف المتصوفة فإننا هنا بصدد دراسة تلك الجهود الإصلاحية من خلال مقارنتها بين الواقع والمتوقع منها، وقد تقدم كل من الشيخ عثمان بن فوديو وأخوه عبد الله بن فوديو والشيخ علي محمد بن أبي بكر الكوماسي وغيرهم جهودا مشكورة في إطار الصوفية القادرية، والشيخ إبراهيم إنياس المجدد الثاني للطريقة التجانية من خلال رسائله التي ابتعث بها إلى كل أتباعه في الأقطار الأفريقية والتي تعد نيجيريا أكبرها وأكثر أتباعا فيها، والشيخ إبراهيم صالح الحسيني بوقفاته الجادة في وجه كثير من الانحرافات الصوفية في إطار الطريقة التجانية.
- أما المتوقع من إصلاح الخطاب الصوفي في نيجيريا فقد ركّزت الأطروحة على خطوات رأت أن جهود الإصلاح في الخطاب الصوفي عبر التاريخ الطويل

سواء أكانوا من الصوفية أم من دونهم يجب أن تنصب حولها، وتتمثل هذه الخطوات وفق الآتي .

أولا: ضرورة تجاوز نقاط الاختلاف الشكلية والدخول إلى المضمون .

ثانيا: ضرورة القراءة في تجرُّد واستقلال فكري.

ثالثا: التفرقة بين أقوال الصوفية وروايات المؤرخين عنهم.

رابعا: ضرورة تحديد المصطلحات المتصلة بالتصوف.

خامسا: مراعاة الصوفية كتجربة ذوقية.

سادسا: ويأتي في سياق المتوقع من جهود الإصلاح السعي إلى تجديد التصوف الذي يرمي إلى إعادة النظر في المسلمات الطرقية التي يظهر منها مخالفتها للشرع، والرجوع بها إلى ظواهر الشريعة تماما كما فعل الشيخ أحمد زروق من بنائه طريقته من خالص الأذكار والأوراد النبوية في اليوم والليلة، وهي أوراد فيها من الأنوار والأسرار ما فيه الكفاية، وكل ما يدعو إلى التأويل أو الاستشكال يجب أن يزاح من تراث التصوف بما أنه ليس من الوحي ولا مما علم من الدين بالضرورة، وبهذا فقط يمكن أن نشكل سدا منيعا أمام المنتقدين، وعصمة للمنتمين من الزيغ في أودية التخبط والانحراف عن شرع الله.

وعلى الله قصد السبيل، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

-29/صفر/1432هـ 4/02/2011م

ثبت المصادر والمراجع.

أولا: مصادر أساسية.

القرآن الكريم على رواية حفص من مصحف المدينة.ا

الحديث النبوي الشريف، معتمدا كتب الصحاح أساسا لتخريج النصوص الحديثية.

ثانيا: مصادر ومراجع عامة:

-الأدب في التراث الصوفي/د.عبد المنعم خفاحي/القاهرة/مصر/دار غريب للطباعة/د.س.ن.

-التعرف لمذهب التصوف/للكلاباذي/تح: محمود أمين النواوي/مكتبة الكليات الأزهرية/القاهرة/ط3/1400 هـ .

-إحياء علوم الدين/أبو حامد الغزالي/تخريج: الحافظ العراقي/ج1/القاهرة/دار الغد العربي/د.ر/1986م. الصوفية والفقراء/ابن تيمية/ص5/ط القاهرة/د.ن.تلبيس أبليس لابن الجوزي دار القلم بيروت/ لبنان/د.د.ن.

-الصوفية وطرقها/الشيخ: ممدوح الحربي/ج1/د.د.ن

-التصوف/لماسينيون ومصطفى عبد الرزاق/ ط دار الكتاب اللبناني/1984 م

-تلبيس إبليس/ابن الجوزي/ط دار القلم بيروت/لبنان/د.س.ط.

-التصوف المنشأ والمصادر/إحسان إلهي ظهير/إدارة ترجمان السنة/ لاهور/1406هـ.

-التصوف الإسلامي وتاريخه/نيكلسون/تح:عبد العلاء عفيفي/مكتبة القضماني/دمشق/د.ط.ت.

-نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها/عرفان عبد المجيد فتاح/دار الجيل/بيروت/د.ط/1413هـ1993م.

-ابن تيمية وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره/محمد حربي/عالم الكتب/1407هـ 1987م .

-الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ/محمود عبد الرؤوف القاسم/دمشق/1974م.

-دراســـات فـــي الفـــرق والمـــذاهب القديمـــة والمعاصـــرة/عبـــد الله الأمـــين/دار الحقيقة/بيروت/1406هـ 1986م.

-حليـة الأوليـاء وطبقـات الأصـفياء/أبـو نعـيم أحمـد بـن عبـد الله الأصـبهاني/ج1/ دار الكتاب العربي، بيروت/ط: الرابعة/1405هـ

-صـفة الصـفوة/عبـد الـرحمن بـن علـي بـن محمـد أبـو الفـرج/ج2/تـح: محمـود فـاخوري – د.محمد رواس قلعه جي دار المعرفة – بيروت/الطبعة الثانية ، 1399هـ – 1979م.

-لمحـات مـن التصـوف الإسـلامي وتاريخـه/السـائح علـي حسـين/منشـورات كليـة الـدعوة الإسلامية/ط2/1997م.

-المقدمـــة/عبـــد الـــرحمن بـــن خلـــدون/ج3/تـــح: علـــي عبـــد الواحـــد وافـــي/ دار الجيل،بيروتد.ت.ن.

-مجموع الفتاوى/ابن تيمية/تح:أنور الباز وعامر الجزار/ج11/دار الوفاء/ط2/1426 هـ 2005 م

-

-سلسـلة فقهـاء النهـوض–الشـيخ عـز الـدين بـن عبدالسـلام سـلطان العلمـاء وبـائع الأمراء/د. علي محمد محمد الصَّلاَّبيَّ/ج1/د.د.ن.

-أصـــول التصـــوف/د.عبـــد الله حســـن زروق/الحركـــة الإســـلامية الطلابيـــة/1415هـــ 1995م.

-الإسلام والغرب/روم لاندو/تر :منير البعلبكي/ ط. دار العلم للملايين/بيروت/د.ت.

-نشـأة الفلسـفة الصـوفية وتطورهـا/د.عرفـان عبـد المجيـد/دار الجيـل/بيـروت/1413هـ 1993م..

-التعرف لمذهب أهل التصوف/لأبي بكر الكلاباذي/تح: د.عبد الحليم محمود والأستاذ طه عبد الباقي/مكتبة الثقافة الدينية/القاهرة/د.ط.ت.

-هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس/الدار العالميّة للكتاب الإسلاميّ والمعهـــد العـــالمي للفكـــر الإســـلاميّ/فيرجينيـــا/ الولايـــات المتحـــدة الاميركيّة/1416هـ/1995م.

-دراسة في الطرق الصوفية/السيد محمد عقيل بن علي المهدي/دار الحديث/القاهرة/ط2/د.ت.
-المدخل/ابن الحاج/دار الفكر/1401هـ - 1981م
-صفحات مكثفة من تاريخ التصوف الإسلامي/كامل مصطفى الشيبي/دار المناهل/بيروت/د.ط/1418هـ1997م.
-التصوف المقارن/محمد غلاب/مكتبة نهضة مصر/القاهرة/د.ت.ط.
-الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة/عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف/ج1/دار الكتب العلمية/الكويت/1406هـ1986م .
-صور من الصوفية/ابو العزايم جاد الكريم بكير/ج1427/1هـ 2006 م
-روح الأدب لما حوى من حكم وأدب/إبراهيم إنياس الكولخي/د.د.ن.
-جوهر الأدب في شرح روح الأدب/موسى سليمان التجاني/راجعه وقدم له: أحمد محمد الحافظ/د.د.ن/1411هـ 1991م.
-سنن البيهقي الكبرى/ تح : محمد عبد القادر عطا/مكتبة دار الباز/مكة المكرمة/1414 هـ
-الدعوة إلى الإسلام/محمد أبو زهرة/د.ط.ن.ت.
-معركة التبشير والإسلام/عبد الجليل رؤوف شلبي/مؤسسة الخليج العربي/القاهرة/1409هـ1989م.
-دور التصوف في تخفيف العنف المعاصر/كامل مصطفى الشيبي/أعمال ملتقى التصوف الإسلامي العالمي.
-الإسلام هو البديل/مراد هو فمان/تح محمد مصطفى مازح/1413هـ1993م.
-أعيان المغاربة/ مارث إ ت وغيره/طبعة: فوناتان الجزائر 1920م.
-كبرى الحركات الإسلامية في القرن الرابع عشر/د.محمد سيد الوكيل/دار المجتمع/جدة/السعودية/1402هـ1917م.
-أيها الولد/الغزالي/مكتبة ابن القيم/دمشق/ط1422/2هـ2001م.
-مجموعة رسائل الإمام الغزالي/إبراهيم أمين محمد/المكتبة التوفيقية/القاهرة/د.ت.ن.
-إحياء علوم الدين/الغزالي/ج2/الدار المصرية اللبنانية/د.دن/د.س.ن.

-مختصر منهاج القاصدين/ابن قدامة المقدسي/ شركة القدس/القاهرة/د.س.ن.
-عصر الدولة الزنكية ونجاح المشروع الإسلامي بقيادة نور الدين محمود الشهيد في مقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي/د. علي محمد محمد الصَّلاَّبي/ج3/د.د.ن.
-نشأة القادرية/د. ماجد الكيلاني/رسالة مقدمة إلى دائرة التاريخ في الجامعة الأمريكية بيروت لبنان لاتمام المطلوب للحصول على درجة استاذ في الآداب.
-مقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي/د. علي محمد محمد الصَّلاَّبي/ج3.
-دور التراث في تأكيد الأصالة/د.عمر التومي الشيباني/منشورات جمعية الدعوة الإسلامية/طرابلس/2000م.
-عدة المريد من أسباب المقت في بيان الطريق وذكر حوادث الوقت/الشيخ أحمد زروق مخطوط.
- دور التراث في تأكيد الأصالة/د.عمر التومي الشيباني.
-جناية المنتسب العاني فيما نسبه بالكذب للشيخ التجاني/أحمد بن الحاج العياشي سكيرج/ النهار للطباعة والنشر والتوزيع/القاهرة/د.س.ن.
-كتاب تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كانم برنو لصاحب الترجمة، مطبعة
-المغير على شبهات أهل الأهواء وأكاذيب المنكر على كتاب التكفير/ الحسيني/مؤسسة فؤاد بعينو للتجليد/بيروت/لبنان/1986م.
-حقيقة الطريقة التجانية/الشيخ إبراهيم صالح الحسيني/د.ن./2000م.
-ميزان التفاوت بين التواضع والتماوت/ الشيخ إبراهيم صالح الحسيني/الطبعة الثانية 2003 م.
-النهاية في غريب الأثر/ المبارك بن محمد الجزري/ تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي / المكتبة العلمية /ج 3./ بيروت 1979م.
-أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة/د. يوسف القرضاوي/مؤسسة الرسالة، بيروت/ط13/1412هـ 1992م .
-تلبيس إبليس/ابن الجوزي/ط دار القلم بيروت/ لبنان/د.س.ن.
-دراسات في التصوف الإسلامي وتاريخه/نيكلسون/تر: أبي العلاء العفيفي.

-الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية/عمر بن علي بن موسى البزار أبو حفص/تح: زهير الشاويش /المكتب الإسلامي/بيروت/ط 1400/3هـ

-إغاثة اللهفان ابن قيم الجوزية/تح: محمد حامد الفقي دار المعرفة/بيروت/ط2/ 1395هـ - 1975م

-بدائع الفوائد/ابن قيم الجوزية /مكتبة نزار مصطفى الباز/مكة المكرمة/تح: هشام عبد العزيز عطا وآخرون/1416هـ - 1996م.

-اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية/ ابن قيم الجوزية/دار الكتب العلمية/بيروت/1404هـ 1984م.

-طريق الهجرتين وباب السعادتين /ابن قيم الجوزية/تح: عمر بن محمود أبو عمر /ج1 /دار ابن القيم/الدمام/السعودية/ط 1414/2هـ - 1994م.

-موقف أئمة الحركة السلفية من التصوف والصوفية/عبد الحفيظ بن ملك عبد الحق المكي/دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع/القاهرة/1409هـ1988م.

-الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها/الشيخ فريد الدين آيدن/د.د.ن.

-الأعلام /الزركلي/ج3/دار العلم للملايين/ط2002/15م.

-أضواء على الطرق الصوفية في القارة الأفريقية/عبد الله عبد الرزاق إبراهيم/القاهرة/1987م.

- تاريخ الزاوية القادرية بالمغرب/علي أوعدي/2007م.

-أحزاب وأوراد/محمد الحافظ التجاني/الزاوية التجانية الكبرى/القاهرة/مصر/2006م.

-الشيخ سيدي أحمد التجاني منهجيته في التفسير والفتوى والتربية/عبد الرحمن طال/1419هـ1999م.

-الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى/أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري/تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري/ج3/دار الكتاب/1418هـ/ 1997م.

-رحلة إلى درعة بالمغرب/تقي الدين الهلالي/ د.د.ن.

-التجانية/علي بن محمد الدخيل الله/دار طيبة/الرياض/1401هـ 1981م.

-تاريخ السودان الحديث/ضرار صالح ضرار/مكتبة الحياة/بيروت/1968م.

-تـاريخ المهديـة/عمـر عبـد الـرزاق النقـر/ مطبوعـات قسـم التـاريخ/جامعـة الخرطوم/1982م.
-ثورة يحيى بن يحيى السويدي/محمد الأسطى/مجلة البحوث التاريخية/السنة الرابعة/العدد الأول
-هذا ديننا/محمد الغزالي/ص48/دار الكتب/الجزائر/1988م.
-الغنيـــة لطالـــب طريـــق الحـــق عـــز وجـــل/الشـــيخ عبـــد القـــادر الجيلاني/ص592/د.د.ن/1427هـ 2006م.
-كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال/ علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهنـدي البرهـان فـوري/تـح: بكـري حيـاني وصـفوة السـقا/ج3/مؤسسـة الرسالة/د.ن/ط5/1401هـ/1981م
-مسند الإمام أحمد /ج2/مؤسسة قرطبة/القاهرة/الحديث رقم (7586)
-الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية/أحمد بن محمد بن عجيبة/دار المعرفة للطباعة والنشر/بيروت/لبنان/د. س.ن.
-دور الطريقة القادرية في رفع مستوى اللغة العربية والتربية الإسلامية في غربي أفريقيا/ قريب الله كبر/د.د.ن.
-الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا/آدم عبد الله الألوري/مصر، 1974م.
-ضياء السياسات" لعبد الله بن فودي الذي نشره د. أحمد كاني سنة 1988م.
-كنتة الشرقيون/بول مارتي ، تعريب محمد محمود ولد ودادي، دمشق، 1985م.
-العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغي/ الشيخ الأمين محمد عوض الله/جدة/1970م.
-مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية، ط 2، 1992، /دون ذكر المكان.
-إنفـــاق الميســـور/محمـــد بللـــو/تـــح: بهيجـــة الشـــاذلي/معهـــد الدراســـات الأفريقية/الرباط/1996م.
-نصيحة أهل الزمان/عثمان بن فوديو/طبع على نفقة الحاج محمد طن أغى/ظامير يرو سكتو/نيجيريا.

-فضائل القادرية- مجموع من كتب الشيخ عثمان ومحمد بللو/جمعه محمد بلو بن أبي بكر القورادوي/ص5/د.د.ن.

-إيداع النسوخ من أخذت عنه من الشيوخ/عبد الله بن فوديو/ص6/د.د.ن.

-المسلمون والاستعمار الأوربي لأفر يقيا/د. عبد الله عبدالرزاق إبراهيم/سلسلة عالم المعرفة/الكويت/1990م.

-ضوء المصلي/عبد الله بن فوديو/تح: أمين بخاري سكتو/ظامير يرو سكتو نيجيريا.

-ضياء الحكام فيما لهم وعليهم من الأحكام/عبد الله بن فوديو/دار العربية/بيروت/د.س.ن.

-ضياء السياسات وفتاوى النوازل/عبد الله بن فويو/تح: أحمد كاني/ ص. 81/الزهراء للإعلام العربي/القاهرة/1988م. ،

-المرآة الصافية في بيان حقيقة التصوف وبعض رجاله ذوي المقامات العالية/قريب الله محمد الناصر كبر/ص153/مكتبة القادرية كانو/د.س.ن.

-النفحات الناصرية في الطريقة القادرية/محمد الناصر كبر/مكتبة دار القادرية/كبر كانو/1415هـ 1994م.

-المواقف والمخاطبات/محمد بن عبد الجبار النفري/تح: آرثر أربي/الهيئة المصرية للكتاب/1985م.

-النهج الحميد فيما يجب على المقدم والمريد/الحسيني/ مكتبة الجندي/القاهرة/د.س.ن.

-فصل المقال فيما يرفع الإذن في الحال في طريقة القطب المكتوم سيدي أحمد التجاني ﵁/محمد الحافظ المصري/القاهرة/1346هـ 1927م.

-روح الأدب لما حوى من حكم وأدب/إبراهيم إنياس الكولخي/ص2/د.د.ن.

-جوهر الأدب في شرح روح الأدب/موسى سليمان التجاني/راجعه وقدم له: أحمد محمد الحافظ/د.د.ن/1411هـ 1991م.

-رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم/عمر بن سعيد الفوتي الطوري الكدوي /ج1 ط دار الفكر/ 1421هـ.

-مقدمة تاريخ الإسلام وحياة العرب لامبراطورية كانم برنو لصاحب الترجمة/مطبعة مصطفى البابي الحلب/القاهرة/1976م.

-الأصالة العربية لقبائل العرب الشوا القاطنة في أقصى شرقي شمال نيجيريا/علي محمد الأحمر/المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر/دار الكتب الوطنية/بنغازي ليبيا/د.س.ن.

-مسند أبي داود الطيالسي/ سليمان بن داود البصري الطيالسي/ج1/الحديث رقم (2104) دار المعرفة/ بيروت/د.س.ن.

-الفيض الهامع في تراجم أهل السر الجامع/أبوبكر عتيق/النهار للطبع والنشر والتوزيع/القاهرة/د.س.ن.

-تفريج الجوى بذكر مناقب الشيج مجنيو/إبراهيم فرح الأبدي/مطبعة يابي/كانو/1429هـ2008م.

-فتح الرحمان في الإستغاثة ببعض آيات القرآن ومدح سيد الأكوان ﷺ الشيخ أحمد أبو الفتح/د.د.ن.

-ومضة من دور الشيخ أبي الفتح في التعليم/صالح أحمد أبو الفتح/د.دن.

-قصاصة حثيثة في ترجمة الشيخ أحمد التجاني بن عثمان الكنوي مفسرا على مناهجه الحديثة/محمد السنوسي/ص31/د.د.ن/1429هـ 2008م.

-تبصرة الأنام في أن العلم هو الإمام/إبراهيم إنياس/ د.د.ن. /كانو نيجيريا

-كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال/علي بن حسام الدين البرهان فوري/تح:بكري حياني – صفوة السقا/ج12/ص488/مؤسسة الرسالة/ط:1401/5هـ/1981م

-مفاتيح الغيب/فخر الدين الرازي/ج14/ د.د.ن.

-الكافي في علم التزكية/إبراهيم صالح/ج4 /النهار للطبع والنشر والتوزيع/القاهرة/د.س.ن.

-الفصل في الملل والأهواء والنحل/ا بن حزم الطاهري/ ج4/مكتبة الخانجي/القاهرة/د.س.ن.

-مشكلات الد عوة والداعية/فتحي يكن/ ١٠٢/مؤسسة الر سالة/د.ط/ ١٩٨١ هـ ١٤٠١.

-منهجية لدراسة التصوف: أصول التصوف/عبد الله حسن زروق/المركز القومي للإنتاج الإعلامي/ الخرطرم/ط٢/ ١٤١٧ هـ١٩٩٦م

-ديوان سير القلب للمصطفى الحب إلى حضرة الرب/إبراهيم إنياس/ص 31/ملتزم الطبع والنشر الحاج ثاني يعقوب/كانو نيجيريا/ط2/د.س.ط.

-حياة الشيخ علي بن محمد الكوماسي الكنوي وآثاره/د. إسماعيل إدريس حسن/مطبعة غيدن دبينو/كنو نيجيريا/1426هـ 2005م.

-النصائح في أهم المصالح/عبد الله بن فوديو/مخطوط، قسم المخطوطات جامعة بايرو/كنو.

-إحياء السنة وإخماد البدعة/عثمان بن فوديو/ دار الفكر/ د.ص.ن-

-الأحكام القطعية في السماع والاستماع/الشيخ علي بن محمد الكوماسي/مخطوط.

- ميزان التفاوت بين التواضع والتماوت/إبراهيم صالح الحسيني/ص١٠/ط٢/ د.د.ن.

-جامع الأحاديث لجلال الدين السيوطي بهذا اللفظ/الحديث رقم (٣٠٥٥٨.

-كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال/ علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري/تح: بكري جياني وصفوة السقا/مؤسسة الرسالة/ط٥/ج٣/ خامسة، ١٤٠١،هـ/١٩٨١م. الحديث رقم { ٨٨٢١}

-المستدرك على الصحيحين/محمد بن عبد الله الحاكم النيساتوري/ تح: مصطفي عبد القادر عطا/ج٢/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ ١٤١١هـ ١٩٩م

-رد المحتار على الدر المختار: شرح تنوير الابصار/ محمد أمين بن عمر ابن عابدين/ د.د.ن.

-الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية/الطيب السفياني/1259هـ 1843م

-المدخل/ابن الحاج/ تح: دار الفكر/بيروت/ ١٤٠١هـ-١٩٨١ م

-عمل اليوم والليلة/أحمد بن شعيب بن علي النسائي/تح: د. فاروق حمادة/مؤسسة الرسالة – بيروت/ط: 1406/2هـ

-رسالتان في التصوف/الحسيني/ص21مكتبة الجندي/ القاهرة/ط1431/2هـ 2012م.

-التحرير والتنوير/محمد الطاهر بن عاشور/مج 229/24/11/دار سحنون للنشر والتوزيع/تونس/د.ط.ت.

-الخطاب العربي المعاصر/ محمد عابد الجابري/ص8/دراسة تحليلية نقدية/دار الطليعة/بيروت/ط1988/3م.

-اللمع/الطوسي/تح: عبد الحليم محمود طه عبد الباقي سرور/ص 46/ط دار الكتب الحديثة بمصر 1960م.
-نشأة الفكر الفلسفي/علي سامي النشار/ ج3/ص 20/دار المعارف/القاهرة/ط7/ 1977م.
-الرسالة القشيرية/عبد الكريم القشيري/ ط: مطبعة حسان القاهرة 1974م.
-الحلاج/طه عبد الباقي سرور/دار نهضة مصر/ القاهرة/د.س.ن.
-حياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحجوب بهامش قوت القلوب لأبي طال المكي/ ط:دار صادر بيروت/د.س.ن .

ثالثا: الرسائل الجامعية.

-الشيخ إبراهيم إنياس السنغالي حياته آراؤه وتعاليمه/محمد الطاهر ميغري ص269 وما بعدها/ أطروحة ماجستير /جامعة بايرو/كنو/دار العربية للطباعة والنشرالتوزيع/بيروت/لبنان/ 1399هـ/1979م
-كاشف الإلباس/الشيخ إبراهيم إنياس/تح: الطاهر ميغري/ضمن أطروحته لنيل الماجستير/جامعة بايرو كنو/دار العربية للطباعة والنشر/بيروت/لبنان/1401هـ 1981م.
-الحوار الإسلامي المسيحي المبادئ التاريخ الموضوعات الأهداف/بسام داو ود عجك/رسالة ماجستير/دار قتيبة/1418هـ1998م.
-شعر الشيخ أبي بكر المسكين في الأمثال والحكم دراسة تحليلية لكتاب جامع الأمثال والحكم الفائقة/أطروحة دكتوراه قدمها حسن حمدي بجامعة أحمد بللو زاريا/كلية الآداب قسم اللغات النيجيرة والأفريقية، قسم اللغة العربية وآدابها/عام 2002م.
-الشيخ أبي بكر عتيق وديوانه هدية الأحباب والخلان أطروحة دكتوراه قدمها محمد الأمين لنيل درجة التخصص العالي (الماجستير) بجامعة بايرو كنو.
-مدرسة الشيخ آدم طن كللوري ومساهمتها في المجتمع الإسلامي/أبه بشير آدم طن كللوري/رسالة لنيل شهادة الدبلوم في التربية الإسلامية كلية الكانمي للدارسات الإسلامية ميدغري مخطوط في الأرشيف.

-مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا/بشير عثمان أحمد/جامعة أحمدو بيللو/زاريا، نيجيريا.
-الشعر الصوفي في نيجيريا/شيخ عثمان كبر/النهار للطباعة والنشر والتوزيع/د.د.ن.

رابعا: الدوريات والمجلات والموسوعات والمعاجم .

-الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة /الندوة العالمية للشباب الإسلامي/إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني/ ج67/دار الندوة العالمية.
- مجلة التاريخ العربي/ملامح من التأثير المغربيّ في الحركة الإصلاحية للشيخ المجدّد عثمان بن فُودي/عبد العلي االودغيري/العدد 4201/1هـ .
مجلة التاريخ العربي/ملامح من التأثير المغربيّ في الحركة الإصلاحية للشيخ المجدّد عثمان بن فُودي/عبد العلي االودغيري/العدد 4201/1.
مجلة إسلامية المعرفة/ملامح التجديد في الفكر الصوفي عند الشيخ أحمد زروق(رحمه الله)جمال أحمد بشير بادي/ع22/س1421/6هـ2000م.
مجلة التجديد/الإمام ابن تيمية والتصوف/عبد الرحمن عمر اسبينداري/س7/ع1423/13هـ2003م.
فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات/عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني/تح: إحسان عباس/دار الغرب الإسلامي/بيروت/ط1982/2م.
-الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة/الندوة العالمية للشباب الإسلامي/ج1/إشراف ومراجعة مانع بن حماد الجهني/ دار الندوة العالمية/د.س.ن.
-أطلس تاريخ الإسلام/حسين مؤنس/ الزهراء للإعلام العربى/القاهرة/ 1987م.
-دائرة المعارف الإسلامية/ الطبعة العربية/مادة تصوف/ج5.
-لسان العرب/ابن منظور الأفريقي/361/1.
-معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم/الراغب الأصفهاني/ضبط وتخريج إبراهيم شمس الدين/170/دار الكتب العلمية/بيروت/1418هـ1997م. وينظر: المعجم الوسيط

لمجمع اللغة العربية/مادة (خ ط ب) ج/1/ص243/دار الدعوة /إستا نبول/تركيا/1989م.
-الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية/أيوب بن موسى الحسيني أبو البقاء الكفوي/مؤسسة الرسالة/بيروت/ط1414/2هـ1998م.
-موسوعة لالاند الفلسفية/أندريه لالاند/ت: خليل أحمد خليل/أشرف أحمد عويدات/ مج 1/ط2/منشورات عويدات/بيروت/لبنان/2001م.
-المعجم الوسيط/إبراهيم مصطفى وآخرون/تح: مجمع اللغة العربية/ ج/ص259/دار الدعوة/د.س.ن.
-معجم لغة الفقهاء/محمد قلعجي/ج1/ص133/د.د.ن.
-شذرات الذهب في أخبار من ذهب/عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي/تح: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط/ج8/ دار بن كثير/ دمشق /سنة النشر/1406هـ

خامسا: مقابلات شخصية.
-مقابلة مع السيد عبد الله الخليفة/في منزله الكائن بمدينة ميدغري.
-مقبالة مع الشيخ بشير ثالث طن رونشا رابع أربعة من طلاب الشيخ الأوائل بمنزل الشيخ نسيدي الكائن بمدينة كانو مساء يوم الاثنين الموافق 26 من ذي الحجة 1430هـ 6-ديسمبر 2020م.
-لقاء تم مع السيد أحمد الفكي يوم 1 من شهر يوليو1428هـ 2008م
-لقاء مع الشيخ المسكين في منزله مساء يوم الأحد الموافق 20 من شهر مارس 2008م.
-مقابلة مع الدكتور محمد كبير يونس المشرف على هذه الأطروحة بمنزله الكائن بجامعة بايرو كانو المقر القديم يوم الاثنين الموافق مطلع رجب1430هـ 10 يولي2010م عقب صلاة العصر.

-مقابلة مع حفيدة الشيخ سعيد بن حياة الدين أسماء غربه سعيد بن حياة الدين، رئيسة قسم التاريخ بجامعة بايرو، بمكتبها الكائن في رحاب الجامعة. يوم الثلاثاء 2010/12/7م..

-مقابلة مع الأستاذ غربه أحمد سوداوا في بيته يوم 1996/11/9م.

سادسا: كتب أجنبية.

A Biography study of shaykh sa id b hayat 18887-1978 and the british policy toward the mohd iyyn in northern Nigeria(1900-n1960) volume one, asm,u garba sa id, august 1992. a tesis submitted for the ph.D history Department, bayero university kano

- Umar faruq malumfashi (1989) divergence of opinion: the low of islam, edited and analyzed by fadis najmul ikhwan yahtaduna bihi bi,iznillahi fi umur zaman. Unpublished phD Dissertation in Islamic studies B.U.K

- A.F Ahmad the impact of qadiriyya in Nigeria

- JOHN PODEN: Religion and political culture in kano: London 1973,

- Paul Marty, L'Islam et les tribus dans la colonie du Niger

فهرس الموضوعات